

محمد أحمد أباسمیل

الإسلام ونظيرته الأروينية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع على نفقة المؤلف
ويوزع مجاناً لوجه الله

الاسلام ونظرية داروين

الطبعة الثالثة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري

هؤلاء نفر من رجال العلم والفكر الاسلاميين ، في هذا القرن الطافح بعناصر المادية الجارفة والالحاد المتنوع . هم جديرون بالحفاوة والتقدير وقمين بالعالم العربي والاسلامي ان يهتم بصرخاتهم ، وان يستجيب لنداءاتهم ليعود اليه سناه ومجده ، وذاتيته وكيانه .

ان هؤلاء نفر من رجال العلم والفكر الاسلاميين انما يقومون فيما ينشرونه من مؤلفات ومقالات ودواوين شعرية بتأليف (جرعات) من ترياق الاصلاح والهداية حتى لا يستمر طغيان المادية ومبادئ الالحاد على وجه الارض ، وخاصة في ديار العروبة والاسلام مهد الهدى والرشاد .

والمسلمون اذا ادركوا هذه الحقيقة وعملوا بموجيها فانهم ولا ريب سرعان ما يستعيدون مكانتهم ويعودون كما كانوا من قبل ، روادا للبشرية الى طريق الحق والخير والجمال .

والاستاذ محمد احمد باشميل حينما جنح الى اثاره سيرة السلف الصالح وتجليتها بأسلوبه المتن ، كما شاهدناه فعلا في كتابه النفيس المفضل عن « غزوة أحد » الحاسمة وحينما تعرض الآن لدحض شبه الملحد في كتابه هذا الذي ناقش فيه (نظرية داروين) من وجهة نظر الاسلام والعلم الصحيح ، وفنئدها بدلائل علمية واضحة لا تقبل الجدل . انما يسر على نهج اولئك الرادة الشدة من رجال العلم والفكر الاسلاميين الذين يقفون على السبل وينيرون الطريق للبشرية التائهة في ادغال المادية والالحاد الجارفين في عالم اليوم . وفي هذا لا ريب بشائر خير بأن العالم الاسلامي ما زال في مكان الريادة برغم ضعفه وانحطاط كيانه . فالشعور بالمسؤولية العالمية لا يزال يراود رجال الفكر فيه . وهم اذ يزجون بأنفسهم في هذا الميدان المرهق لا يبتغون جزاء ولا ينتظرون مادة . وانما هدفهم كما كان هدف اسلافهم الابرار الاخيار ، تطهير الافكار والمجتمعات من داء وبيل خطير يكاد يقضي

عليهم القضاء المبرم . وهذا العمل المجيد من جانب رجال الفكر هؤلاء يسهم
(الى أبعد الحدود) في القضاء على نظرية ماركس المادية الملحدة .

وان مضللي العالم ، من وجوديين وشيوعيين وغيرهم ليدركون خطر
الاسلام عليهم وعلى ما ينشرونه من سموم ، وما يذرونه من ادواء فتاكة ،
ولذلك يحاولون بكل قواهم ان ينشروا مذاهبهم الزائفة المستوردة في اجواء
(العالم الاسلامي) حتى يخدروا اقوامه بهذه (المخدرات) الهدامة الحاطمة ،
فلا تقوم قائمة له ولا للعالم من بعد . . (تماما مثل شارب المخدرات لا يريد
الا ان يرى الناس كلهم مثله في استعمال ما اعتاد استعماله) ليظلوا كلهم في
دوامة تخدير وذهول وغيبوبة دائمة عن الوعي الصحيح الراشد . .

وبعد ، فانني اقترح على وزارتي المعارف السعودية وعلى وزارة الاعلام
بها ان تسهما في هذا السبيل ، بانشاء لجنة او لجنتين منهما همهما القيام
بترجمة هذه البحوث القيمة الى لغات اجنبية ترجمات صحيحة فصيحة
شيقة ، لتسهم بذلك مملكتنا الفتية موئل الدين الاسلامي الحنيف ، ومهد
العروبة الاصيلة الخالدة ، في هذا البناء الشامخ المجيد ، ذودا للباطل من
ان ينتصر ، ومساعدة للحق لينتشر ، وللحقيقة الاسلامية الخالدة الشامخة
لتزدهر ، وللحق السامي الشامل ليرفرف بنوره وليسيطر وبالله
التوفيق

جدة في ١٣٨٤/٤/٣ هـ

عبد القدوس الانصاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤلف

نحمدك الله على نعمائك وآلائك ، وصل اللهم وسلم على نبيك ورسولك محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين .

اللهم نضرع اليك أن تمن علينا بإيمان لا يخالطه شك ويقين لا يشوبه ريب، ونسألك باسمائك الحسنی وصفاتك المثلى أن تمدنا بعونك وتوفيقك ، وأن تجعل كل أعمالنا خالصة لوجهك .

- ١ -

لقد نالت نظرية (داروين) وهي (نظرية التطور والارتقاء) من الشهرة والذیوع في العالم ما لم تنله أية نظرية حديثة حتى اليوم .

وذلك بسبب احتكاك هذه النظرية المباشر بجوانب حساسة من معتقدات الناس وأفكارهم وآرائهم المتمركزة في نفوسهم حول خلق العالم وتكوين الإنسان والروح .

لقد هزت هذه النظرية دنيا العلم، واشغلت عالم الفكر ، وبعثت موجات من الغضب والاستنكار في محيط المتدينين (وخاصة زعماء الكنيسة في أوروبا) .

كما أن هذه النظرية - في الوقت نفسه - انعشت روح الإلحاد ووسعت المجال لدعاة التحلل الإباحية أن يقولوا أكثر مما كانوا يقولون .

بمنذ ظهور هذه النظرية والصراع حولها مستمر بين العلماء والمفكرين ورجال الدين ، وخاصة عندما كانت السلطة الزمنية في يد رجال الكنيسة في أوروبا .

غير أن هذا الصراع قد خف كثيرا ، بعد أن انتصرت العلمانية على الكنيسة وجردتها من سلطتها الزمنية ، حيث بقي سلطان الكنيسة محصورا

- ٧ -

بين جذرائها ، لاقتصاره على تنظيم علاقة الانسان المسيحي بمعبوده فحسب .
فبعد ان انتزعت السلطة الزمنية من يد الكنيسة التي كانت الخصم
القوي المرعب لدعاة نظرية التطور والارتقاء في أوروبا تنفس هؤلاء الدعاة
الصعداء وصاروا يوالون بحوثهم وينشرون آراءهم بمنتهى الحرية ، مما يسر
لهذا النظرية الانتشار والوصول الى كل حقل ثقافي في العالم كله .

- ٢ -

ان بحثنا في هذا الكتاب سيدور (ان شاء الله) حول النقاط الرئيسية
الآتية :

أ . . اعطاء القارئ صورة مفصلة دقيقة عن جوهر (نظرية داروين)
والقواعد التي قامت عليها والحجج والبراهين التي تستند اليها ، مع اعلان
القول الفصل (حسب اجتهاد المؤلف) فيما اذا كانت هذه النظرية تعبّر عن
الحقيقة الواقعة التي لا تقبل الجدل ، أم انها فرض من الفروض ، قابلة
للالغاء والتعديل .

ب . . ابلاغ القارئ المسلم (وغير المسلم) حقيقة موقف الاسلام من
جوهر هذه النظرية ، واعطاؤه القول الفصل (حسب اجتهاد المؤلف) فيما
اذا كان القول بهذه النظرية يتنافى مع الاسلام والاعتقاد بوجود الله تعالى
أم لا .

ج . . مناقشة الجناح الالحادي من دعاة هذه النظرية - امثال (لامارك
الفرنسي) و (أرنست هيكلم) وبختر الالمانيين) و (أوبارين الروسي الشيوعي) (١)
وغيرهم من الملاحدة الماديين الذين ينفون الخالق سبحانه وتعالى ، ويقولون
(بالتولد الذاتي) وتأليه الطبيعة ، و (الحركة الابدية اللازمة للمادة)
ويركبون - لترويج هذا المنكر - متن نظرية التطور والارتقاء .

وقد ناقشنا (بتوسع ودقة) كل ما تشبث به هؤلاء الملحدون من أدلة
وبراهين ، مناقشة اثبتنا بها بطلان كل تلك المزاعم ، وسجلنا (بالطرق العلمية
والعقلية) عليهم تهافتهم وفساد أدلتهم وتخاذل حججهم ومناقضة بعضها
بعضا ، بحيث أوضحنا للقارئ بأن هؤلاء الملحدون ليسوا على شيء ، وأن
دعواهم عندما يأتي دور تمحيصها وتحليلها في مختبر العقل والعلم
والوجدان ، يتضح انها ليست اكثر من مغالطات ووساوس واوهام فاسدة .

(١) ستأتي ترجمة هؤلاء جميعا فيما يأتي من هذا الكتاب .

وهدفنا من وضع هذا الكتاب هو مساندة الشباب الاسلامي في معركته المضنية التي يخوضها (مرغما) مع تيارات التشكيك والالحاد التي اكتسحت المدرسة والجامعة والاذاعة والصحافة والنادي - ضمن فيوضات المذاهب والنظريات والانكار والعادات والتقاليد الاجنبية الدخيلة التي حملتها الينا المدنية الحديثة فيما حملت ، والتي يمر بها القارئ والسامع في مراحل تحصيله العلمي والفكري .

لقد اصبح الشباب المثقف في عصرنا هذا (وفي جميع انحاء العالم الاسلامي) اكثر تعرضا للانحراف عن سبل الهداية والانجراف في تيارات التحلل والغواية ، وبشكل لم يسبق له مثيل في أية فترة من فترات تاريخ هذه الامة .

والسبب في ذلك كله يعود (في الدرجة الاولى) الى الاسباب الرئيسية الآتية :

١ - ان هذه المذاهب المخربة والافكار الهدامة والنظريات المضلة جاءت الينا كلها تزهو ، في لباس العلم والمعرفة والتقدم والتحرر . مما أسرع ببعض المثقفين - الذين لم يكن لهم من الحصانة الدينية والمناعة العقلية ما يحفظهم من الانحراف - الى اعتناق هذه المذاهب والنظريات ، بل والتعصب لها .

٢ - انعزالية أكثر العلماء المسلمين وانطوائهم على انفسهم - امام هذه التيارات الدخيلة المخربة - انطواء جعلهم يوصدون الابواب على انفسهم داخل ابراجهم العاجية التي حالت بينهم وبين خوض معترك الحياة العامة والاحتكاك بمختلف الطبقات للتعرف على شتى الميول والاتجاهات .

الامر الذي جعل هؤلاء العلماء لا يعلمون ما يجب ان يعلموه (بالتفصيل) عن هذه المذاهب والنظريات والافكار ، ومدى فعاليات ما تحمله من سموم وأمراض الى أعماق البيئات الاسلامية ، وخاصة الثقافية منها ، والتي هي اليوم أكثر تعرضا وتأثرا بهذه السموم والأمراض .

وهذا هو الذي يسر لمنظمات الالحاد وعصابات التفسخ والانحلال أن تعمل بحرية ونشاط ، بين فئات المثقفين السطحيين ، فتنحز ضد الإيمان والفضيلة نجاحا لا يستهان به .

ذلك ان هذه التيارات الخطرة لم تجد أية مقاومة علمية فعالة حاسمة ومركزة من جانب هؤلاء العلماء في أية جبهة من الجبهات .

وبدهي ان لا توجد هذه المقاومة لأن هؤلاء العلماء (بحكم انعزاليتهم في اكثر الاقطار الاسلامية) ليس لديهم أي المام مفصل بهذه المذاهب المخربة والنظريات الهدامة ، فلا يعرفون القواعد والاساليب التي منها وبها ، يشن اعداء الاسلام هجماتهم المدمرة على مواقع الايمان ومراكز الاستقامة في نفوس الشباب ، وبالتالي لا يحسون بما تحمله هذه المذاهب والنظريات من فعاليات النسف والتدمير للعقائد والاخلاق .

فكان واجب هؤلاء العلماء القياديين (وخاصة في هذا العصر) ان يخرجوا من عزلتهم ويفتحوا ميدان الحياة ويتصلوا بمختلف طبقات الامة اتصال القائد بالجند والطبيب بالمرضى والمحارب المسئول بالجبهة ، وأن يدرسوا هذه النظريات الخطيرة ويستوعبوا تلك الافكار المخربة ، شأنهم في ذلك شأن القائد المحارب اليقظ الذي (لكي يضمن القضاء على عدوه) يبذل قصارى جهده للتعرف على مواقع هذا العدو ومدى قوته ووسائل هجومه ومصادر تموينه ، ليسهل تحطيمها .

والايمان اليوم يخوض معركة رهيبة مع الالحاد والمجون ، معركة سلاحها الوحيد شيء اسمه (الفكر والعلم) وكسب هذه المعركة لا يتأتى للمدافعين عن الايمان والفضيلة الا عن طريق المام هؤلاء المدافعين بكل الاصول والقواعد التي يقوم عليها الالحاد والاباحية ودرس ما يستند اليه الملحدون من حجج وشغب به الاباحيون من مضلات الآراء ومغويات الافكار ، دراسة تمكن هؤلاء العلماء المدافعين الثابطين عن الحق من ان يضعوا - بريشة البحث المركز والعلم الصحيح والمناقشة العميقة القوية الصائبة - علامات التنبيه والارشاد الواضحة على مواطن الانحراف ومواقع الضلال والفساد من هذه النظريات والافكار والمذاهب ، ليقف الناس عند هذه العلامات وقفة تدبر واستدكار ، فيقتنعوا عن بحث ونظر (وتحت تأثير قوة الحجة والبرهان) بفساد هذه المذاهب والنظريات والافكار ، فيجتنبوها .

اما بغير سلوك هذا السبيل فان مقاومة الالحاد والتحلل لن تكون الا مقاومة سلبية لن يكون لها أي تأثير في سير المعركة التي يخوضها الايمان مع الالحاد الذي سيستمر في زحفه مسجلا كل يوم نصرا في جبهة من الجبهات التي يشن فيها حربه المكشوفة او المقنعة . حتى يغير محاربوه من العلماء المسئولين أسلوبهم الضعيف المفكك في مقاومته .

فقد مضى الزمن الذي كان يكفي فيه - لابعاد الناس عن فكرة فاسدة او مذهب مخرب - أن يقول عالم من العلماء الرسميين .. هذا زيف وذاك ضلال فاجتنبوه .

فقد أصبح الناس اليوم (وخاصة المتأثرين بالافكار الحديثة وعلى أي

مستوى كانوا) يصعب اغادة الضالين منهم (او السائرين في طريق الضلال) الى جادة الحق بمثل ذلك الاسلوب العتيق الذي لا يزال كثير من العلماء يظنون انه يكفي لاعادة الناس الى طريق الهداية .

٣ - من الاسباب التي يئرت للافكار الفاسدة والمذاهب المنحرفة الانتشار بين طبقات المثقفين (بصفة خاصة) استبعاد كافة العلوم الاسلامية من برامج التعليم في جميع مراحل التدريس ، من اول فصل في المدرسة حتى آخر مرحلة في الجامعة ، او ضعف مواد هذه العلوم ، وعدم اختيار المدرسين العقائدين الاسلاميين الاكفاء الاقوياء لتدريسها (اذا ما وجدت وقررت اجباريا كما هو في بعض البلاد الاسلامية القليلة) .

وقد كان المفروض ان يكون تضلع الطالب المسلم بمختلف العلوم والافكار والتوجيهات الاسلامية هو خط الدفاع المنيع الذي يقف داخل نفس كل طالب مسلم ليحميه من مضلات تلك النظريات الفاسدة والافكار والمذاهب المخربة .

ولكن استبعاد هذه العلوم نهائيا ، او ضعف موادها او عدم اختيار الاساتذة العقائدين الاقوياء الاكفاء المتحمسين لتدريسها - اذا ما وجدت - هو الذي جعل الطالب المسلم (في اية مرحلة من مراحل تحصيله) يقف امام تيارات دعوات الانحلال والتفسخ والانحلال ، شبه اعزل من السلاح القوي الذي يجب ان يكون به مزودا تزويدا كاملا ، وهو التربية الاسلامية القوية الواعية المركزة ، التي صار الطالب ، اما يحرم منها كليا او يتلقاها سطحية ضعيفة ناقصة ، وهذا كله قد جاء نتيجة جهود كبيرة قام بها اعداء الاسلام عندما كانت مراكز التعليم القيادية في ايديهم (في اكثر اقطار العالم الاسلامي) منذ عشرات السنين .

٤ - ومن الاسباب اياها (ولعله اخطرها) عدم شعور كثير من الحكام في الاقطار الاسلامية وذوي المناصب القيادية التوجيهية فيها بمسئوليتهم العظمى نحو الاسلام كدين ودولة وخلق ومعاملة ، ونظرهم الى هذا الدين وما اتى به من تعاليم وآداب ، كأمر شكلي لا اهمية له ، هو آخر ما يمكن ان يفكروا فيه (اذا ما فكروا) بل ان كثيرا منهم لينظر الى هذا الدين وكأنه عبء ثقيل يجب ان يزول ، وذلك لجهلهم بحقيقته او لتربيتهم على ما يتنافى مع تعاليمه ، ولا يتفق مع اتجاهاته .

ومن هنا كان بدهيا ان يعمل كثير من هؤلاء الكبار ما امكنهم على تعضيد كل قول او عمل فيه تشجيع ومساندة للاباحية والالحاد، مستغلين مناصبهم لمقاومة روح الاسلام والخروج على آدابه ، مع العمل على اغتات العناصر الاسلامية الفعالة وخنق صوتها ومحاربتها بكل الوسائل والسعي لدى

الجهات العليا لاقضاء هذه العناصر عن كل مركز قيادي في الدولة .

مع حذب هؤلاء الموظفين الكبار على العناصر الاباحية المتحللة وافساح الطريق امامها والسعي لاقعادهها في المناصب القيادية الحساسة ، وبهذا عزّلت العناصر الاسلامية القوية العاملة امّا عزلا تاما عن المراكز التوجيهية ، او بقيت في مراكز جانبية مسلوية الصلاحيات ، او ألزمت بالبقاء تحت قيادات تلك العناصر اللادينية المتحللة ، بنية اذلالها وتحطيم معنوياتها لكي لا تستطيع القيام بأي عمل جدي واسع فيه نصر فعال للاسلام ، او خطر على قافلة التحلل والانحراف التي تسير تحت اشراف اولئك الكبار المتمركزين في تلك المناصب الكبيرة .

وهذه منطقة الخطر التي انطلق منها (في كثير من الاقطار الاسلامية) وسينطلق ولا شك اعصار التدمير والتخريب والاضطراب داخل الاقطار التي قامت حكوماتها على اساس اتخاذ الاسلام مجورا تدور حوله في احكامها ومعاملاتها وأخلاقها ، اذا لم تنتبه الرؤوس الكبيرة في هذه الاقطار والتي ليس غيرها مقصودا (في الدرجة الاولى) بهذا النسف والتدمير الذي تعده لها هذه العناصر التي نرى كثيرا من الرؤوس الكبيرة في العالم الاسلامي تسلم الى هذه العناصر الخطرة (في براءة تشبه البلاهة) مصاير الدولة والامة على السواء .

وان العاقل الصادق المخلص ليتساءل (بحرقة والم) كيف تعطى قيادة السفينة الى من يرى ان تحطيمها من اكبر اهدافه الرئيسية وأعلى امنيائه في الحياة ؟؟ .

واعتقد انه لا يختلف اثنان من العقلاء في ان من اكبر الاسباب التي تيسر لعناصر الفوضى والتخريب مهمتها ان تعطى مقاليد امور ايا كان نوعها (في دولة قامت على اساس الاسلام) الى من هو فاسد في نفسه وأخلاقه وخضم لهذا الدين ، يتمنى من صميم قلبه ان لا يرى له ظلا ولا يسمع له صوتا .

وهل تؤثر الدول الاسلامية ويسرع اليها الانحلال والتدمير الا عن طريق مثل هذا التصرف ؟ (١) .

(١) ان الانقلابات المريعة التي تتبعها الكوارث الدامية والتدمير والقلق والفوضى نفسي كل شيء ، ليست الا نتيجة طبيعية للتدمير الاكبر الذي يسبقها ويمهد لها ، هذا التدمير الذي يتمثل في نفس العقائد وهدم الاخلاق والعمل (بصفة رسمية) على اشاعة روح الاباحية والتحلل وقتل الوازع الديني في النفوس بين جميع طبقات الامة ، وذلك بانفاق الملايين على الوسائل التي تؤدي الى ذلك كله مما يعد خروجا على آداب الاسلام وانتهاك لحرمانه ، وعندما لكان الدولة في الوقت ذاته ، والذي لا بد من ان يأتي فاعليه والراضين =

ولماذا يحرض الشيوعيون والطامعون اللادينيون على انتزاع كل وازع ديني وخلقى من النفوس ؟

انهم يفعلون ذلك لكي يتحول الانسان الى حيوان مفترس يسهل عليهم استخدامه للقيام بأي عمل (مهما كان منحطا ووحشيا وفظيعا) لان الانسان الذي يقطع صلته بالله يتجرد من كل احساس انساني ، اذ لم يبق لديه اي وازع ديني يحول بينه وبين ارتكاب اية جريمة مهما كان نوعها .

وما نراه ونسمعه مما يحدث حولنا من كوارث رهيبة دائمة واعمال وحشية يترفع عن اتيان مثلها احط انواع الحيوانات المتوحشة ، انما سببه الاول ذهاب الوازع الديني وافساح المجال للعناصر اللادينية المتحلة لتتربع على كراسي المناصب التوجيهية والقيادية في الدولة ، وفي ذلك عبرة لمن

= به والشجعين على فعله ، مثل الذين خلوا ، الذين بارزوا الله بالمصيبة وتحدّوه بمخالفة امره فطوى بساطهم ودمر كياناتهم ، كما قال في كتابه العزيز « واذا اردنا ان نهلك قرية قوية امرنا مترفينا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » فمخالفة الله بالمصيبة (مهما كانت ومهما البسها المفسلون من اردية لنفي صفتها الاساسية عنها وتسميتها بغير اسمها) هي من اكبر الاسباب التي تستنزل غضب الله والذي تكون نهاية المتعرضين له الضياع والتدمير ، (اذن) - فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم - وعلى الدين لا يزال الانحراف بينهم وليدا ، ولا يزال المصمون من العالمين في دولتهم (على نشر الفسق وعلان المصيبة بالصفة الرسمية) في بداية الطريق .. عليهم - اذا ما ارادوا حماية انفسهم وشعوبهم مما اصاب غيرهم من كوارث مريمة وفجائع مدمرة ، نتيجة معالنتهم الله بالمصيبة ومبارزته (رسميا) بما يقضيه - عليهم ان يتقوا الله في انفسهم وشعوبهم فيحافظوا على نعمة الامن والاستقرار والرخاء والطمانينة والهدوء التي يتمتعون بها والتي يحصلهم عليها ارقى الدول حضارة ومعدنية ، والتي لم تتوفر لهم بفضل قوتهم الجبلية او مباحثهم واستخباراتهم النشطة الواسعة ، وانما بفضل الله ثم بفضل ما تبقى لهم من رسيد الدين والخلق الذي صمم خصومهم (المتظاهرون بالولاء امامهم) على تديده واضاعته ليكونوا في عداد المفلسين من هذا الرسيد الذي لا يزال (حتى هذه اللحظة) هو العارس الوحيد لدولتهم من ان تهلك ولكياناتهم من ان يتحطم . والمحافظة على النعمة الكبرى التي ذكرنا ان نتحقق الا بالرجوع الى الله وايقاف كل مشروع او حركة فيها خروج على آداب الاسلام او تمرد على شرائعه واحكامه او تشجيع على انتهاك حرمان الله ، مما يستعين به البعض من وسائل المجون والانحراف ، نعم عليهم اذا ما ارادوا المحافظة على هذه النعمة الكبرى ان يكونوا حيث اراد الله منهم ان يكونوا ، والا يستجيبوا لمسيحات الانحراف التي تتسم (للتحسين والاستسافة) بطابع الرقي والتقدم ومسايرة الركب الحضاري ، نعم عليهم ان يكونوا حيث اراد الله منهم ان يكونوا وان يصموا آذانهم عن صوت كل داع ، غير داعي الله ، والا فان الله تعالى ليس بينه وبين احد نسب او قرابة ؟ فكل من عان الله بالمصيبة او تحداه بعلان ما يقضيه ، فانه يقصمه ويحطمه ولا يبالي . مرة اخرى - فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم - .

اعتبر (١) ، وعلى الحكام الذين لا يزالون - هم وشعوبهم بخير - ان يتدبروا امرهم ويتدارسوا هذه المعبر ويتعظوا بها لكي ينجوا مما وقع فيه غيرهم من كوارث وفجائع ، وهذه النجاة لن تتحقق لهم الا باستبعاد كل العناصر اللادينية المتحللة من كل المناصب التوجيهية والقيادية في أي مرفق من المرافق ، بل والضرب على أيدي هذه العناصر لحسم شرها وتجنب اذاها . اما تملق هذه العناصر الفاسدة المتحللة واسناد المناصب الكبرى ذات العلاقة المباشرة بمصير الامة والدولة اليها ، فانه لن يؤدي في النهاية الا الى الخراب العام والدمار الشامل ، وخاصة في الدول التي قامت على اساس من الاسلام الذي ترى فيه هذه العناصر الاباحية عبئا ثقيلا تحرص على ازالته لانه يزعمها من اكبر عوامل التأخر وعوائق التقدم .

- ٤ -

ان مما لا جدال فيه ان بعض النظريات العلمية الوافدة الينا لم توضع (أصلا) للدعوة الى الالحاد والتحلل ، ولكن دعاة الكفر والاباحية استغلوا شهرتها العلمية العالية فجعلوا منها وسيلة للتفريس بالقاصرين السطحيين

(١) وانها لظاهرة عجيبة وخطيرة يلحظها كل مخلص يتخوف واشفاق (في بعض انظارنا الاسلامية) وهي انه كلما ازداد امر هذه الفئات اللادينية المتحللة انكشافا ، كلما ازداد كبار المسؤولين بها تسكنا واليهما اطمئنانا ، وكلما ازدادت روائعها الخبيثة تصاعدا ، وكلما تضافت الأدلة وتوافرت البراهين على كيد هذه الفئات للدولة وعملها (قدر المستطاع) على ما فيه تشويه لسمعتها واضعاف لكيانها وافساد لآخلاق شعوبها ، كلما ازدادت ثقة المسؤولين الكبار بها والركون اليها ، فكان لسان حال هؤلاء الحكام (في أكثر من فطر اسلامي) يقول .. من اراد ان يكون محل نقتنا وموضع تقديرنا فعليه ان يكون على مستوى هذه الفئات فسادا وتحللا وكيندا لنا وتربضا بنا ، وهذه ظاهرة (لعمرو الله) مخيفة نسأل الله تعالى ان يقي امة محمد ودينها واخلاقها شرها ، وهي ظاهرة لا تنسبها الا تلك الظاهرة الخطيرة التي سبقت نكبة المسلمين المروعة في المغرب في الاندلس وفاجعتهم في المشرق ، في بغداد ، حيث ابتلى الله حكام تلك الاقطار بوضع ثقتهم في اعداء دينهم وخصوم دولتهم من التحللين الفاسدين والسياسيين العملاء الماكزين الذين كلما لغت الفئات المخلصة أنظار اولئك الحكام اليهم وحذرهم منهم كلما ازداد اولئك الحكام ثقة بهم واعتمادا عليهم ، وتدمروا من المخلصين وشكا في نواياهم ثم نيلهم ، حتى تمكن اولئك الخصوم من القياد ، فساروا بالدولة والامة في طريق الخراب الاخلاقي والسياسي حتى ضربوا ضربتهم القاتلة ، فوقعت الواقعة ووقف هؤلاء الخصوم الموثوق بهم على جثث الذين وثقوا بهم يتلهون بها في زهر وتشفي وانتقام ، وليسأل المنين (في انظارنا الاسلامية) عن مصير المستعصم بالله في بغداد ومصر أبي عبدالله في غرناطة ، ذلك المصير المرعب الذي آل اليه ذاك الخليفان ، وبالتالي آلت اليه تلك الدولتان العظيمتان نتيجة الثقة بالخصوم والاطمئنان الى العملاء الجواسيس الذين كانوا يتظاهرون (نفاقا) بالولاء والاخلاص . وما اشبه الليلة بالبارحة .

فجروا الكثير منهم (باسم هذه النظريات) الى هاوية الكفر والضلال .
ومن هذه النظريات نظرية التطور والارتقاء التي صارت تعرف باسم
(نظرية داروين) والتي هي موضوع كتابنا هذا .

فقد ضل كثير عن طريق النظر في قواعد هذه النظرية والتأثر بها ،
وذلك لا لان اصول هذه النظرية (ذاتها) يستلزم الايمان بها الانحراف والكفر ،
وانما لان الكثير ممن تولوا شرح هذه النظرية والتفلسف في معانيها ، هم دعاة
كفر واباحية ، ومن هؤلاء (الماركسيون) الذين وجدوا في هذه النظرية
ضاللتهم المنشودة حيث استغلوا شهرة هذه النظرية وما يعتري بعض
قواعدها من غموض وتعقيد وخاصة فيما يتعلق بالروح ونشأة الحياة
وموضوع تطور الكائنات الحية وتحولها ، فطاروا بهذه النظرية ثم اضافوها
الى وسائل الاغواء والاستدراج التي بها توصلوا الى الانحراف بكثير من
الناس عن جادة الاستقامة والهداية .

فجنفوا بكثير من الشباب المثقف في منعرجات الضلال واستدرجوه
الى سرايب الاباحية والتفسخ ، فسلخوا من هذا الشباب المسكين نعمة
الطمأنينة والاستقرار التي مصدرها الايمان بالله تعالى ، وابدلوه بهذه
الطمأنينة بلية الحيرة والقلق التي يعيشها اليوم شقيا تمسا ، وهل احد
اشقى من المصابين بمرض الشك والالحاد والتفسخ والعريضة ؟ . اللهم امنن
علينا بنعمة الايمان والاستقامة .

ان هؤلاء المرضى تمسا معذيين ، وطوبى للمؤمنين المستقيمين وهنينا
لهم الطمأنينة التي يعيشون سعداء آمنين في ظلها .

ومن المؤسف ان ضحايا الزيف والاباحية الذين يترنحون تحت ضربات
الشك والحيرة والقلق ، هم (او اكثرهم) من الشباب المثقف او الشيوخ
المتصابين المتسمين باسم الادب والثقافة) الذين جنحت بهم سفينة الحياة
عن طريق الاستقامة والهدى ، الى شاطئ الضلال ليكونوا فئة للمنحرفين
والسفهاء ، حيث صاروا بمثابة خصم عنيد لكل ما يدعو اليه هذا الدين من
فضيلة واستقامة وتحفظ ، بل نصبوا من انفسهم محامين يذبون عن السفهاء
ويتولون المرافعة عن الضالين ، تحت ستار الدفاع عن الامة - وما ارادوا الا
الدفاع عن انفسهم المنحرفة .

فكم راينا هذه الفئات (في اكثر من بلد اسلامي) يغلي الدم في عروقها
ولا تكاد تملك نفسها غضبا ، عندما ترى سوط حق ينهال على ظهر فسق او
ضلال ، وكم رايناها واقعة عقيرتها في تساند عجيب ووقاحة اعجب شاكية
باكية ، طالبة اخراس اصوات الحق وتحطيم اقلام الهداية بدعوى ان اصحاب
هذه الاقلام يشتطون في التعبير ويتزمتون في الحكم ولا يرعون للشعب

حرمة ولا كرامة ، حيث يصدر عن احكاما عمومية على جميع افراد نساء
ورجالا بالسفه والضلال ، مما يعرض الامة (بزعمهم) لفتنة لا يعلم مداها
الا الله .

وما ارادوا (والله) حفظ كرامة ابناء الشعب ، فهم على اهدارها
احرص ، وانما ارادوا حماية عناصر الفساد والتحلل وحراسة مواكب الفسق
والانحراف لتشق طريقها في حرية وامان ، دون أن يعترضها معترض ، أو
حتى ينكر عليها منكر بقلمه أو لسانه .

وهل مما يعرض كرامة ابناء الشعب للهدر والامتهان أن يقف اصحاب
الاقلام المخلصة لتحذير الشعب اياه من شرور شرذمة فاسدة متحللة ، هدفها
الاكبر أن يكون كل ابناء الشعوب الاسلامية على مستواها اباحية وضللا ؟؟
فأي خطر بالله على ابناء الشعب من أن يشير لهم كاتب الى هذه
الشرذمة الفاسدة التي تعرف برسمها من غير حاجة الى ذكر اسمها ، ويحذرهم
منها ومن شرورها ومفاسدها ؟

وهل فلان وفلان ، وعلان وفلتان ، وامثالهم من افراد العصابة اياها
والتي لا ينطبق وصف السفهاء على سواها ، هل هؤلاء هم كل افراد الشعب،
حتى يعتبروا التنديد بالسفهاء والمطالبة بالضرب على ايدي المضلين تهكما
على الشعب كل الشعب ؟؟

محمد احمد باشميل

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية
جمادى الاولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

اعتراف ورجاء

لا شك أن الخوض في مثل موضوع كتابنا هذا ، هو مركب صعب وطريق شتاك يصعب على سالكه المرور فيه دون أن يقع في الخطأ - وخاصة إذا كان على مستوى المؤلف من حيث القصور وعدم الكمال - إلا أنني مع هذا سلكت هذا الطريق وركبت هذا المركب الصعب الذي لا يخلو من مقامرة، أو هو المقامرة بعينها (بالنسبة لي) .

ولهذا فإني على ما يشبه اليقين بأن الكتاب لن يخلو من الايخطاء سواء من الناحية الدينية أو العلمية .

غير أن الذي أرجو أن يكون لي شفيعا عند القراء الكرام (وخاصة علماء الدين الافاضل) هو أن هذه الايخطاء التي قد يجدونها هي ايخطاء غير مقصودة ، وإنما هي نتيجة القصور البشري الذي هو ملازم لكل انسان .

يضاف الى ذلك أن هدفي في الاول والاخير من تأليف هذا الكتاب هو الدفاع عن الحق والذب عن عقيدة التوحيد وكشف شبه الملحدين واظهار بطلانها لئلا يغتر بها الشباب المسلم المثقف الذي طالما قدمت اليه في اطباق العلم الزاهية فاغتر بها البعض فاستساغها على أساس أنها من جملة العلوم الراقية .

والله وحده يعلم كم بذلت من الجهد المضني في اخراج الكتاب ، وقد بذلت لاتباع الحق واجتناب ما يخالفه قصارى جهدي ، فان أصبت فبتوفيق الله وإن أخطأت فما أنا إلا بشر يخطئ ويصيب .

وأرجو من القاريء الكريم أن يشرفني - كتابة في الصحف أو مراسلة خاصة - بالتنبيه الى أي خطأ يراه في هذا الكتاب لائلافاه وأقوم بتصحيحه، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف

الفصل الأول

- * وصف نظرية داروين كما هي .
- * الرد على الجناح الالحادي في النظرية .
- * أهم الاعتراضات على مذهب داروين .
- * قواعد النظرية وبراهينها .
- * القول الفصل في النظرية من ناحية ثبوتها او عدمه .

دارت بيني وبين أحد الشيوعيين العرب عدة مناقشات صريحة حول ما يدعيه الملحدون من انكار الخالق سبحانه وتعالى ، ويهرفون به من تأليه الطبيعة واعطائها صفة القادر على كل شيء .

وقد دارت هذه المناقشة في عدة جلسات ناقشنا فيها اهم شبه الملحدين وهدمناها واحدة واحدة ، وقد حضر كل جلسات المناقشة جمع من الشباب المثقف الذين شارك البعض منهم في هذه المناقشة .

وقد أدت بنا الاستطراد والتوسع في البحث الى مناقشة (نظرية داروين) التي هي احدى نقط الارتكاز التي يستخدمها الملحدون للتشويش على عقائد السطحين من المثقفين ، بغية جرهم الى هاوية الكفر والالحاد .

وقد تضمن جميع محاضر هذه الجلسات كتاب كبير سنصدره قريباً ان شاء الله تحت عنوان (افي الله شك ؟) الا اننا رأينا (مع هذا) أن نفرد البحث الخاص (بنظرية داروين) في هذه الرسالة التي أسميناها (الاسلام ونظرية داروين) (١) .

(١) بالرغم من اننا افردنا هذا البحث الخاص بنظرية (داروين) في هذا الكتاب الا ان هذا البحث سيبقى (كما هو) جزءاً من كتابنا (افي الله شك !!)

ترجمة داروين

هو ، (تشارلز روبرت داروين) العالم البريطاني الطبيعي الشهير ، ولد (داروين) في ١٢ شباط ١٨٠٩ وتوفي في ١٩ نيسان ١٨٨٢ م ، كانت امه ابنة صانع خزف اسمه (ودجود) ادخله والده في كلية يسوع بجامعة كيمبريدج لينخرط في سلك اللاهوت ، وبعد ان اكمل دراسته في تلك الكلية ، قام - سنة ١٨٣١ م - برحلته الشهيرة حول العالم التي استغرقت -

وهذا هو البحث المستقل الذي جاء (ضمن المناقشة) بعد أكثر من ثلاثين جلسة .

ففي الجلسة الثانية والثلاثين - وبعد أن أثبتنا للأخ المستفسر أن القول بدوران الأرض حول الشمس ليس فيه ما يتصادم مع أصول الإسلام أو يتنافى مع الاعتقاد بوجود الله تعالى - قلت للشيعوي الملحد :

ان للنقاش بيننا وبينكم بقية ، فهو لم ينته بعد .

فهناك أمور على جانب كبير من الأهمية وشئبه لم نتطرق الى بحثها ومناقشتها ، هي من أكبر الأدوات التي يشغب بها الملحدون على المؤمنين .

ولعل أهمها نظرية التطور والارتقاء ومذهب العشوائية ، والتولد الذاتي والمصادفة . (٢)

= خمس سنوات ، وقد كانت هذه الرحلة ضمن البعثة العلمية البريطانية التي أوفدت على ظهر السفينة « ببغل » وقد اطلع داروين في هذه الرحلة الطويلة على الكثير من أسرار عالم الحيوان والنبات ، ولم يكن قبل رحلته تلك قد شاع عنه القول بالتطور والارتقاء ، بل لقد كان يعرف أن « لامارك الفرنسي » يقول بهذا القول ، ولكنه كان حتى قبل قيامه برحلته على ظهر « الببغل » يرى أن ما يقوله « لامارك » حول التطور والارتقاء ، ضرب من الهوس ، ولكن ملاحظاته على ما شاعده في بحوثه على الحيوانات والنباتات جعلت منه قطبا لنظرية التطور والارتقاء التي سميت فيما بعد باسمه ، فقد كانت ملاحظاته في تلك الرحلة أساسا لمؤلفاته الشهيرة التي أقعد بها العالم وأقامه ، وأيد بها القول بنظرية التطور والارتقاء ، وقد كان أهم كتبه في هذا الباب هو « أصل الأنواع عن طريق الاصطفاء النوعي » إذ أنه سند نظريته الشهيرة ، وقد وقف داروين حياته كلها للبحث في التطور والارتقاء وتدعيم النظرية القائلة به ، وقد أحدثت كتبه حيال هذا الأمر هزة عنيفة في العالم ، وخاصة بين رجال الكنيسة ، فتمرض من أجل ذلك لحملات عنيفة شموعا ، فانشغل العالم الغربي كله بهذه النظرية ، واحتدم الجدل بين معارضيها ومناصريها بشكل لم يسبق أن حدث من أجل نظرية من النظريات ، قال العالم الشهير « باسكال » مرة « أن وجه العالم كله قد تغير من جراء شكل أنف كيلوباترا » ، وبعد ألفي سنة تقريبا تغير وجه التاريخ مرة أخرى من جراء شكل أنف آخر هو أنف داروين .. لم يقل داروين (كما أشيع عنه) أن أصل الإنسان قرد ، وإنما قال .. أن الإنسان والمجموعة الشبيهة به كالشمبانزي متحدران من أصل واحد ، وذلك في كتاب أصدره بعنوان (تحدر الإنسان) عام ١٨٧١ م . تزوج داروين عام ١٨٣٩ م ، كان داروين من سكان لندن إلا أنه عام ١٨٤٢ م انتقل منها الى (داون) وبقي بها مقيما حتى توفي ، نال داروين وسام الاستحقاق البروسي سنة ١٨٧١ م وفي ١٨٧٨ صار عضوا في الأكاديمية الفرنسية ، وقد عمل داروين سكرتيرا للجمعية الجيولوجية من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٤١ .

(٢) مزاعم الملحدين ومشاغباتهم عن طريق القول بالتولد الذاتي ، قد ناقشناها في هذا الكتاب (ضمن مناقشتنا لنظرية التطور والارتقاء) لملائمتها الوثيقة بهذه النظرية ، والقائل بها ليس (داروين) وإنما هو (لامارك) و (أرنست هيكل) أما دعوى الملحدين وتشبيهم بالعشوائية والمصادفة كأهم ركنين من أركان ملهبيهم ، فقد نقضناها (من جميع وجوهها) في كتابنا (أي الله شك !!) الذي سيكون التالي لهذا الكتاب ان شاء الله ..

فقال .. انني على استعداد تام لمناقشة اي من هذه الموضوعات وعلى اي مستوى تريد ، وثق انني مستعد للنقاش حتى يأتي قفل باب المناقشة من جانبك أنت .

فقلت له .. عظيم جدا .

ثم التفت الى مجموعة الشباب المسلم الذين حرصوا على حضور كامل جلسات المناقشة ، وقلت لهم :

هل من ملاحظة أو سؤال يمكننا التشرف بالاجابة عليه ؟

فقال أحدهم ، وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره :

لقد تكرر منك القول مراراً فيما مضى من جلسات بانك ستناقش الشيعي الملحد حول نظرية التطور والارتقاء التي هي (كما تشير دائماً) إحدى الدعائم التي يتمكك بها الماديون لنصر مذهبهم الإلحادي .

فهل لك أن تشرح لنا (باسهاب) حقيقة هذه النظرية ، وما هو مبلغها من الصحة ، ومن هم أبطالها وبالتالي (وهو الأهم) ما هو موقف الاسلام من القائلين بهذه النظرية ؟؟

ثم أردف قائلاً .. ان الخوض في نظرية التطور والارتقاء طالما كان مبعث جدل وخصام بين الشباب المثقف بل طالما جر الكثير منهم ووقف به على شفير الإلحاد ، وحيث ان الخوض في هذه النظرية اصبح أمراً لا مفر منه بسبب كثرة ما ألف وتشر وشاع عن هذه النظرية بين طبقات المثقفين ، فانا نود معرفة القول الفصل في هذه النظرية من جميع النواحي .

ما هي نظرية التطور والارتقاء ؟

فقلت له ... ان نظرية التطور والارتقاء خلاصتها ، أن انصارها يزعمون أن الحياة الاولى للانسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الارض بجرثومة أو جراثيم قليلة تطورت من حال الى حال تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت الى هذه التنوعات التي نراها وعلى رأسها الانسان .

وعلى هذا فان الانسان عندهم بدأت حياته على ظهر الارض بجرثومة صغيرة تحولت الى حيوان صغير ثم تدرج هذا الحيوان وارتقى الى حياة حيوانية بدائية فالى حيوانات اكبر فاكبر ريشية ومجنحة ثم تحولت الى ذوات فقرات ثم ارتقت الى حيوان اشبه بالانسان ، ثم كانت نهاية هذا التطور انساناً اول ، لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ثم انساناً كاملاً وهو المشهود اليوم بعقله وتفكيره وادراكه .

ويقولون ان هذه التحولات والتطورات والترقيات جاءت بعد صراع مرير بين هذه الكائنات وبين عوامل الطبيعة وتقلباتها وبين نفس هذه الكائنات الحية بعضها مع بعض ، عبر آلاف القرون من اجل البقاء .

كيف بدأت الحياة عند داروين ؟

فهم يقولون (مثلا) ان الحياة الاولى عندما وجدت حول المستنقعات كان عليها أن تصارع من اجل البقاء وان اول عمل وقائي لتحصين الحياة ضد الفناء هو أن تفلت هذه الحياة بصدف كلسي يقيها من الحرارة (٣) .

ويقول لامارك (مؤسس نظرية التطور والارتقاء) : ان اول درجات سلم الكائنات الحية والذي هو بداية البداية التي نشأت منها صور الحياة الأخرى (بمختلف أنواعها) هو (البوليپ) .

والبوليب هذا وصفه (لامارك) (٤) بقوله .. انه ليس له أعضاء خاصة

(٢) جاء في كتاب (البدء والتاريخ) للامام البلخي وهو من علماء القرن الثالث الهجري . . ان الحيوان (كل الحيوان) قد تولد من الرطوبة وأنه كان يغشاء قشر مثل قشر السمك ، ثم قال (وآدم حيوان) فعند بعضهم ان آدم تولد من رطوبة الأرض كما يتولد سائر الهوام ، وعند بعضهم انه ظهر شيئا بعد شيء ثم تركب واتصل على مرور الزمان وصار انسانا ، وهذا يعني ان نظرية التطور والارتقاء كانت معروفة بين فئات المفكرين المسلمين قبل ان يولد داروين بمئات السنين .

(٤) هو عالم فرنسي اسمه (جان بايست لامارك) ولد (لامارك) سنة ١٧٤٨ م ، كان ابن أحد النبلاء في فرنسا ، وكان في أول شبابه يدرس علم اللاهوت ، ثم بعد موت أبيه التحق بالجيش الفرنسي الذي عمل فيه جنديا فخاض المارك ضد الألمان في حرب السنوات السبع ، وقد ترقى لامارك الى رتبة ملازم ، بعد نجاحه في انتقاد بقايا فرقة فرنسية إبادة الألمان جميع ضباطها وكثيرا من جنودها ، ثم سرح (لامارك) من الجيش على اثر ألم أصابه في الفخذ اللفافية بريقته ، فبدأ (بعد ذلك) بدراسة الطب ، إلا انه ترك دراسة هذا الفن بعد أن التقى بالفيلسوف الشهير (جان جاك روسو) الذي كان يقوم بالتدريس في علم النباتات ، وواصل (لامارك) دراسة علم النبات ثم تلمذ على عالم النباتات الشهير (برنارده جوسيه) كما انه أيضا درس علم الفلك ، وقد توسعت معارفه فبرع في الطبيعيات ، حتى ان أول كتاب ألفه هو (علل أهم الوقائع الطبيعية) وذلك عام ١٧٧٦ . وفي عام ١٧٧٨ أصدر كتابا في ثلاثة مجلدات اسمه (النبات الفرنسي) ، وأثناء درسه في الطبيعة برع في هذا الفن ، حتى عين سنة ١٧٩٤ أستاذا لعلم الحيوانات اللاقارية ، وبهذا بدأت فلسفته العلمية فاتجه الى القول بنظرية التطور والارتقاء وأعلن ذلك عام ١٨٠٠ م وفي عام ١٨٠٩ م أصدر كتابه (فلسفة الحيوان) الذي شرح فيه مذهبه في التطور والارتقاء ، ومذهب (لامارك) في التطور والارتقاء لا يختلف من حيث القواعد مع نظرية داروين ، إلا ان لامارك يعتبر زعيم الجناح الإلحادي في هذه النظرية ، حيث زعم ان الحياة الاولى تولدت من المادة تولد ذاتيا ودونما تدبير من مدبر أو ارادة من مريد ، وقد نقضنا هذه المزاعم الباطلة عند مناقشتنا لآراء الفيلسوف (لامارك) فيما تروى من هذا الكتاب . مات (لامارك) عام ١٨٢٩ م .

للحس أو التنفس أو الدوران أو التكاثر وأنه لا شيء فيه إلا قناة بسيطة منفردة للاغتذاء ، وأنه يستطيع أن يمتص غذاءه من خلال أي جزء من أجزاء جسمه ، وأن أنواع البوليبي هذا لضالة جسمها تكاد تكون غير ذات شكل معين كأنها كريات من الهلام والجلاتين .

كيف تتحول الأنواع إلى غيرها ؟

وهكذا فاقطاب نظرية التطور والارتقاء يرون أن أبسط الكائنات الحية (البوليبي أو ما شابهه) قد نشأ عنه كل ما عداه من الأحياء ومنها الإنسان وذلك بعد سلسلة طويلة من التطورات تحولت أثناءها أنواع من هذه الأحياء إلى أنواع أخرى أرفع منها ، تخالفها في الشكل والطبيعة واللون . وعلى هذا فإنهم يرون أن حيوانات كانت تعيش على بطنها قد تحولت إلى حيوانات ذوات أربع وأن ريشيات ومجنحات قد تطورت إلى غيرها من ذوات الفقرات ، وهم بهذا يصلون إلى القول بأن الإنسان ما هو (في الأصل) إلا حيوان بسيط تحول من نوع إلى آخر وارتقى من الأدنى إلى الأعلى حتى وصل إلى ما هو عليه من كمال ، ومثل هذا يقولونه في النباتات من حيث تطورها وارتقاؤها وانتقالها من نوع إلى آخر .

وهم يصرحون بأن هذه التغيرات والتطورات التي بها يتغير الحيوان وينتقل من نوع إلى آخر تجيء دائماً تبعاً لتغير البيئة وتبدل ظروف المعيشة فهم يقولون أن هذا التطور والتغير قد حدثا لأن الحيوان قد تغيرت بمرور الزمن كي يلائم بين نفسه وبيئته وأن السلوك وطريقة الحياة التي كان يعيش فيها أسلافه هي التي شكلت على مر الزمن صورته الجسدية وأعضائه وخصائصه ، وأن لاستخدام الأعضاء أو اهمالها أثراً في بقاء النوع على ما هو عليه أو تغيره إلى سواء ، فأعضاء الحيوان إذا أهملت مثلاً ، لعدم الحاجة إلى استعمالها لتغير الظروف فإن هذه الأعضاء تضمر وتلدو ، وهنا يأتي دور ظهور أعضاء جديدة (ظهورها ضروري لبقاء النوع) يستطيع بها الحيوان العيش في البيئة الجديدة ، ومن هنا يبدأ تغير النوع وتحوله من نوعه إلى نوع آخر وبمثل هذه الطريقة تتحول الأنواع وتتطور وترقى .

فالبوليبي (مثلاً) يتغير بتأثير بيئته على مر آمادٍ متطاولة من الزمن حتى يصبح واحداً من المشيمعات وهذه تتحول إلى ديدان ، وتلك تصبح بدورها على مر الزمن حشرات ، وهكذا تذهب الأحياء صاعدة فوق درجات السلم حتى تترقى إلى قمته حيث تتربع الثدييات (*) والتي على رأسها الإنسان .

(*) رجال ومجاهد من ٨٦ للسيدة كاترين ب. شيبين ، ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد .

هذه هي خلاصة نظرية التطور والارتقاء التي يزعمون ، والتي يطلق عليها اليوم اسم (نظرية داروين) .

اول المؤسسين لنظرية التطور والارتقاء

اما قطبا هذه النظرية فهما :

١ - لامارك وهو مؤسسها .

٢ - داروين وهو مطوّرها وحامل لوائها وباذل عمره في سبيل تعضيدها ونشرها .

الا ان القائلين بنظرية التطور والارتقاء مع اتفاقهم على اصول هذه النظرية ، فانهم يختلفون من حيث النتائج الفلسفي للنظرية ازاء العقيدة الدينية .

ففرق بينهم قد جعل من هذه النظرية مطلقاً للدعوة الى الالحاد وجعلها سنداً له في انكار العقيدة الدينية واتخذ منها فلسفة لنفي الخالق سبحانه وتعالى واعطى المادة صفة القادر على كل شيء ، وعلى رأس هذا الفريق الفيلسوف الفرنسي (لامارك) والعالم الالماني (ارنست هيكل) (٥) والبروفسور

(٥) هو احد كبار فلاسفة الطبيعة الالمان واسمه (ارنست هنريخ هيكل) ولد عام ١٨٢٤ وتوفي عام ١٩١٩ ، درس علم الطب ونال فيه درجة الدكتوراه ، ولكنه هجر مهنة الطب ورجع الى دراسة الطبيعيات فبرع فيها حتى صار يعد من الرعيل الاول في علم الطبيعة بين فلاسفة المانيا ، وكان كثير التحصيل في الدراسة .. تلقى مختلف العلوم في برلين وودزبورغ وفيينا .. وكان قد سمع (بداروين) وآرائه في التطور والارتقاء فكان يتمسب له وينافح عن نظريته في كل مكان ، وكان على نقض (داروين) عنيدا مجاهرا بالكفر والالحاد ، فقد كان يملن (في وقاحة وتبجح) انه ليس ثمة من اله ، ولقد راح (في عناد) ينشر في الناس افكاره الفلسفية التي تدعو الى تاليه الطبيعة وانكار وجود الله تعالى ، وكان (هيكل) يقول بالتولد الذاتي (كما يقول لامارك) الا ان هيكل جعل من نفسه داعية للالحاد في أوروبا ، وكان يقول صراحة (بوحدة الوجود) وهي نظرية الحادية فحواها ان الكون لم يخلق على يد اله بائن عن الكون ، وانما جاء خلق هذا الكون نتيجة طريقة عظمى للنشوء الطبيعي والحركة الدائبة الابدية الملازمة للمادة منذ الازل ، وقد نسفنا هذه المزاعم السخيفة في كتابنا هذا عند مناقشة آراء هذا الفيلسوف العنيد .. وقد سرى في أوروبا نأ الحاد (هيكل) فكره المؤمنين بان الله وحاربوه ، حتى انه مرة وقف في حشد حافل من علماء الطبيعة يلقي محاضرة عن نظرية (داروين) ولكنه لم يكذبها هذه المحاضرة حتى أخذ العلماء في مفادرة القاعة وتركوه وحده يحاضر بقاعة ليس فيها غير القاعد الخشبية ، وعندما حضر (هيكل) الى روما ليشهد مؤتمر احرار الفكر أمر البابا بإقامة الصلوات في الكنائس لطرد روح (هيكل الشريرة) بزعمهم ، وقد منعت جميع كتبه من التدريس وهي (أحجية الكون .. تاريخ الخليقة .. عجائب الحياة .. الحلقة الأخيرة ، ونشوء الانسان) ولم يسلم من المنع الا كتابه (علم التركيب العضوي .. والرسم البياني للشعاعيات .. والحياة في البحار) ، وقد التقى (هيكل) (بداروين) في انكلترا عام ١٨٦٦ م فكان (هيكل) يقول ان ذلك اليوم من أعظم ساعات حياته .

الشيوعي (أوبارين) وغيرهم من ماديّين وشيوعيين .

وفريق لم يستند الى هذه النظرية في انكار العقيدة الدينية ولم يجعل منها قاعدة للدعوة الى الالحاد وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، ولم يزعم انه (بها) يفسر سر الحياة او سر الكون ، وانما كان همه الوحيد البحث عن اصل الانواع الحية وتكوين فكرة عن اصل نشأتها وصلة بعضها ببعض ، ومعرفة الاحوال والمؤثرات والتقلبات التي تعرضت لها عبر آلاف القرون ، وعلى رأس هذا الفريق العالم الشهير (تشارلز داروين) حامل لواء نظرية التطور والارتقاء .

ثم قلت له .. ولان الفريقين لا يختلفان في النظرية الا من حيث النتائج الفلسفي لها ازاء العقيدة الدينية من حيث استخدامها او عدم استخدامها للدعوة الى الالحاد وانكار الخالق ، فان مناقشتنا للفريقين بشأن جوهر هذه النظرية (من ناحية ثبوتها او عدم ثبوتها) ستكون مناقشة واحدة لاتفاقيتهما في الاصل .

بين داروين ولامارك

فقال .. وهل هناك اختلاف جذري بين الفريقين في جوهر نظرية التطور والارتقاء ؟

فقلت له : كلا !. ليس هناك اي اختلاف جذري ، فهما متفقان على اصول هذه النظرية اتفاقاً كلياً ، الا ان الفيلسوف (لامارك الذي سبق داروين الى القول بهذه النظرية بأكثر من خمسين سنة) لم يضع لهذه النظرية تفسيراً علمياً حيث كان يرجع وقائع التطور والتحول والارتقاء الى المصادفة والزمن . كما ان مذهب التطور والارتقاء الذي اعلنه لامارك ظل ضعيفاً امام مذهب الخلق المستقل ، الى ان جاء (داروين) فوضع للمذهب التطور والارتقاء تفسيراً علمياً كما سنوضحه فيما بعد) ثم دفع بهذا المذهب الى الامام بقوة وذلك عندما اصدر كتابه الشهير (اصل الانواع) وكتابه (تلسل الانسان) اللذين قابلهما الناس بعاصفة من النقاش والجدل مما اعطى مذهب التطور والارتقاء أهمية ما كانت له في عصر الفيلسوف لامارك

وفي غمرة النقاش والجدل الذي دار حامية حول داروين وما سجله من بحوث وآراء واستنتاجات بشأن نظرية التطور والارتقاء نسي الناس (او كادوا) الفيلسوف (لامارك) واضع اسس هذه النظرية ، وغلب اسم (داروين) على نظرية التطور والارتقاء حتى صار اسمها مقروناً باسمه حيث عبر عنها الناس فيما بعد باسم (نظرية داروين) .

جناح الالحاد في النظرية

غير اننا قبل التعرض لمناقشة جوهر النظرية على صعيد العلم والواقع لا بد لنا من ان نناقش فيها الجانب الالحادي الذي حمل لواءه (باسمها) ارنست هيكل واوبارين وقبلهما لامارك وغيرهم من ماديين وماركسيين استفلقوا اهتمام الناس الشديد (علميا) بهذه النظرية واقبالهم على الاعتناء بها ودراستها ، فصاروا يتخذون منها شركا يصطادون بوساطته صغار العقول من البسطاء الذين قلّ حظهم من الثقافة الدينية فيرمونهم في هاوية الالحاد ، وذلك عن طريق تفسيرهم لهذه النظرية تفسيراً يدخلون بوساطته (وباسم العلم) في روع هؤلاء البسطاء المجردين من الحصانة الروحية والدينية ان واقع الوجود وطبيعة الكائنات الحية وتطورها وتحول بعضها عن بعض واشتقاق بعضها من البعض الآخر (كما هي قواعد نظرية التطور والارتقاء) من انتخاب طبيعي واصطفاء نوعي ، يجعل من غير الضروري الاعتقاد بوجود خالق يتولى ادارة هذا الكون وتنظيمه ، لان المادة (كما يزعمون) بطبيعتها وخصائصها الملازمة لها تقوم مقام هذا الخالق في ذلك (٦) .

فالجناح الالحادي من انصار هذه النظرية يزعم ان الحياة الاولى جاءت نتيجة تفاعل طبيعي بين اجزاء من المادة . . هذه المادة التي يزعمون انها كانت ولم تزل قادرة (بطبيعتها) على اعطاء الحياة ، ولهذا فهم ينكبرون ان تكون الحياة من صنع قوة فوق الطبيعة .

فهذا الجناح الالحادي (عندما يتحدث عن مراحل التطور والارتقاء) يخرج من حسابه قوة ما فوق الطبيعة (وهي القوة الالهية) لان حالة المادة (يزعمهم) لا تحتاج الى هذه القوة ، فالطبيعة الملازمة للمادة (بحركتها الدائبة) هي التي تخلق وتبدع وتنوع وتطور وتصطفى وتبيد .

ما هي الطبيعة عند الملاحدة ؟

فقال : وما هو تفسير الطبيعة عند هؤلاء الملحدين ؟ وماذا يعنون بها على وجه التحديد ؟

فقلت له : فسّر (لامارك) الطبيعة بأنها القوة العامة الملازمة للمادة المنزهة عن الفساد التي لا تفتر عن التأثير في المواد طرفة عين غير انها مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين ، هكذا يقول لامارك .

(٦) قد فندنا هذه الزاعم الباطلة في كتابنا القادم (اني الله شك ٢٢) وذلك على نطاق اوسع حيث اثبتنا بالحجج العقلية الدامغة والبراهين العلمية القاطعة فساد مزاعم هؤلاء الملحدين التي يرفضها العقل وكذبها الواقع .

ووصف الفيلسوف (ليتريه) الطبيعة في كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسية) بقوله :

يظهر لنا أن الأسباب التي أوجدت الكون هي ذاتية فيه غير متميزة وهي التي نسميها نحن بالنواميس الطَّبْعِيَّة . فلأمارك ، ومن على مذهبه من الماديين يزعمون أن ظهور الأحياء إلى الوجود قد تم بفعل الطبيعة (مباشرة) وأن تنوع الأحياء إنما حدث بقوة الطبيعة اللازمة للمادة وعلى طريقة النشوء والتحول والارتقاء .

كيف تتولد الحياة عند لامارك

وإذا كان العلامة (داروين) قد أعلن عجزه عن معرفة سر الحياة وكيف ومم تكوّنت ، فإن (لامارك) يزعم أنه قد عرف كل ذلك عن الحياة .

فهو يزعم أن الحياة قد تكونت من المادة مباشرة بفعل الطبيعة وعلى سبيل المصادفة ، وذلك بعد عملية مزج مواد مخصوصة بعضها ببعض . يقول :

إن الطبيعة تولد بعض الكائنات توليداً مباشراً ، فتعتمد إلى تكوين منسوج خلوي من الكتل الصغيرة للمادة الجلاتينية (تشبه القراء) التي تجدها تحت يدها ثم تملأ هذه الكتل الخلوية الصغيرة في الأحوال الموافقة بالسوائل المناسبة و (تحيئها) بتحريك هذه السوائل بواسطة سوائل الطف منها طبيعتها التهييج تأتيها (على الاستمرار) من البيئات المحيطة ..

ويقول عن قوة الحياة .. أنها ليست بقوة خاصة وإنما هي نتيجة خاصة لبعض المركبات ، وجودها وفتي فيها ، وأن الأنواع الحية لم تتكون إلا شيئاً فشيئاً ، ووجودها نسبي وبقاؤها محدود ، والطبيعة في تكوينها الحيوانات بدأت من الأدنى فما فوقه حتى انتهت إلى الأعلى . ولا فرق (عند لامارك) في ذلك بين النباتات والحيوانات إلا في الحس ، والحياة عند (لامارك) عرض طبيعي وليست بأصل مستقل (٧) .

نقض مزاعم الملحدين بشأن قدرة الطبيعة

وبعد أن انتهيت من هذا الحديث قلت للشيعوي الملحد :

أوليس هذا ما يقوله الفيلسوف (لامارك) بشأن الحياة والأحياء والمادة ؟

(٧) الآيات البيّنات ، ص ٦٨ للسلطان صالح بن غالب التميمي .

فقال : بلى ! ان هذا هو جوهر مذهب العلامة (لامارك) وقد تابعه عليه العلامة (ارنست هيكل) وغيره من الفلاسفة والعلماء التقدميين .

فقلت له : ولكن الفيلسوف (لامارك) بعد أن أعطى طبيعة المادة صفة القدرة على الخلق والتطوير والابداع والتنزه عن النقص ، قال : ان هذه الطبيعة مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين ثابتة قاهرة تخضع لها ابد الأبد .

فقال : نعم ! وهذا هو الواقع ، لاننا لو سلمنا بأن الطبيعة تتصرف بعقل وقصد وادراك لكان ذلك منا اعترافا بفكرة وجود الاله الخالق ، وهذا ما ننفيه بشدة .

تناقض المحدثين بشأن الطبيعة

فقلت له : ولكنكم معشر الماديين تقومون بقولكم هذا في احط انواع الخلط والتناقض ...

فقال : وكيف ؟

فقلت له : الستم تزعمون ان كل كائن حي (ومن ذلك الانسان) انما صنعتها المادة بطبيعتها الازلية الخلاقة ، وان هذه المخلوقات كلها قد تكونت بواسطة حركة المادة القهرية اللازمة لها من الازل ، وان كل ذلك قد تمّ وصدر عن المادة دون ان يكون للمادة وطبيعتها اي قصد او علم او ارادة ، لان المادة ، بحركتها مجردة عن العقل والشعور ومحكومة بقوانين ؟؟

فقال .. بلى وكل عباقرة العلم المحققين يقولون بهذا .

لا يكون الخالق احط من المخلوق

فقلت له .. كيف يمكن لعامل يحترم نفسه ان يسلم بأن السافل الناقص العاجز الاخرس الابكم المجرد عن العقل والشعور والادراك ، (وهذه منزلة المادة والطبيعة) يستطيع ان يخلق الاعلى القادر العاقل المتكلم الناطق المفكر (وهذه صفات الانسان) ثم يرعاه ويسيره بل ويطرده وينميه ؟؟؟ .

فهل يصح في قضية العقل ، ان يكون الخالق المبدع المتصرف احط من المخلوق ، والصانع المبدع ادنى من المصنوع ؟؟؟ .

هذا ما يقوله الفيلسوف لامارك ، ويريد منا أن تؤمن به ، حيث يزعم ان المادة الخرساء الجامدة الميتة (في ظل الطبيعة العمياء البكماء الميتة) قد

صنعت كل كائن حي وأشرفت على تطويره وترقيته ومن ذلك الانسان العاقل
المدرک المفکر .

فهل تريدون (معشر الملحدين) تناقضا أشنع من هذا ؟؟ .

ان شيخ الملحدين (لامارك) يتابعه في ذلك داعية الالحاد في المانيا ،
ويسانده العالم السوفياتي اوبارين (٨) ، كل هؤلاء وأمثالهم من دعاة الكفر
والالحاد ، في الوقت الذي يزعمون فيه .. ان الطبيعة المنزهة عن الفساد
قد تولدت خلق كل كائن حي ، وأنها القوة القاهرة العامة التي لا تغلها قوة ،
يعترفون (في الوقت نفسه) - كما قال عمدتهم .. لامارك .. بأن هذه
الطبيعة خاضعة لغيرها ومحكومة بقوانين تتحكم فيها لا تستطيع الخروج عن
توجيهها .

وهكذا يدفع الحرص على انكار الاله الخالق ، هؤلاء الماديين الى الوقوع
في أشنع أنواع التناقض المفضوح .. فبينما نرى الفيلسوف (لامارك) يرفع
المادة والطبيعة الى أرقى درجات الكمال فيعطيهما صفة القادر على كل شيء
المنزه عن كل نقص حينما يقول :

إنها القوة العامة المنزهة عن الفساد والقادرة على الرعاية الابدية والخلق
والإبداع .. اذا به يجردها من هذه الصفات ، فيضعها في مكانها ، ويهوي
بها الى منزلتها ، منزلة العاجز الربوب بين المخلوقات ، المحكوم بغيره والحاج
الى سواه ، حيث يقول :

إنها (اي المادة) بطبيعتها مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين .

ان لامارك هنا اراد بهذه الفلسفة انكار وجود الاله الخالق ، ولكنه (في
هذه الفلسفة) قد اعترف من حيث لا يعلم (مرغما) بوجود الله تعالى .

(٨) اوبارين عالم سوفياتي طبيعي كبير ، يردد اليوم نفس الزاعم التي كان يردد
لاسفة الالحاد (امثال هيكل ، ولامارك) فهو يزعم (كما يزعم ارنست هيكل) ان المادة
بطبيعتها دائمة التحرك والتحول والتدرج ، وأنه بإمكان الانسان صنع كائن حي من طريق
رج عناصر مخصوصة وعلى ارادة مخصصة ، تتفاعل بدانها تفاعلا كيمياويا وبيولوجيا كما
حدث (بزعمه) عند ظهور الحياة الاولى منذ ملايين السنين ، ولكن العالم الشيوعي (اوبارين)
قد ارتج عليه عندما سأله البعض هل هذا التفاعل الكييمي الطبيعي في المادة قادر الآن على ايجاد
الحياة بالطريقة التي زعم انبثاق الحياة الاولى بها ؟ فقد تلمس ، ولعلمه بأن هذا القول
خرافة في خرافة ومن السخيل (على أي انسان تحقيقه) فقد قال .. ان هذا لا يزال ممكنا ،
ولكي لا يطالب بالتدليل (عمليا) على صحة زعمه ، قال : ولكن هذا ممكن في كواكب أخرى غير
كوكبنا (يعني الأرض) وهكذا يتلمس الملحدين ، عندما يسعون الى البرهنة على صحة مزاعمهم
الالحادية عمليا .

هكذا يعترف الملحدون بوجود الله

فقال .. وكيف ؟

فقلت له .. انه بفلسفته هذه ، لم يستطع أن يقنع الناس بعدم وجود الله ، بل أثبت للعقلاء وجود الله سبحانه وتعالى من حيث أراد أن ينفيه ويجحده .

فهو يقول ان المادة (التي نسب اليها القدرة على الخلق والابداع) مسيرة لا مخيرة ، ومحكومة لا حاكمة ، وذلك عندما صرح (كما تقدم) أن المادة محكومة بقوانين لا يمكنها الخروج عليها ..

وهذا (بالتأكيد) اعتراف بأن هناك سلطة اقوى من طبيعة المادة واعلى ، سلطة قادرة حكيمة مدبرة .. هي التي وضعت هذه القوانين التي اعترف لامارك بأنها تتحكم في المادة وتسيّرُها ، اذ يستحيل أن توضع انظمة وقوانين دون أن يضعها مقنّن ومنظّم .

وهذه قضية بدئية ، لا يعارض في الاعتراف بها عاقل يحترم نفسه . اذن ، فلم يبق (امام لامارك ومن على مذهبه) الا أن يعترفوا ان الله تعالى وحده هو الذي وضع هذه الانظمة والقوانين التي تخضع لها المادة وتسير بموجبها .

لانه كما قلنا .. يستحيل أن توضع قوانين وانظمة دون أن تضعها ذات عالمة حكيمة ومدبرة .

والا فهل يستطيع الماديون (وقد اعترفوا بأن هناك قوانين وانظمة وضعت للتحكم في المادة والتصرف فيها) هل يستطيعون (اذا ما اصرؤا على انكار وجود الله) أن يخبرونا بالتحديد من هو الذي وضع هذه القوانين التي ذكرؤا ، ومن هو الذي أخضع المادة لهذه القوانين وجعلها محكومة لها ؟؟

ان اللاماركيين وغيرهم من الماديين الملاحدة ، سيظلون عاجزين أبدا عن الاجابة على هذا السؤال - اجابة صحيحة - اذا ما ظلوا مصرين على انكار وجود الله سبحانه وتعالى .

ثم قلت للشيعوي ، فما هو رأيك ، وهل لديك اجابة على هذا السؤال؟؟

فقال .. نعم .. ان هذه القوانين هي من صنع الطبيعة نفسها ، فهي التي (بمرور الزمن وعلى سبيل المصادفة لا القصد) اوجدتها فصار كل ما في الكون (من حيوان وجماد وشجر) خاضعا لحكمها ..

فقلت له .. ان اجابتك هذه ، لا تعدو أن تكون تكرارا مجوجا لما قاله

الفيلسوف (لامارك) وهي اجابة غير مقبولة لانها لا تعني شيئاً .

هل يهب الحياة فاقدتها ؟

لانه (كما قلنا) يستحيل (عقلاً) أن يضع القانون من لا يعلم شيئاً عن القانون ، وأن يهب الحياة ويضع نظامها من ليس بحي في نفسه ، كما أنه من الصفاقة والوقاحة بمكان ، القول بأن المحروم من العقل والادراك هو الذي يمنح العقل ويهب الادراك ، وأن الذي لا يشعر بوجود نفسه يضع لغيره قانون الشعور . . فالطبيعة (التي تعززون اليها وضع نواميس الكون بما فيه من انسان وحيوان وجماد وشجر) هي (كما قال لامارك ويقول كل الملحدون حتى هذه اللحظة) مجردة عن العقل والحياة والشعور والادراك .

فباي منطقي يتمكن للانسان العاقل ان يصدقكم حينما تزعمون ان الطبيعة التي هذا شأنها هي التي اوجدت لكل كائن حي في هذا الكون نظام حياته وقوانين شعوره وادراكه ؟؟ .

حقاً ، ان هذا لهو الهوس الذي لا هوس بعده والتناقض الذي دونه كل تناقض .

ارنست هيكل والتولد الذاتي

ثم قلت للشيوعي الملحد :

قبل التحدث الى الاخوة الحاضرين عن نظرية التطور والارتقاء ، وقبل مناقشة هذه النظرية من الناحية العلمية ، احب أن تشرح لنا وللأخوة الحاضرين خلاصة مذهب عمدة الالحاد في المانيا (ارنست هيكل) ، ليستمع اليها هؤلاء الشباب ، ولتناقشها بحضورهم كما أوعدناهم بذلك .

فقال . . . ان خلاصة مذهب ارنست هيكل - وهو مذهب الماديين جميعاً - هي :

ان الكون كله وحدة متماسكة ، لا خالق ولا مخلوق ، (٩) وانما كل ما في الكون قد جاء نتيجة طريقة عظمى للنشوء ضمن نطاق سلسلة من التحولات متصل بعضها ببعض ، واثناء ترابط هذه السلسلة تؤلف النباتات والحيوانات شجرة سلالة واحدة من الخلية الاصلية (١٠) .

وتفصيل ذلك ان الكون مؤلف من المادة ، والمادة مؤلفة من الذرات ،

(٩) وهذه هي نظرية وحدة الوجود القائلة ان الله هو الكون والكون هو الله .

(١٠) انظر كتاب - مياطرة العلم في الغرب - ص ٢٠٤

ومن هذه المادة ظهر كل ما في الكون من أحياء وغير أحياء ، وحركة العالم هي حركة تطور دائم يبتدىء من أبسط الذرات وينتهي الى أرقى الكائنات .

وهذه الكائنات كلها - حيها وجمادها - تتألف من عناصر واحدة لا فرق في ذلك بين حي وغير حي ، لان عناصر المواد العضوية موجودة في المواد غير العضوية، وأن بالإمكان تحضير بعض مركبات عضوية بطريقة صناعية (١١)، وبهذه الطريقة يمكن أن يوجد الانسان كائنا حيا دونما احتياج الى اله ينفرد بالخلق والتكوين .

هذه هي خلاصة نظرية العلامة أرنست هيكل بشأن الخلق والتكوين .

نقض نظرية التولد الذاتي

فقلت له .. ان أرنست هيكل ، يعني بقوله هذا ، أن أصل الحياة نشأ أول ما نشأ ، من المادة وبطريق التولد الذاتي مصادفة ، وتحت إشراف الطبيعة العمياء ، ودون أن يكون ذلك بقصد وتدبير من سلطة عليا لها صفة العلم والآرادة ، فقال : أجل .

فقلت له .. ولكن كيف تم هذا التولد الذاتي للحياة من الجماد ، وكيف استطاع هذا الجماد الذي هو أخط الكائنات عجزا ، أن يخلق (في ظل الطبيعة الخرساء الميتة) انسانا أو حيوانا يتمتع بما لم يتمتع به الجماد والطبيعة من حياة وشعور وأدراك ؟؟

فقال .. ان هناك توازن نسبي بين مقادير خاصة من العناصر المادية يمكنه (اذا ما تم في أي وقت من الاوقات) أن يوجد كائنا حيا .

وبعبارة أوضح ، يقول العلامة (أرنست هيكل) ان اجتماع عناصر مخصوصة من المادة ، وحسب اوزان مخصوصة كفيلا بأن يخلق انسانا ، سواء تم هذا الاجتماع والتوازن مصادفة أو بقصد سابق ، وبمثل هذه الكيفية تم (مصادفة) ظهور الحياة الاولى على وجه الأرض، ومن هذه الخلية الاولى للحياة استمد (في ظل نواميس التطور والارتقاء) كل كائن حي حياته حتى وصل الى ما وصل عليه الآن ، وستبقى كل فصيلة من الاحياء تمنح نوعها الحياة بالاتصال والتوالد في ظل الطبيعة التي لازمت كل كائن واشرفت على تطوره منذ ظهرت الحياة لأول مرة على ظهر هذا الكوكب .

تخطب الملحين في دعواهم التولد الذاتي

فقلت له .. هنا سؤال امام هذا الهذيان العجيب الذي تسمونه فلسفة وعلماء ، وهو :

(١١) انظر كتاب (قصة الايمان) للفضيلة الشيخ نديم الجبر ص ١٨٨ ط - ١

كيف عرف الفيلسوف هيكل أن الحياة الأولى نشأت على تلك الصورة التي ذكر ، وكيف عرف أن النشأة الأولى للحياة قد جاءت بطريق التولد الذاتي الأوتوماتيكي ، وهو يعترف بأن وجود الحياة على وجه هذه الأرض قد مر عليه ملايين السنين ؟؟.

فهل كان (أرنست هيكل) حاضرا عندما تم توليد الحياة الأولى من المادة أوتوماتيكيا ، وهل شاهد بنفسه كيف تم (داخل الصيدلية الطبيعية للتولد الذاتي) الجمع والموازنة بين المواد غير العضوية التي بمزجها (كما يزعم) تم — مصادفة — إيجاد الحياة الأولى ؟.

أم أنه قد قام (بنفسه) بتجربة عملية أوجد بها (بموجب هذه الطريقة) من المادة إنسانا أو أي كائن حي آخر ؟؟.

ان هذا السؤال (أيضا) سيظل دونما اجابة صحيحة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لان أرنست هيكل وأمثاله من الملحدین ليس لديهم من الحقائق العلمية ما يجعلهم يجيبون على هذا السؤال اجابة تقنع الانسان بصدق هذه النظرية التي وضعها هيكل وزعم انه بها عرف سر الحياة .

فكل ما قاله (أرنست هيكل) عن اصل الحياة وقصة امكان توليدها من المادة مباشرة عن طريق مزج بعض العناصر المادية ببعض بأقذار معلومة وعلى اوزان مخصوصة (دون أن يبرهن لنا على ذلك عمليا) انما هو اشبه بخيالات المخمورين الذين يتصورونها أشياء ويتخيلونها ، وهي لا وجود لها في الواقع ، ومع هذا فيعطونها صفة الحقيقة الموجودة .

ان نظرية هيكل هذه ليست أكثر من افتراضات وتخمينات سخيفة ، وتقديرات مضحكة فارغة ، لا يمكن اثباتها بالطرق العلمية أو الحسية ، ولهذا لا يمكن لعاقل أن يلتفت إليها أو يعيرها أي اهتمام .

فقال الشيوعي الملحد :

ان العلامة (هيكل) قد قال بالتولد الذاتي على أساس تقديرات علمية لا تخطيء ، ولا يغيب عن بالك أن كثيرا من المكتشفات العلمية قد سلّم بوجودها الناس على أساس التقدير لا المشاهدة .

فقلت له .. نعم هذا صحيح (في كثير من المكتشفات)، ولكن التقديرات التي يكذبها الواقع وتبطلها الحقيقة المشاهدة القائمة ، لا يمكن التسليم بها ، لان التسليم بها ضرب من التلاعب والهوس .

فهيكّل يزعم ان أصل الحياة قد نشأ — صدفة — من توازن نسبي بين مقادير خاصة من العناصر المادية .. غير العضوية (أي غير المواد العضوية

التي أودع الله فيها امكانية التولد (بقدرته) كماء الحيوان الذكر وبويضات الانثى) وانه بالامكان توليد كائن حي (صناعيا) من المواد غير العضوية اذا ما تمّ التوازن النسبي المطلوب بين مقاديرها الخاصة .

هكذا يدّعي أرنست هيكل ، او قل هكذا يفترى .

ولكننا اذا نظرنا الى هذه النظرية نظرة اختبار وجدنا ان الواقع يكذبها والحقيقة ترفضها ، ذلك انه منذ ان عرفت هذه النظرية الالحادية لم يستطع ولن يستطيع احد من القائلين بها حتى هذا اليوم والى يوم القيامة ، ان يثبت صحتها عمليا ، فيولد لنا الحياة من مواد غير عضوية وبالطريقة التي ادعى الفيلسوف (هيكل) انه بها تم توليد الحياة الاولى .

ثم ان توليد الحياة من المادة غير العضوية بالطريقة التي ذكر (هيكل) ليست بحاجة الى الوقوف عند التقدير والافتراض فقط .

فالواد غير العضوية (التي ادعى هيكل ان الحياة الاولى انبثقت عنها انبثاقا كيمائيا تلقائيا) هي موجودة بين أيديهم ..

وما دام أنهم يجزمون بصحة ما يدعون ، فلماذا لا يبرهنون للملأ (عمليا) على صحة نظريتهم التي يدعون ؟؟

فالمسألة لا تحتاج التقدير والافتراض ، فالتقدير انما يلجأ اليه اذا كانت اليد غير قادرة على الوصول الى الشيء الذي يراد تحقيقه واثباته ، كمعرفة اوزان الكواكب وتقدير مساحاتها وابعادها .

اما ايجاد الحياة (من المواد غير العضوية - وهي مواد ارضية كلها موجودة -) فلا يحتاج القطع به الى الوقوف عند التقدير فقط ، ما دام انه ممكن (كما يزعم أرنست هيكل) ، هذا هو حكم المنطق السليم .

كيف يزوغ الملحدون

ولكن دعاء الالحاد ، لما كان هدفهم (فقط) تشكيك الناس في ذات الله الخالق العظيم فانهم ، اذا نوقشوا هذه المناقشة ، وجوبها بمثل هذا التحدي ، لجأوا الى اللف والدوران والمراوغة والسفسطة .

فاوبارين، العالم الطبيعي الشيوعي السوفييتي، وهو احد خلفاء داعية الالحاد (أرنست هيكل) صاحب النظرية اياها .. أوبارين هذا ، عندما جوبه بمثل هذا التحدي وسئل (في موسكو) هذا السؤال ، وهو :

هل التفاعل الكيميائي في المادة (غير العضوية) قادر (وبالطريقة التي ذكر أرنست هيكل) على بعث الحياة كما انبثقت الحياة الاولى منذ ملايين

السنين وعلى الصورة التي ادعاها ارنست هيكل ؟؟
فأجاب (اوبارين) بأن هذا ممكن ، ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا
هذا (يعني الأرض) .

واقل تمنع في هذه الاجابة تعطي الدليل القاطع على سخر هذه
النظرية وانها من المفتريات التي يفترها دعاة الالحاد ، ويلبسونها تاج العلم
والبحث ، لاجتذاب قصار النظر وضعاف النفوس الى صفوف المنكرين
لوجود الله سبحانه وتعالى .

سفسطة الماديين

فأوبارين الشيوعي ، لما كان يعلم (تمام العلم) انه لا يمكن أن يتم ، ولم
يتم (في أي وقت من الاوقات) ايجاد الحياة من المادة غير العضوية ، وبطريقة
التولد الذاتي التي ذكروا ، راوغ (في سفسطة مفضوحة) حينما ادعى أن
ذلك ممكن ، ولكن في كواكب غير كوكبنا (الأرض) .

ولا يخفى على عاقل ، ما في هذه الاجابة السخيفة من مراوغة وتنصل ،
لان هذا الشيوعي ، لو قال ان ذلك ممكن على ظهر هذه الأرض ، لانتصب
امامه سؤال محرج للغاية ، يقول :

لماذا لم تقوموا (انتم معشر فطاحل الفلاسفة الطبيعيين) بتحقيق هذا
الامر الممكن ؟؟

نوارد جحا واقوال الملاحدة

لهذا ولكي ينجو هؤلاء الملاحدة الخبيثاء من الوقوع في ورطة هذا
السؤال المحرج لجأوا ، الى هذه المراوغة فأحالوا السائل على الكواكب
الأخرى ، ولسان حالهم يقول :

عليك بالزهرة والمريخ ان اردت التحقق من صحة نظريتنا هذه التي
ليس لدينا أدنى شك في صحتها .

وتذكرنا هذه الاجابة المضحكة من الملحدين ، بجحا المشهور بالاجابات
السريعة المضحكة .. فقد سأله أحد الناس .. كم هو عدد نجوم السماء ؟؟

فقال .. خمسون الفا .

ف قيل له .. ولكن كيف عرفتها وانت في بغداد ، والسماء محيطة
بالارض كلها ؟؟

فقال .. هذه حقيقة اعرفها واجزم بها وأصر عليها ، ومن لديه شك

فيما اقول ، فما عليه الا ان يذهب بنفسه الى السماء للتأكد من صحة ما اقول .

سؤال يعجز الملاحدون عن الاجابة عليه

ثم قلت للشيعوي . . ولو سلمنا جدلا ان الحياة (كما زعم هيكلم) نشأت - أول ما نشأت - نتيجة امتزاج عناصر مادية مخصوصة وحسب مقادير معلومة وبطريقة طبيعية تلقائية ، فان سؤالا آخر ينتصب أمام الفيلسوف (أرنست هيكلم ومن على مذهبه من الماديين) يصعب عليهم الاجابة عليه اجابة مقنعة وهو :

اذا كانت الحياة الاولى قد نشأت تلقائيا نتيجة لامتزاج عناصر مخصوصة وحسب مقادير معلومة ، لا يمكن للحياة ان تظهر بدونها . . فمن هو الذي قدر هذه العناصر ووضع تلك المقادير ، وحكم حكما أبديا قاهرا بأن توليد الحياة من العناصر المادية لا يمكن أن يتم اذا ما نقص جزء أو زاد جزء على المقادير المقدرة للتوليد الذاتي؟؟

قد تقولون ان ذلك التقدير قد حدث مصادفة وفي ظل رعاية الطبيعة.

ولكننا نقول لكم ان المصادفة العمياء ، والطبيعة الميتة الخرساء لهي اعجز من أن تقدّر هذه المقادير الدقيقة ، لأن المقادير والموازن الثابتة لا يقدر على وضعها الا من كان حيا عالما قادرا ، والمصادفة والطبيعة محرومتان من كل هذه الصفات .

لهذا فان هذا السؤال (ايضا) سيظل دونما اجابة صحيحة يقرها المنطق السليم ، اذا لم يؤمن اتباع (أرنست هيكلم) بوجود الله سبحانه وتعالى .

لان المقاييس الدقيقة التي زعموا والمقادير التي افترضوا استحيل أن تكون الا من صنع شيء أقوى من الطبيعة ، وأحكم من المصادفة ، يتميز بصفات العلم والادراك والقدرة المطلقة .

ولا يمكن أن تكون هذه الصفات الا لله واجب الوجود الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ثم قلت للشيعوي الملاحد . . ونحن نناقش (أرنست هيكلم واتباع نظريته) بهذا الاسلوب ، على فرض اننا مسلمون بنظريتهم جدلا ، والا فنحن غير مسلمين بها ، لان القول بتولد الحياة الذاتي من الجماد تلقائيا وتحت رعاية الطبيعة ، هو كفر والحاد لا نقره .

اعتراف الملحدين بوجود الله من حيث لا يعلمون

ولكننا نناقش الملحدين هذه المناقشة لنثبت لكل مفتون بهم وبأضاليهم التي يلبسونها لباس العلم والمعرفة أن هؤلاء الملحدين كلما حاولوا اقتناع الناس بعدم وجود الله ، وجدوا أنفسهم (من حيث لا يعلمون) يعترفون بوجود الله ، كما فعل أرنست هيكل حينما زعم أن التولد الذاتي يتم حسب مقادير من المادة مخصوصة وأوزان معلومة ، ونسي أن الموازين والمقادير التي يتوقف وجود الشيء عليها والتي وضعت بقصد إيجاده لا يمكن أن تكون إلا من صنع عالم مدبر قادر وحكيم ، وما فاه به هيكل وسجله في مؤلفاته (بهذا الشأن) هو اعتراف منه - شاء أم أبى - بوجود سلطة أقوى من المادة وأقدر من الطبيعة ، وأن المادة والطبيعة قد وجدتا خاضعتين مقهورتين لشيء أعظم وأقوى وأقدر منهما .

فلم يبق (إذن) أمام الذي يقول مثل هذا القول ويعترف مثل هذا الاعتراف إلا أن يقر بوجود الله تعالى .
والا فماذا يسمى هؤلاء الملاحدة القوة التي هي أقوى من المادة والطبيعة والتي اعترفوا (مرغمين) بوجودها ؟؟. والتي يسمونها آنا بالنواميس الثابتة ، وآنا بالقوانين القاهرة) ؟؟.

اعتراف بختر بقوة ما فوق الطبيعة

فقال الشيوعي :

ومن من الفلاسفة الماديين التقدميين يقول أن المادة تخضع لنواميس القاهرة ؟؟.

فقلت له .. أمام الإلحاد في العالم (الفيلسوف بختر) (١٢) ، فقد

(١٢) (بختر هذا) عالم ألماني كبير ، ويعتبر من أكبر قادة الداروينيين ، كما أنه من كبار الملحدين وهو الذي يقول .. لا يمكن أن يتصور أحد أن تتحد حكمة أزلية مع نواميس طبيعية ثابتة ، فاما أن تكون النواميس هي الحاكمة واما أن تكون الحاكمة هي تلك الحكمة الأزلية .. فإذا كانت الحكمة الأزلية هي الحاكمة ، فلا لزوم لقوانين الطبيعة ، وإذا كان الأمر بالعكس ، وكانت النواميس الطبيعية هي الحاكمة فإن ذلك يعني كل تدخل سموي (إلهي) .. وقد كان هذا من (بختر) ردا على العلامة (أوسيد) الذي كتب (لبختر) ليعيده إلى طريق الإيمان قائلا (أن الكون محكوم بحكمة أزلية تظهر لنا آثارها بواسطة القوانين الثابتة في الطبيعة) ، والحقيقة أن (بختر) لو تخلص عن الهوى والعناد ، لوجد أن هذه النواميس الثابتة الدائمة التي وضعت بإحكام ودقة هي من أقوى الأدلة على وجود الخالق الأعظم ، لأنه يستحيل (عقلا) وجود نظام من غير منظم ، ويستحيل بقاء الانظمة والقوانين سائرة بدون خلل أو اضطراب من غير قوة أعلى وأعظم وأقوى من هذه القوانين والانظمة ترعاها وتحافظ عليها .. وهل يصح (في قضية العقل) أن تسمي أشياء محرومة من العقل والحياة والشمور والادراك (وهي القوانين والانظمة) دون أن تكون تحت رعاية ذات لها صفة الحياة والقدرة والنفس والإرادة ؟؟. كان (بختر) استادا بجامعة (ليبز) وقد عرف (أولا) بلعذب ميشايزي .
وقد ولد (بختر) عام ١٨٠١ م وتوفي عام ١٨٨٧ م .

قال مرة في حديث له عن نظام الاجرام السماوية :
ان كل الاجرام السماوية كبيرة وصغيرة تخضع ضاغرة بغير استثناء ولا
انحراف للناموس الملازم لكل مادة ولكل جزء من مادة كما تدلنا عليه التجربة
من أن لآخر ، وأن جميع حركاتها تبدو لنا وتتحد امامنا وتنبئنا عن حدوثها
بضبط رياضي لا يتطرق اليه الخلل (١٣) .

فاذا كانت الاجرام السماوية تتحرك في مداراتها بنظام ثابت ، خاضعة
لناموس مقرر ، فهل بعد هذا دليل على وجود قوة مدبرة تخضع لها جميع
الكائنات ؟.

ان بدهاة العقل تشعر بأن النظام لا يصدر من العدم ولا بد من وجود
قوة تدبر هذا النظام البديع والا اختل النظام كله ، فالنظام هو اقوى دليل
على وجود منظم (عالم مدرك مريد) يدبر نظام الكائنات كلها ، وهو الله
سبحانه وتعالى خالق السماوات والارض .

فاذا لم تكن هناك قوة مدبرة فمن جعل للمادة هذا الناموس العظيم
الذي تخضع له جميع اجزاء المادة والاجرام السماوية ؟؟.

لا بد من الاعتراف بوجود الله

وهكذا فان دعوى (ارنست هيكل) بأن الحياة قد نشأت ويمكن ان
تنشأ من المادة وتتولد اذا ما تم توازن نسبي دقيق بين مقادير خاصة من
العناصر المادية ، تعني ان هذا التولد الذاتي من المادة (على فرض التسليم
به) لا يتم الا بموجب نظام دقيق ثابت ، وهذا ما لا يمكن لارنست هيكل
وانصاره ان يكابروا في الاعتراف به . . فاذا اعترفوا بوجود نظام تخضع له
المادة صاغرة ، فلا مناص لهم من الاعتراف بوجود منظم ، واذا اعترفوا بوجود
منظم ، فلا مفر لهم من الاعتراف بأن هذا المنظم ، لا بد وان يكون حيا قادرا
مدركا عليما منزها عن المادية والجسمية ، واذا اعترفوا بهذا (ولا مفر لهم
من الاعتراف به) لزمهم الاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى ، لان الطبيعة
التي (قد ينسبون اليها هذا النظام) قد اعترفوا كلهم (بالاجماع) بأنها
مجردة عن العقل والشعور والادراك ومحكومة بقوانين .

والشيء الذي هو مجرّد عن العقل والشعور والادراك ومحكوم لغيره ،
وخاضع (في نفسه) خضوعا مطلقا لسواه يستحيل عليه القيام بوضع أي
نظام (مهما كان تافها) فكيف بوضع نظام هذه الحياة واخراجها من العدم ،
حسب نظرية التولد الذاتي التي ذكر ارنست هيكل والتي زعم أن هذه الحياة

تولدت في اول نشأتها من المادة ، تولدا كيماويا تحت اشراف الطبيعة ؟؟؟ .
وهكذا مهما حاولتم (معشر الماديين) الاجتهاد في اقناع الناس بعدم
وجود الله تعالى ، ومهما اطلتم البحث والفلسفة ، فانكم تجدون انفسكم في
النهاية (من حيث لا تعلمون) مقررّين بوجود خالق مدبر لهذا الكون .

تفاصيل نظرية داروين

فقال أحد الحاضرين من الشباب :
لقد وعدتنا في الجلسة الماضية بانك ستناقش (باسهاب) نظرية
التطور والارتقاء مناقشة علمية مجردة ...

ونحن معشر الشباب (خاصة) ثواقون الى معرفة هذه النظرية
بالتفصيل وسماع القول الفصل فيها من ناحية ثبوتها (علميا) أو عدم
ثبوتها ، ثم اننا حريصون على معرفة حقيقة موقف الدين منها .

فقد تضاربت الآراء (كثيرا) حول هذه النظرية ، فمن الناس من يرى
ان القول بها كفر وزندقة ، ومنهم من يقول ان القول بهذه النظرية لا يتنافى
مع الدين ، لانها ليست أكثر من واقع مجهول اكتشفه العلم .

فقلت له - حقا - انه لم يدر في العصر الاخيرة نقاش حول نظرية من
النظريات العلمية مثل ما دار حول نظرية التطور والنشوء والارتقاء .

الا انه من الانصاف القول بأن هناك افراطا شديدا في الحكم على
القائلين بها (كنظرية علمية) من المعارضين لها ، ومبالغة كبيرة من المؤيدين
لها .. ثم قلت له :

ان القائلين بنظرية التطور والنشوء والارتقاء ينقسمون الى قسمين ..
كما قلنا فيما مضى .

قسم جعل انكار الخالق سبحانه وتعالى اساسا لهذه النظرية ، وعلى
رأس هؤلاء الفيلسوف (ارنست هيكل) الالماني ، وقبله لامارك الفرنسي .

وقسم اقل احواله انه (اثناء بحثه في هذه النظرية) لم يتعرض لنفي
الخالق ، وانما قدم بحوثه لنصر هذه النظرية على اساس علمي بحث ، وعلى
رأس هذا القسم (تشارلز داروين) الذي أصبح اسم نظرية التطور
والارتقاء مقرونا باسمه .

نظرية هيكل ولامارك

اما نظرية التطور والنشوء والارتقاء - كما يراها لامارك وهيكل -

فخلاصتها ان انواع الاحياء ليست اصيلة في الخلق والتكوين وانما يشتق بعضها من بعض عن طريق التفاعل المادي ، وأن مصدر الحياة هو الجماد الذي تتولى الطبيعة (في ظروف خاصة) توليد الحياة منه .

فيزعم لامارك (كما تقدم) أن الطبيعة تعتمد الى تكوين منسوج خلوي من الكتل الصغيرة للمادة الجلاتينية (تشبه الفراء) التي تجدها تحت يدها ثم تملأ هذه الكتل الخلوية الصغيرة في الاحوال الموافقة بالسوائل المناسبة فتولد الحياة بتحريك هذه السوائل بواسطة سوائل الطف منها ، طبيعتها التهييج على الاستمرار من البيئات المحيطة بها .

وقد فسر لامارك وارنست هيكل ، الطبيعة (كما تقدم) بأنها القوة العامة المنزهة عن الفساد بطبيعتها التي لا تفتر عن التأثير في المواد طرفة عين .

ومن بين هذه القوى قوة تسمى بالحياة ، وهي ليست بقوة خاصة ، لكنها نتيجة خاصة لبعض المركبات ، وجودها وقتي فيها .

ولا فرق عند (لامارك) في ذلك بين الحياة الحيوانية والحياة النباتية الا في الحس ، ويقول (لامارك) ان الحياة الاولى بعد ان نشأت (على الصورة التي ذكر) وهي ما يسميها بعض دعاة الالحاد (بالخلة الاولى) (*) التي تفرّع منها كل كائن حي . . يقول لامارك ان الحياة بعد ان وجدت على النحو الذي ذكر نشأت شيئاً فشيئاً وانها بدأت من الادنى فما فوقه حتى انتهت الى الاعلى المشاهد الآن ، وان كل كائن حي تطور وارتقى وتنوع حسب ظروف البيئة التي نشأ فيها .

وانه حسب قانون التطور والتحول والارتقاء ، قد تحولت انواع من الاحياء عن اصلها الى انواع أخرى ارفع منها تخالفها في الشكل والطبيعة والنوع .

وهذا يعني ان انواعا من الزحافات على البطن ، قد تحولت (في عصر من العصور) الى حيوانات من ذوات الاربع وان الانسان ايضا (في ظل ناموس التطور والتحول والارتقاء) ما هو الا حيوانا تحوّل من احط انواعه الى انسان .

ويقول لامارك مثل هذا في النباتات من حيث تطورها وارتقاؤها

(*) بعبّر دعاة الالحاد عن هذه الخلية بقولهم ، انها غشاء حي على شكل كروي يحوي في داخله مادة لرجة ، يقال لها (البروتوبلازما) عالم فيها نويات صغيرة ، وهي بما حوت لا تدرك الا بالنظار .

وانتقالها من انواعها الاصلية الى انواع اخرى اعلى منها (حسب ناموس التطور والارتقاء) وتحت سيطرة الطبيعة وتديرها .

هذا هو مجمل نظرية لامارك في التطور والتحول والارتقاء .
وموطن الالحاد والكفر في هذه النظرية هو القول بأن ذلك قد تم بفعل الطبيعة ودونما تقدير أو قصد أو تدبير من خالق قادر مريد .
وفيما تقدم بينا فساد هذا القول ، فلا حاجة بنا الى تكرار هذا التبيين .

الاتفاق بين داروين ولامارك

اما القسم الثاني من القائلين بالتطور والارتقاء (والذين على رأسهم العالم داروين) فهم يتفقون مع هيكل ولامارك وانصارهما من دعاة الالحاد ، من حيث القول بالتطور والتحول والارتقاء .

ولكن (لامارك) يمدّ سابقا لهم في مضمار القول بنظرية التطور والارتقاء ، الا انه لم يتوسع في دعم هذه النظرية حيث لم يضع لها تفسيرا علميا ، كما فعل (داروين) الذي تبنى هذه النظرية وأوقف حياته على دعمها وتأييدها ، وأعطى لها تفسيرات علمية مختلفة ، اقنع بهذه التفسيرات الكثير من الناس بأن هذه النظرية حقيقة واقعة .

موضع الاختلاف بين الفريقين

كما ان القسم الثاني من انصار القول بالتطور والارتقاء يختلفون مع القسم الاول من القائلين بها في أمرين اثنين :
اولهما .. مصدر الحياة ومعطياها .
ثانيهما .. معرفة الطريقة التي وجدت بها الحياة .

فدعاة الالحاد من القسم الاول (وعلى رأسهم أرنست هيكل) يزعمون، ان الحياة ليست من صنع الخالق ، وانه لا ضرورة للقول بوجود اله خالق .
لان الحياة (يزعمهم) كامنة طبيعيا في المادة ، وانها لذلك قد تكونت (في عهدها الاول) تلقائيا بعد مزج عناصر مخصوصة من المادة وفي ظروف خاصة، وعلى سبيل المصادفة كما جاء مفصلا في مزاعم (لامارك) فيما مضى .
اما القائلون بنظرية التطور والارتقاء من القسم الثاني (وعلى رأسهم فارسها المعلم داروين) فانهم لم يتطرقوا الى السؤال ، من اين نشأت الحياة ، أو كيف نشأت ، ولم يجروا أحد منهم على القول بأن الحياة هي حصيلة تفاعل بين مواد غير ذات حياة (كما يزعم دعاة الالحاد) .

فنظرية داروين انطلقت من كون الحياة وجدت في البيئة المائية بطريقة ما ، ثم تدرجت على ممر الاجيال الى حياة نباتية حول المستنقعات التي ظهرت فيها . . وبعدئذ تدرجت ارتقاء الى حياة حيوانية بدائية ، فالى حيوانات اكبر فأكبر ريشية ومجنحة . . فحيوانات اعلى ذات فقرات ، فانسان اول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، فالانسان الحاضر يعقله وادراكه وتفكيره وهو المرحلة الاخيرة .

عجز داروين عن معرفة سر الحياة

هذا يعني ان العالم (داروين) لم يستطع معرفة شيء عن نشأة الحياة الاولى وكيف نشأت ، فلم يقل أنها نتيجة تفاعل بين مواد غير ذات حياة (كما زعم هيكمل ومن على مذهبه المادي) بل صرح داروين في آخر كتابه (اصل الانواع) بأن هذه الحياة قد نفعها الخالق .

وعجز داروين عن معرفة شيء عن نشأة الحياة الاولى (بالرغم من الجهود الجبارة التي بذلها طيلة حياته كزعيم لنظرية التطور والارتقاء) قد جاء صريحا في ندائه الشهير الذي اهاب فيه بعلماء الطبيعة ان يبحثوا عن نشأة الحياة الاولى .

ولكن هيئات هيئات ان يظفروا في (بحثهم) بما يتوقون الى معرفته ويسألون عنه بشأن النشأة الاولى للحياة ، لان ذلك من العلم الذي لا يمكن ان يطلع عليه غير فاطر السماوات والارض الذي يقول في محكم كتابه العزيز (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . (١٤)

عمدة الالحاد يجهل كيفية التولد الذاتي

ولقد اعترف العالم (بخر) - وهو عمدة الالحاد في العصر الاخير - اعترف بهذه الحقيقة حيث قال :

ان البت في امر التولد الذاتي للكريئة الاولى التي نشأ عنها الاصل الاول ، امر غير متيسر ، لان الاحوال المناسبة لتولد الكريئات الاولى تولدا ذاتيا غير معروفة ، والكريئة ذاتها - على بساطتها - ذات بناء وتركيب يتمتع معه صدورها من الجماد مباشرة ، بل ان ظهورها (اي الحياة) من الجماد - في نظر العلم - معجزة ليست اقل بعدا عن العقل من ظهور الاحياء العليا من الجماد راسا . (١٥)

(١٤) الاسراء : ٨٥

(١٥) قصة الايمان ، ص ١٨٦ ط ١

ثم قلت له :

ان بخنر واشياعه من ملاحظة العصر الاخير يعترفون بعجزهم عن
الاهتداء الى معرفة سر الحياة هكذا ، وفي الوقت نفسه يشئون حربا على
تشارلز (داروين) ويتهمونهم بالنفاق ومصانعة رجال الدين لانه أعلن ان أحدا
لم يهتد الى معرفة سر الحياة ، وان التفسير الحقيقي الذي تطمئن اليه
النفس ، لنشأة الحياة الاولى هو ان هذه الحياة قد نفخها الله (في الاصل
بقدرته سبحانه وتعالى .

والخلاصة ان الماديين الملاحدة لم ولن يهتدوا الى معرفة سر الحياة ،
والبت في امر نشأتها الاولى وان كل ما زعموه ويزعمونه عن معرفة تكوين
الحياة مما يهرفون به من قصة الخلية الاولى والكرية البسيطة ذات الخلية
الواحدة (١٦) والتوئد الذاتي عن طريق التفاعل المادي الى غير ذلك انما هو
اوهام وافتراسات وخيالات حيث لم ولن يستطيع أحد من هؤلاء الماديين
اثبات هذه المزاعم بالطرق العلمية او العملية الحسية ، كما اعترف بذلك
(صراحة) عمدة الالحاد (بخنر) كما تقدم .

القواعد الأربع لنظرية داروين

فقال أحد الشباب من حاضري المناقشة :

لقد شرحت لنا جانبا لا بأس به من نظرية التطور والارتقاء ، واقوالهم
عن قصة وجود الحياة الاولى ، ولكننا نريد شرحا أوفى ، فما هي القواعد
العلمية التي بنى عليها داروين (نظرية التطور والارتقاء) بعد ان أصبح
اسم هذه النظرية مقرونا باسمه ؟؟ .

فقلت له .. ان داروين قد بنى مذهبه (في التطور والنشوء والارتقاء)
على أربع قواعد :

- ١ - ناموس تنازع البقاء .
 - ٢ - ناموس الانتخاب الطبيعي .
 - ٣ - ناموس المطابقة .
 - ٤ - ناموس الوراثة .
- أ - اما ناموس تنازع البقاء ، فمعناه (كما يراه داروين) هو ان كل

(١٦) ذكر الاستاذ الكبير نديم الجسر في كتابه (قصة الايمان) ان فرق أخرى من الملحدين
يزعمون ان أصل الحياة كرية بسيطة ذات خلية واحدة ، وزعم آخرون ان الحياة عبارة عن
كتل زلالية حبة صغيرة هي أدنى من ذات الخلية الواحدة وأبسط ، لذلك سموها (مونيرا
Monere اي الوحدة البسيطة في اليونانية ، وزعموا ، انها تتكون من الجماد (بالتوئد
الذاتي) ومن اشهر القائلين بذلك العالم البيولوجي الالماني (أرنست هيكل) ا هـ

الكائنات الحية في تنازع مستمر ، وأن البقاء انما يكون للاكمل والاقوى من المتنازعين ، أما الاضعف فانه يتلاشى لانه غير صالح للحياة .
ويضرب داروين لذلك مثلا بما معناه :

إذا فرضنا وجود سرب من الابقار الوحشية تسير في غابة متحدة كعادتها لطلب الغذاء ، فإذا رأت مرعى تراحمت عليه ، فالقوي منها يفوز بأطاييب هذا المرعى ، فتزداد قوة على قوتها ، أما أضعفها فانه يزداد ضعفا على ضعفه .

فبإدماها على هذا العمل، يزداد القوي قوة واكتمالا ، أما أضعفها فانه يزداد ضعفا الى ضعفه ، فلا يزال يتناقص حتى يتلاشى ، فهذا ما يسمونه بناموس تنازع البقاء .

ب - أما ناموس الانتخاب الطبيعي فيشرحه داروين بما معناه معقبا على ما تقدم :

فإذا انتقل هذا السرب (من الابقار) الى مسافة بعيدة وممر بطريق وعرة ، لا يقوى على اختراقها الا الممتازون منها بالقوة ، فلا يصل الى مأمنه الا الممتازون بالقوة ، وهذا يعني أن نتيجة هذا التنازع كله ، بقاء الاصلح للبقاء وهلاك غير الاصلح او زيادة ضعفه ، كأن الطبيعة (في نظر داروين) تنتخب الاقوى والاكمل فتبقى وتلاشي الاضعف والانقص وتبيده ليكون نتيجة ذلك ، الارتقاء بمعناه الاعم .

ج - أما ناموس المطابقة فمعناه (كما يرى داروين) :
أن لنوع الاغذية وطرق الوصول اليها دخلا كبيرا في احداث الاختلافات بين الانواع .

فمثلا .. المعروف عن الاسد الآن انه حيوان من اكلة اللحوم ، مفترس له انياب حادة ، وبرائن قوية لا يضطراره لتمزيق فريسته بأنيابه وأظفاره ، فلو أوجدت نوع الاسد آفا من السنين متوالية في وسط لا يمكنه من الافتراس ويجبره على تعاطي الاغذية النباتية ، لا يضطر (بحكم الضرورة) لتعاطيها .

فتبطل وظيفة انيابه الحادة وأظفاره الماضية ، فتضعف (لاهمالها) على توالي الاحقاب وتضمحل وتوجد فيه آلات أخرى اصلح لمعيشته الجديدة ظاهرا وباطنا ، كان يتغير تدريجيا شكل اسنانه وتطول امعاؤه لتحاكي امعاء اكلة الحشائش من الحيوانات ، الى غير ذلك من التنوعات .

ولو فرض ان تلك النباتات لا تتسنى للاسد الا بخوض نهر او بالتسلق على الاشجار ، تخلفت فيه على توالي الاحقاب أعضاء تناسب الساحة

والتسلق الخ .. فهذا هو ناموس المطابقة ، أو ناموس التحول كما يسميه البعض .

د - اما ناموس الوراثة فمعناه (كما يراه داروين) :

ان الصفات العرضية التي تحدث في الآباء بواسطة اختلاف الاحوال والاوساط المعيشية تنتقل الى الابناء ، فتنشأ تلك الابناء مختلفة فيما بينها ، ولا يزال هذا الاختلاف يقوى على مر الاجيال والقسرون ، حتى تستحيل تلك الاختلافات العرضية الى اختلافات جوهرية توهم الرائي لها انها اختلافات نوعية من اصل الخلقة ، وهي في الحقيقة اختلافات بسيطة في مبدئها ، توالى عليها الحقب حتى ازدادت تاصلا في الكائن الحي ونمت فيه قادته الى مباينة الاصل الذي نشأ منه تمام المباينة .

حتى ان الرائي لهما يظنهما من نوعين مستقلين ، وهما من نوع واحد، كما نرى ذلك بين الحمام والحسان ، فانهما (على مقتضى مذهب داروين) من نوع واحد ، وانما اختلف الحمام عن الحسان هذا الاختلاف تبعاً لمقتضيات الوسط الذي عاش فيه الحمام والجهد المعيشي الشديد الذي يلي به (١٧) .. هذه هي خلاصة القواعد الاربع التي بنى عليها داروين مذهب التطور والنشوء والارتقاء .

ويعلق السلطان صالح بن غالب القميطي (١٨) (سلطان حضرموت)

(١٧) انظر كتاب دائرة المعارف للاستاذ محمد فريد وجدي ج ٤ ص ٢٠ - ٢١ ، وكتاب الآيات البينات للسلطان صالح بن غالب القميطي ص ٦٩ ط حيدر اباد .

(١٨) ترجمة السلطان القميطي

هو السلطان صالح بن غالب بن عوض بن عمر بن عوض القميطي ، كان مولده في حيدر اباد الدكن حوالي عام ١٢٨٨ هـ ، وقد تربى كما يتربى اولاد الامراء على ممارسة الاممال العسكرية والرياضية فاجاد هذه الفنون ونال شهرة واسعة ، وكان محل منابة جده السلطان عوض بن عمر ، وقد لاحظ جده ميوله الشديدة الى طلب العلم فاشبع نهمه ، ويسر له طلب العلم ، فاخذ من كبار العلماء ، وكان من ابرز الذين اخذ عنهم السيد ابو بكر بن شهاب الحضرمي ، وقد برع في العلوم الدينية والعربية والفلسفية ومنها علم الكلام ، ولم يكتف بهذا بل عكف على العلوم الرياضية والميكانيكية والهندسة والعلوم البحرية ، فاخذ منها بنصيب وافر ، وكان يجيد اللغة الانكليزية والفرنسية والالمانية والفارسية والاوردية ، علاوة على اللغة العربية ، وكان على جانب كبير من المعرفة بالحديث والفقه والتفسير مما مكنه من اصدار مؤلفات قيمة في هذه الفنون ، وكان - مع ابهة السلطنة وجاه الملك - محبا للعلماء والصلحاء والمفكرين فكان مجلسه دائما عامرا بهذه الطبقة المتفجرة (سواء كان في حيدر اباد او في حضرموت) ، وكانت مجالسه غالبا مسرحا للمناظرة والمناقشة والبحث في مختلف العلوم المفيدة ، وقد زوّره في قصره (بالكللا) مرارا ، فوجدته على غاية من التواضع في مناقشته ومناظرته بحيث لا يشعر الناظر له انه امام اكبر راس في السلطنة ، وكان مع جاه السلطان مشهورا بالاستقامة وإداء الفرائض المكتوبة في اوقاتها .. تولى مرش السلطنة =

على هذه القواعد الاربعة في كتابه (الآيات البيّنات الدالة على وجود خالق الكائنات) بقوله :

ان داروين لم يبحث في اصل الحياة ، بل قال :

ان الانواع كلها مشتقة من اصل واحد أو اصول محدودة نفخ فيها الخالق (سبحانه وتعالى) روح الحياة ، وان الخلية الاولى التي تكونت منها كل الاحياء تكاثرت أولا بحكم طبيعتها فصارت نباتات دنيئة أو حيوانات دنيئة ، فتولتها النواميس الاربعة المذكورة آنفا قرونا فلبثت تتنازع ، فلم يبق منها الا الاصلح ، ثم تتغير عليها البيئة فتكتسب صفات جديدة تورثها ذرياتها وهلم جراً حتى تتكون من هذه الجرثومة جميع المخلوقات .

هذه هي نظرية داروين قال بها كماله طبيعي تخصص في علم الاحياء ومراحل تكوينها ، وقد تضمنت هذه النظرية كتابان لداروين الاول اسمه (اصل الانسان بطريق الانتخاب الطبيعي) أصدره عام ١٨٥٩ م ، والثاني اسمه (تسلسل الانسان) أصدره عام ١٨٧١ م . والثالث ، اسمه (اصل الانواع) .

فقال الشاب المسلم .. بعد الانتهاء من القائنا هذا التفصيل عن نظرية داروين :

= بخضرموت سنة ١٣٥٧ هـ ، وكان حريصا على نشر الامن والعلم في ربوع البلاد ، ففي ايامه استتب الامن في حضرموت التي كانت الى ما قبل توليه السلطة مسرحا للغرض والاضطراب في كثير من نواحيها ، وفي عهده انتشرت المدارس التي كانت قبل عهده شبه معدومة ، وكان من مؤلفاته القيمة :

١ - مصادر الاحكام الشرعية ، طبع في ثلاثة اجزاء ، وقد ألفه على طريقة اهل الحديث ، غير متقيد بمذهب .

٢ - الآيات البيّنات الدالة على وجود خالق الكائنات ، ألفه للرد على الملحدين .. طبع في حيدر اباد وهو الآن تحت الطبع في مصر . وهذا الكتاب مع فائدته العظمى فيه اتجاهاً غير صحيحة فيما يتعلق بتحضير الارواح .

٣ - مبحث التمسيد بأحاديث الاحاد ، مطبوع .

٤ - رحلته الى دوعن .

٥ - رسالة في الهندسة .. مخطوطة لم تطبع .

٦ - الملاحه البحرية ، يقع في جزأين .. مخطوط لم يطبع .

٧ - تفسير مفردات القرآن ، ألفه باللغة العربية والاوردية .. مخطوط لم يطبع .

وقد اثنى عليه وعلى جهوده العلمية كثير من كبار المسلمين ، منهم الامير عبد الكريم الخطابي الذي اشاد بكتابه الآيات البيّنات ، توفي السلطان صالح عام ١٣٧٥ هـ . وكان سلفي العقيدة لا يقر الخرافات والبدع ظهر ذلك واضحا في مؤلفاته وخاصة مصادر الاحكام الشرعية .

اني ارى الشيوعي مصفيا لا يتكلم طيلة هذا الحديث الطويل عن نظرية التطور والارتقاء ، فهل يعني هذا ، انه موافق على كل ما جاء في هذا الشرح والتفصيل ؟

فقال الشيوعي :

لم يعد هناك مكان لمناقشة صاحبكم فيما يتعلق بشرح نظرية التطور والارتقاء ، لان كل ما قاله بشأن هذه النظرية مما نسب الى داروين ولامارك وهيكال (دع الانتقاد) هو واقع لا يحتاج الى معارضة او جدل .

ما هي ادلة داروين العلمية ؟

فقال شاب آخر :

لقد سمعنا في الجلسة الماضية ما اشبعنا فهمنا عن نظرية التطور والتحول والارتقاء .

ولكن اذا كانت هذه هي اقوال (داروين) وتفريعاته وفلسفاته بشأن نظرية التطور والارتقاء ، فهل لديه من الادلة العلمية القاطعة ، او الشواهد الحسية المسكتة ، ما يجعل نظريته في التطور والارتقاء حقيقة واقعة لا ريب فيها ؟؟

فقلت له .. ان هذا السؤال له اهميته القصوى ، ويجب ان تكون الاجابة عليه على جانب كبير من الدقة والانصاف والتجرد .

لان الناس قد اختلفوا في هذه النظرية اختلافا كبيرا ، كما افترض آخرون بها افتتانا شديدا .

ففرق يتعصب لهذه النظرية تعصبا اعمى ويؤمن بها وكأنها حقيقة واقعة محسوسة لا تقبل الجدل والنقاش ويتهم من يحاول نقد هذه النظرية او انكار شيء منها بالرجعية والجمود والتزمت ، كما ان هذا الفريق المتعصب لنظرية داروين قد جعل منها نقطة ارتكاز للهجوم على الاديان وسندا لانكار وجود الله تعالى .

وفريق يعتبر مجرد التحدث عن هذه النظرية (كنظرية قابلة للاخذ والرد) والتصديق (ولو ببعض ما جاء فيها) خروجاً على الدين وكفراً برب العالمين .

والحقيقة ان كلا الفريقين قد غالى فيما ذهب اليه ، وخاصة ابواق الالحاد الذين جعلوا من نظرية داروين مستندا علميا لهم في الكفر بالاديان وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، كما سترى ذلك بالتفصيل فيما ياتي من مناقشة ان شاء الله .

ثم قلت له .. ولنبدأ الآن بالاجابة على سؤالك فنقول :

ليس لداروين دليل قاطع على صحة نظريته

ان نظرية التطور والارتقاء التي قال بها داروين نظرية غير ثابتة ثبوتا قاطعا (لا من الناحية العلمية ولا من الناحية الحسية) .
واذا كان داروين ، قد اعترف (صراحة) بأن الطريقة التي وجدت بها الحياة الاولى على وجه الارض ، لا تزال مجهولة حتى يومنا هذا ، فان جهله بالطريقة التي تسلسلت بها الكائنات الحية وتنوعت (كما يزعم) لا يقل عن جهله بالطريقة التي وجدت بها الحياة الاولى على وجه الارض وكيف ومتى وجدت .

فالمستبعد لما كتبه ونشره (داروين) عن نظرية التطور والارتقاء يجد ان داروين لم يبين هذه النظرية على أسس علمية قاطعة ثابتة لا يمكن الرجوع عنها ، وانما بناها على افتراضات وتقديرات وتخمينات تحتمل الخطأ والصواب .

فجميع الذين قالوا بنظرية التطور والارتقاء (وعلى رأسهم داروين) يعترفون بأن هذه النظرية هي فرض علمي يعوزه الدليل الحسي ، بل ان جوهر بحوث علماء التطور والارتقاء جميعا تشير كلها الى ان اصول هذه النظرية وفروعها هي من باب الافتراض لا القطع ، والتقدير لا التأكيد .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (عقائد المفكرين) :

واذا رجعنا الى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علما قاطعا مفروغا منه من اصوله وفروعه ، واكبر انصاره لا يدعي له أكثر من انه صحيح في بعض ملاحظاته ومقارناته .

العلم يرفض الوقوف بجانب داروين

ثم قلت للاخ المستفسر :

وهكذا فاننا اذا عدلنا عن مناقشة نظرية التطور والارتقاء من ناحية الدين ، وناقشناها من الناحية العلمية فقط لوجدنا ان العلم يرفض الوقوف بجانب اصحاب هذه النظرية ، ويرفض اعطاءها صفة القطع والثبوت . (١٩)

(١٩) قال الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (الفلسفة القرآنية ص ١١ - ١٢) تنجد العلوم الانسانية مع الزمن على سنة التقدم ، فلا تزال بين ناقص يتم وغامض يتضح وموزع يتجمع وخطأ يقترب من الصواب ، ويستأنف الباحثون (في القواعد العلمية) تجاربهم فيها بعد ان حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون ، ثم قال .. ان مذهب التطور والارتقاء لا يزال بعد ذلك عرضة لكثير من الشكوك والتصحيحات ، بل عرضة لسنة التطور والارتقاء التي تنتقل به من تفسير الى تفسير .

ذلك ان كل ما استند عليه لامارك وداروين لأثبات هذه النظرية هو تفسيرات وتقديرات مصدرها الافتراض والتخمين الذي لا يسنده أي واقع شهد به العلم ، أو عضده الحس في أي عصر من العصور والأزمان .

فمنذ ان خلق الله الدنيا حتى يومنا هذا لم يشهد أحد ولم يشعر بحادثة واحدة من حوادث التطور والارتقاء الذي يزعمون .

فلم يثبت (بأية وسيلة من الوسائل ولم تخط كلمة واحدة في أي سفر من الأسفار) تشير الى أن شيئاً من هذا قد حدث فعلاً .

فلم يثبت في أي عصر من العصور ان عصافراً قد تحوّل الى ديك أو ان حمارة قد تطوّر الى حصان ، أو ان قرداً قد تحوّل (كما يزعمون) الى انسان .

فلو حدث شيء من هذا (في أي عصر من العصور) لظلّ مسدّد الدهر من الاخبار المتواترة ، ولتكرر حدوثه في عدة عصور وفي مناسبات مختلفة ، ما دام أن ناموس التطور والارتقاء حقيقة واقعة كما يزعمون .

ولكن الواقع المشاهد (بالتواتر منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها) هو أن جميع أنواع الاحياء باقية على ما هي عليه (من ناحية البنية والتركيب والطبيعة) منذ أن ظهرت على وجه الأرض .

فالانسان هو الانسان بكل هيئته وكامل طبيعته منذ أن نفخ الله فيه الروح ، وكذلك الحيوانات (بكامل أنواعها) هي باقية على ما هي عليه في تكوينها العضوي وحالتها الطبيعية منذ نشأتها الاولى ، وهذا واقع لا يستطيع أحد أن يثبت سواه أبداً (لا من الناحية العلمية ولا من الناحية الواقعية) .

اهم الاعتراضات على مذهب داروين

قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف) ج ٤ ص ٣١ . ان اكبر الاعتراضات على مذهب داروين تنحصر في ثلاثة أمور، هي :

١ - عدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع كان في الاحياء الارضية من عهد الالف السنين .

٢ - عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع اللازمة لمذهب الانتسلل، كان يوجد (مثلاً) حيوان أرقى من القرد رتبة واحدة وأدنى من الانسان رتبة واحدة ايضاً .

٣ - طول الزمان اللازم لحصول الترقي بين الاحياء ، فان عمر الأرض كما قالوا لا يكفي لاحداث كل ما يرى من هذه الاشكال المختلفة غاية الاختلاف .

راي الاستاذ نديم الجسر

وقال الاستاذ نديم الجسر في كتابه قصة الايمان - في معرض الحديث عن نظرية داروين - .. أما الردود العلمية فهي كثيرة أهمها .. أن الحيوانات البحرية الدنيا هي باقية ، حتى اليوم على الحالة التي كانت عليها في ابتداء العالم ، ولم نجد أنها تأثرت بناموس الارتقاء ، وأن طوائف الاحياء الكبرى ، الدنيا منها والعليا ، وجدت منها آثار في اسفل طبقات الأرض ، فلو كان ناموس الارتقاء أكيدا لوجب أن يكون الاعلى منها كذوات الفقرات ، في اعلى الطبقات ، واننا نجد كثيرا من الاجناس والطوائف قد كانت في العصور القديمة الاولى اكمل منها اليوم ، ونجد في الطبقات الأرضية بعض حيوانات دنيئة فوق حيوانات عالية جدا ، اه .

علماء أوربا المعارضون لمذهب داروين

فقال الاخ المستفسر .. وهل قام احد من فلاسفة أوروبا بالرد (علميا) على مذهب داروين ؟ .
فقلت له نعم .. انهم كثيرون ، وكلهم ناقش مذهب داروين نقاشا علميا مركزا ، نفى به أن يكون مذهب التطور والنشوء والارتقاء مذهبا صحيحا ثابتا .

فهذا العلامة (دوفري) قد اثبت خطأ اصول اللاماركية والداروينية، ورفض نواميسهم الاربعة التي بنوا عليها نظرية التطور والارتقاء ، فقد قال ان التجارب العلمية الحسية اثبتت بطلان هذه النظرية ، فأعلن مشاهدات (فيما سماه بالظهور الفجائي) لانواع نباتية جديدة طفرة بدون مرورها على صور تدريجية متنزلة من اسلافها الاولى .

كذلك الدكتور جوستاف جوليه يابى نظرية التطور والارتقاء ولا يسلم بنواميسها الاربعة التي بنيت عليها ، بل يشبث أن تجارب العلم الطبيعي تقف ضد نظرية داروين .

واذا كانت قاعدة التطور والارتقاء التي يقول بها الداروينيون هي مجرد افتراض وتقدير فحسب ، فان الدكتور (جوستاف جوليه) يبطل هذه النظرية على اساس من الواقع العلمي المشاهد للموس الذي لا يستطيع احد انكاره .

فانه يقول .. ان التحولات الفجائية هي القاعدة في عالم الحيوانات والنباتات ، فاذا درس الانسان جميع التاريخ الطبيعى (بدقة) رأى نظرية التحول بالطرفة تصادفه في كل مكان .

واقع دودة القز ينقض مذهب داروين

ويقول .. ان حياة الحشرات تنقض مذهب داروين ولامارك ونظرية التحول البطيء المستمر ، ويضرب (جوستاف جوليه) لذلك مثلا بدودة القز فيقول :

ان دودة القز تولد دودة تحبى اياما حياتها المعروفة ، ثم تنسج لنفسها شرنقة فتدخل فيها ، وهناك لا تموت فقط ، بل يسيل جسمها ويستحيل الى مادة اولية لا شكل لها ، ثم تتركب هذه المادة فتكون جسما لا نسبة بين شكله وشكل الدودة ، يكون فراشة ذات اجنحة وغرائز اخرى غير غرائز الدودة .

فهذا المثال وحده يبطل كل نظريات الداروينيين واللاماركيين المؤسسة على ان اختلاف الاعضاء وتطورها وارتقاء الانواع واشتقاق بعضها من بعض لا يكون الا على مقتضى نواميس سموها بأسماء متنوعة ، ثم يكر الاستاذ (جوستاف جوليه) على الجناح الالحادي في نظرية التطور والارتقاء فيقول .. والحقيقة .. ان كل نوع نشأ بفعل قوى ليست من القوى الطبيعية المعروفة ، واي شاهد اصدق من هذا الشاهد المحسوس؟؟ .

فقال الشاب المسلم المستفسر .. اليس ما يحدث لدودة القز هو تحول في الانواع يثبت نظرية داروين؟ .

فقلت له كلا .. انه تحول (فعلا) ولكنه يناقض النواميس الاربعة التي بنيت عليها النظرية ..

فنظرية التطور والارتقاء تقول :

ان احط الحشرات (كالدودة مثلا) تتطور الى حيوانات اعلى منها (تدريجيا) حتى تصل الى حيوانات اكبر فاكبر (ريشية ومجنحة) فحيوانات اعلى ذات فقرات الخ .

ولكن واقع دودة القز (او الحرير) ينسف هذه النظرية من اساسها تماما .

فمثلا : بيض دود الحرير تكون في حجم بزر التين ، فاذا جاء فصل الربيع خرج من كل بيضة دودة ، فاذا خرج اطعم ورق التوت الابيض

فيكبر تدريجيا حتى يصير في حجم الاصبع ، ثم ينتقل من اللون الاسود الى الابيض زويدا رويدا في مدة ستين يوما ، ثم يأخذ (هذا الدود) في النسج على نغشته ، وما الخيوط التي يخرجها من فيه الا مادة لزجة متى لامست الهواء جفت .

فلا يزال (هذا الدود) يخرج تلك المادة ويحيلها الى خيوط ويلفها حول نفسه حتى يصير كهيئة الجوزة ، فينحبس فيها نحو من عشرة ايام لا يموت أثناءها . فحسب بل (كما قال الدكتور جوليه) : يستحيل الى مادة اولية ، بتركيبها من جديد تتكون جسما جديدا لا نسبة بين شكله وبين شكل الدودة ، ثم يثقب هذا الجسم الجديد تلك الجوزة ويخرج منها فراشا ايضا له جناحان لا يسكنان من الاضطراب .

وعند خروجه يميل للتزاوج فيلصق الذكر ذنبه بذنب الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان فتبيض الانثى البيض الذي تقدم ذكره على خرق بيضاء تفرش قصدا ثم يموتان (٢٠)

فمنذ عرف الناس القز والحريز ، ومنذ وجدت هذه الدودة على وجه الارض (ومنذ الاف السنين) وطريقتها في التحول والانتاج هي هي ، لم يلاحظ عليها اي تغير او تبدل يوحي بانها تطورت وارتقت من الحالة التي كانت عليها .

فالتحول الذي يحدث لدودة القز والحريز لا يتم لتترقى هذه الدودة وتتطور الى انواع ارقى منها واعلى (كما هي نظرية الداروينيين واللاماركيين) وانما هو عامل ضروري ثابت لانتاج القز والحريز اذ بدون هذا التحول يستحيل على الانسان الحصول على شيء من هذه المادة الثمينة (القز والحريز) .

وهكذا .. ففي كل شيء له آية تدل على انه الواحد .

فثبتت دودة القز والحريز (شكلا وتحولا وانتاجا) على ما هي عليه ، منذ ان عرف الانسان القز والحريز (وقد عرفه قبل عشرات آلاف السنين) هو اكبر دليل على بطلان نظرية التطور والارتقاء .

فلو كانت هذه النظرية صحيحة للاحظ الانسان — طيلة هذه الاف من السنين — شيئا من التطور والارتقاء على هذه الدودة ، لا سيما وان هذه الدودة تواتر أمرها بين بني الانسان منذ اقدم العصور لارتباط وجودها بوجود الحريز والقز الذي لا يمكن انتاجه الا عن طريق هذه الدودة وحسب

النظام الالهي الذي تسير عليه هذه الدودة لتوفير هذا الانتاج .
ولو حدث شيء من التطور والارتقاء على هذه الدودة (وحسب
النواميس التي وضعها الداروينيون لنظرية التطور والارتقاء) لافتقد
الانسان مادة القز والحريير الى الابد ، لان هذه الدودة ستكون قد تطورت
وارتقت الى أي نوع من الاحياء لا يسمح لها تركيبها وشكلها بانتاج هذه المادة،
لأنها تكون قد تحولت الى ديك أو نسر أو ظبي أو ما شابه ذلك من الكائنات .
وهكذا فان واقع دودة القز والحريير - سواء كان من ناحية التحول
الفجائي أو من ناحية بقائها على ما هي عليه منذ ان ظهرت على وجه الارض -
لمن أقوى الأدلة على عدم صحة نظرية التطور والارتقاء .

اما العلامة والاس - فبالرغم من مناصرته داروين في مذهبه - فانه
انكر على أستاذه داروين القول بأن يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقة
التطور والارتقاء حيث قال . . ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على
الانسان ، ولا بد من القول بخلقه رأسا .

وقال الاستاذ (فرخو) انه يتبين لنا من الواقع ان بين الانسان والقرد
فرقا بعيدا ، فلا يمكننا ان نحكم بأن الانسان سلالة قرد أو غيره من
البهائم ، ولا يحسن ان نتفوه بذلك .

وقال (هيفرت) : ان مذهب داروين لا يمكن تأييده وانه رأي من
آراء الصبيان .

اما العلامة (اغاسيز) (٢١) فقد حكم على مذهب داروين بالبطلان ،

(٢١) ترجمة (اغاسيز)

هو ليس جون اغاسيز عالم سويسري شهير ، ومن اشهر علماء الطبيعة في اوروبا ، ولد
في قرية موتيه من منطقة الالب عام ١٨٠٧ م وتوفي عام ١٨٧٣ ، كان جده الاول فرنسي لجأ
الى سويسرا في عهد لويس الرابع عشر هربا من تصفه واضطهاده . . تنقّى اغاسيز علوم
الطب في جامعات « زيوريخ » و « مونيخ » و « هايدلبرغ » وقد ذهب الى أمريكا وعلم في
جامعتي « هارفارد » و « كورنيل » فيها ، كان اغاسيز - وهو ابن اسقف موتيه - بروتستانتي
المذهب ، وكان شديد التمسك بدينه ، وهو من الانداز المتدينين الذين برعوا في العلوم مع
التمسك بدينهم ، يعتبر اغاسيز حجة في علم الاسماك وطبائعها ، وكان من اشد المعارضين
لنظرية التطور والارتقاء ، وتعتبر أقواله حجة في معارضته نظرية داروين ، بصفته أحد العلماء
الانداز في علم الطبيعة ، فقد رفض اغاسيز الاعتراف بنظرية التطور والارتقاء كما وضعها داروين
ولامارك . وصرح بأن النشوء لا يتم الا وفقا لخطة الالهية حكيمة دون القوى النظامية فينا ،
ويقول (كما في كتاب عبارة العلم) ان الاسطفاء الطبيعي (الذي يلجج به دعاة نظرية التطور
والارتقاء) اذا ما حل محل الخلق الالهي فان الانسان يكون قد جرد من روحه وغدا آلة
صماء ، ويقول اغاسيز . . ان التفسير الحرفي لنظرية « داروين » يفسح المجال للتأليه
« سوبرمان - نيتشه » وتمجيد القوى البدنية على أنها الاساس الوحيد للسلوك بين الناس ، =

وذلك في رسالة أصدرها تحت عنوان (أصل الانسان) وتلاها في ندوة العلم
الفكتورية ، فقبال فيها ما خلاصته .. ان مذهب داروين خطأ علمي باطل
في الواقع ، واسلوبه ليس من اساليب العلم بشيء ، ولا طائل تحته .

هكسلي يرد على صديقه داروين

اما العلامة (هكسلي) فبالرغم من أنه على مذهب (اللادرية)
وصديق حميم لداروين ، فقد أبى أن يسلم بصحة مذهب التطور والارتقاء ،
فقد صح عنه أنه قال .. انه بموجب ما لنا من البيانات لم تبرهن قط أن
نوعا من النباتات او الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعي او الانتخاب الصناعي .

ودعا العلامة (تندل) الى عدم الاهتمام بمذهب داروين ، فقال .. انه لا
ريب في أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون أنه نتيجة مقدمات لم يسلم
بها .. ومن المحقق عندي أنه لا بد من تغيير مذهب داروين .

وقال العالم الايطالي (روزا) ان الاختبار الاصطناعي الذي جربه
بنو الانسان في خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين .

علماء الشرق الذين عارضوا مذهب داروين

فقال شاب آخر .. وهل احد من فلاسفة الشرق عارض مذهب
داروين وناقشه على الصعيد العلمي مناقشة دقيقة ؟.

فقلت له .. نعم ، لقد ناقش فلاسفة الشرق وجهابذة الفكر من
المسلمين والمسيحيين ، نظرية داروين مناقشة واعية مركزة عارضوا بها
مذهب داروين وبرهنوا على اهتزاز هذا المذهب وعدم صحته وأنه قد
نال من الاهتمام أكثر مما يستحق .

ولعل أقوى هؤلاء العلماء حجة في نقض نظرية داروين هم :

= وقد كان اغاسيز - في مجال الرد على داروين- يصرح بأن ثمة فرقا واضحا بين تناسل الانواع
وبين خلق الانواع ، فالحيوانات تتناسل فنتج نوعا ، اما الله وحده تقادر على خلق نوع
جديد ، وقال .. ان الفكرة التي يعتنقها الداروينيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع
سابق ليست الا افتراضا اعتباطيا يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة ، وانه هو ،
لا يصدق بأن المظهر البيولوجي الذي كان ولا يزال سائدا على وجه الارض يعود لعمل القوى
اليدنية دون تدخل القوة الخالقة مباشرة . قال الاستاذ جورج سلسني في كتابه (عباقة العلم
ص ٢٢١) لقد كان اغاسيز أعظم معلم في جيله ، ومكانه ما يزال شامرا حتى اليوم لم يملاه
احد ، كان شخصا نبيل غاية النبل ، وهو احدى دعائم التقدم والمدنية في العالم .

فيلسوف الاسلام (جمال الدين الافغاني) (٢٢) وعلامة الشيعة الكبير الشيخ (محمد رضا آل العلامة التقي الاصفهانى) من علماء كربلاء . والاستاذ ابراهيم الحوراني ، والاب (جرجس فرج صفيح الماروني) والاسقف خير الله اسطفان والدكتور حليم عطية سوريال ،

وزيادة في الايضاح فانا هنا سنذكر لكم بعضا من ردود هؤلاء العلماء (مسلمين ومسيحيين) على مذهب داروين ، لان هذه الردود من التامة والعمق والتركيز بحيث لا يستغني عن الاطلاع عليها من يرغب في معرفة مذهب التطور والارتقاء على حقيقته .

رد الافغاني على داروين

قال الامام جمال الدين الافغاني في كتابه (الرد على الدهريين) أثناء مناقشته لمذهب التطور والارتقاء قال :

(٢٢) ترجمة جمال الدين الافغاني

قال الزركلي في الاعلام : هو محمد بن صفيح الحسيني ، جمال الدين .. فيلسوف الاسلام في عصره واحد الرجال الانداز الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة .. ولد في اسعد اباد (بافغانستان) ونشأ بكابل . وتلقى العلوم العقلية والنقلية ، وبرع في الرياضيات وسافر الى الهند ، وحج سنة ١٢٧٢ هـ ، وعاد الى وطنه ، فأقام بكابل . وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد (دوست محمد خان) ثم رحل مارا بالهند ومصر ، الى الاستانة سنة ١٢٨٥ هـ وجعل فيها من أعضاء مجلس المعارف . ونفي منها (سنة ١٢٨٨) فقصده مصر ، فتنفخ فيها روح النهضة الإصلاحية ، في الدين والسياسة ، وتتلذذ له نابضة مصر الشيخ محمد عبده ، وكثيرون . وأصدر أديب اسحاق ، وهو من مريديه ، جريدة « مصر » فكان جمال الدين يكتب فيها بتوقيع (مظهر بن وضاح) أما منشوراته بعد ذلك فكان توقيعه على بعضها « السيد الحسيني » او « السيد » ونفثه الحكومة المصرية عام ١٢٩٦ هـ فرحل الى حيدر اباد ، ثم الى باريس . وانشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة (المروءة الوثقى) ورحل رحلات طويلة فأقام في العاصمة الروسية « بطرسبرج » كما كانت تسمى ، اربع سنوات ، ومكث قليلا في ميونيخ (بألمانيا) حيث التقى بشاه ايران « ناصر الدين » ودعاه هذا الى بلاده ، فسافر الى ايران . ثم ضيق عليه ، فاعتكف في احد المساجد سبعة اشهر ، كان خلالها يكتب الى الصحف ميثاقا مساويا للشاه ، محررا على خلع . وخرج الى اوروييا ، ونزل بلندن ، فدعاه السلطان عبد الحميد الى الاستانة ، فذهب وقابله ، وطلب منه السلطان ان يكف عن التعرض للشاه ، فأطاع . وعلم السلطان بعد ذلك انه قابل « عباس حلمي » الخديوي ، فعاتبه قائلا .. تريد ان تجعلها عباسية ؟ ومرض بعد هذا بالسرطان ، في نكه ، ويقال دس له السم . وتوفي بالاستانة سنة ١٣١٥ هـ وكان ميلاده في اسعد اباد (بافغانستان) سنة ١٢٥٤ هـ ، وقد نقل رفاته الى بلاد الافغان سنة ١٣٦٣ هـ ، وكان عارفا باللغات العربية والافغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية ، واذا تكلم بالعربية فلفته الفصحى ، واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة ، كريم الاخلاق كبير العقل ، لم يكثر من التصنيف اعتمادا على ما كان يبينه في نفوس العاملين وانصرافا الى الدعوة بالنور والعلم . له (تاريخ الافغان) و (رسالة الرد على الدهريين) ترجمتها الى العربية تلميذه الشيخ محمد عبده .

رأس القائلين بهذا القول داروين ، وقد ألف كتابا في بيان ان الانسان كان قردا (٢٣) ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدرج على تنالي القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ اوران اوتان ، ثم ارتقى من تلك الصورة الى اول مراتب الانسان فكان صنف (النيمم) وسائر الزنوج ، ومن هناك عرج افراده الى افق أعلى وارفع من افق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي .

وعلى زعم داروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور ، وان ينقلب الفيل برغوثا كذلك .

ثم يناقش الافغاني (داروين) في ناموس التحول والتباين الذي يزعمه (ضمن نظريته) فيقول :

فان سئل داروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة من ازمان بعيدة لا يحدها التاريخ (الاظنا) واصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد ، فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته او اشكال اوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره ، فأي فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟.. اظن لا سبيل الى الجواب سوى المعجز عنه .

ثم يستمر العلامة الافغاني في الرد على داروين قائلا :
وان قيل له هذه اسماك بحيرة اورال وبحر كسبين تشاركها في المأكول والمشرّب وتسبقها في ميدان واحد ، ترى فيها اختلافا نوعيا وتباينا بعيدا في الالوان والاشكال والاعمال - فما السبب في هذا التباين والتفاوت ؟ فلا اراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر .

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البني والصور والقوى والخواص ، وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق من الحشرات المتباينة في الخلقة ، المتباعدة في التركيب ، المتولدة في بقعة واحدة ، ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة .. فماذا تكون حجة في علة اختلافها ؟.. بل اذا قيل له اي هاد هدى تلك الجراثيم في نقصها وخذاجها ؟.. واي مرشد ارشدها الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء انظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة في عضو أداء وظيفته وايقاء عمل حيوي مما عجز

(٢٣) لم يثبت عن داروين القول بأن الانسان تحدر من القرد وانما الثابت عنه (كما في مؤلفاته) انه قال انه من المحتمل ان يكون الانسان والقرد قد تحدرا من أصل واحد .

ابدوا آراءهم واخذوا طريقاً جديدة .. فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدراً لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والاشكال العجيبة والصور الانيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر اثره ، ولكن العلة في نظام الكون علوية وسفلية .. والموجب لاختلاف الصور والمقدر لاشكالها واطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة أشياء .. متبير ، وفورس ، وانتليجانس ، اي مادة وقوة وادراك ، وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلامسها من الادراك تجلت وتجلّى بهذه الاشكال والهيئات ، وعندما تظهر بصور الاجساد ، نباتية كانت او حيوانية تراعي بما يلبسها من الشعور وما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتشيع لها من الاعضاء والالات ما يفي بأداء الوظائف الشخصية والتنوعية مع الالتفاف الى الزمنة والامكنة والفصول السنوية .. هذا انفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعدما دخلوا الف حجر وخرجوا من الف نفق ، وما هو اقرب الى العقل من سائر اوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر اصولهم ، فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الاجسام مركبة من الاجزاء الديمقراطية - نسبة الى ديمقريطس - ولا ينطبق رأيهم الجديد في هذا النظام الكوني على رأيهم في تركيب الاجسام ، وذلك لانه يلزم عن القول بشعور المادة ان يكون لكل جزء ديمقراطي شعور خاص ، كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بها عن سائر الاجزاء ، اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين ، فلا يقوم علم واحد بجزاين ولا باجزاء .

ثم يختم الافغاني هذا الفصل من الرد على داروين بقوله :

وبعد ذلك فاني سائلهم كيف اطلع كل جزء من اجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء ؟ وباية آلة أفهم كل منها باقية بما ينويه من مطلبه ؟ واي برلمان او اي سنات - مجلس شيوخ - عقدت للتشاور في ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف ؟ واني لهذه الاجزاء ان تعلم وهي في بيضة العصفور ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الحبوب ، فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته في حياته اليها ؟ .. ا . هـ

عالم شيعي يناقش مذهب داروين

أما علامة الشيعة الشيخ محمد رضا التقي الاصفهاني ، فقد تقدّم مذهب داروين ، الا انه - مع عدم تسليمه بصحة هذا المذهب - كان اخف وطأة في هجومه على داروين من الفيلسوف الافغاني ، وكان مع ذلك اكثر تعمقاً في المناقشة ، واكثر دقة في البحث والمقارنة .

ولقد كان العلامة الشيعي - مع رفضه لمذهب داروين - لا يرى في

القول بالنشوء والتطور والارتقاء أي الحاد أو انكار للخالق سبحانه وتعالى ، وقد تضمن كل مناقشاته لمذهب النشوء والارتقاء كتاب اسمه (نقد فلسفة داروين) .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد (رحمه الله) في كتابه (الانسان) ص ١٠٥ . وبعد كتابة (الرد على الدهريين) بنحو من ثلاثين سنة ، ظهر كتاب نقد (فلسفة داروين) لمؤلفه الشيخ (محمد رضا آل العلامة النقي الاصفهاني) وهو باحث فاضل من علماء الشيعة بكرلاء المعلى تحرى فيه النظر في مجموعة وافية من مراجع مذهب النشوء العربية والافرنجية .

وقال في وضع آخر . . وانصف المؤلف مذهب النشوء ، فلم يحسبه من مذاهب الالحاد والتعطيل لان القول بالنشوء لا يقتضي انكار الخالق وانما يتسرب اليه الالحاد من تفسيرات الماديين لمقدماته على الوجه الذي يوافق نتائجهم المقررة عندهم قبل ظهوره ، فيقول المؤلف عن فلسفة النشوء والارتقاء انها ليست مما ينافي الدين ، اذ الذي يجب علينا اعتقاده هو ان جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها وما فيها من صنوف المخلوقات من نباتاتها وحيواناتها ، والبشر على صنوفها واختلاف لغاتها ، صنع اله واحد قادر حكيم قد وسع كل شيء علما واتقنه صنعا . . خلق جميع الاصناف من جميع الانواع عن قصد واختيار .

وهذا امر متفق عليه في جميع الاديان .
واما كيفية الخلق وان هذه الانواع كلها خلقت خلقا مستقلا ، وانها لم تتغير عما وجدت عليه في اوائل الخلق ، فهذا امر لم يرد به نص صريح من الكتاب والسنة ولا متواتر من السنة .

وسواء كانت آباء الجمل جمالا او كانت ضفادع تتق في الماء ، والجد الاعلى للفيل فيلا او (سنونوا) يطير في الهواء ، فان أدلة الصنع عليهما في الحالين ظاهرة ، وفيها على وجود الصانع الحكيم آيات باهرة ، وفرحة الملاحظة بهذه الاراء وجعلها اساسا للالحاد من اغرب الاشياء .

ثم يقول المؤلف : ان هذه الاراء « ليس فيها الا بيان ترتيب المخلوقات وكيفية الصنع فيها ، ومتى كان اهل الدين ينكرون ذلك ويدعون ان الله تعالى خلق جميع الاشياء في وقت واحد خلقا مستقلا عن الآخر ؟؟ وهم يرون الله تعالى بلطيف حكمته وبديع صنعته يخلق الثمر من الشجر ، والشجر من النواة ولا يجعل العنب حلوا الا بعد ما يجعله حامضا ، ولا يجعله حامضا الا بعد ما يجعله مرا » .

وينتقد المؤلف حجة المشابهة بين الانسان وبعض انواع الحيوان (في مذهب داروين) فيقول :

بل لعل في الحيوانات الدنيا من شبه الانسان أقساما لا توجد في العليا ، فلا يصح الاعتماد على مجرد المشابهة .. وهذا الاستاذ الشهير (كوفيه) يقول أن ادراك القرد ليس أرقى من ادراك الكلب الا قليلا .. وإذا سلمنا أن من لوازم المشابهة التحول ، فكيف يتعين تحول الانسان عن حيوان نشأ عنه القرد ؟ فلعل الانسان تحول قردا ... وهذا ما نص عليه الذكر الحكيم .

وبعد مناقشة العالم الشيعي قرينة الشبه بين الانسان والقرد التي هي إحدى حجج النشويين ، مضى يناقش القرائن الأخرى التي يستند إليها الداروينيون للقول بتحول الأنواع وتحول النوع الإنساني من بينها ، عن أصله المشترك بينه وبين الفقاريات العليا ، فنهج في مناقشته على هذا المنهج الذي يستمد الدليل من أصول الجدل المنطقي تارة ومن تجارب الواقع تارة أخرى ..

وأفادته مطالعته المتفرقة لمراجع المذهب .. فلم يخطئ مواضع الحجة الواقعية أحيانا ، مع اعتماده الغالب على منهج النقائض الجدلية . ومن قبيل ذلك أنه عمد إلى دليل من أقوى أدلة النشويين وهو بقاء الأعضاء الأثرية (٢٥) - كالشندوة - في ذكور الانسان ، فتساءل .. قائلا « لا أدري لماذا بقي أثر عار الخنوة ظاهرا في الانسان ، ولم يبق فيما هو أدون منه في سلم الارتقاء كذوات الحافر » ولم ينس أن يستدرك على هذا الاعتراض بما أسنده إلى ما قال الرئيس (أي ابن سينا) في الشفاء « أن الفيل الذكر له ثدي كما للانسان ، وذكور ذوات الحافر لا ثدي لها الا ما يشبه أمهاتها وينزع إليها كما يعرض مرارا في الخيل » .

وجملة رأي المؤلف أن ما يسمى بالأعضاء الأثرية يدخل في باب « الشذوذات » التي تعرض لتكوين بعض الأحياء ، وهي أجنة في بطون أمهاتها ، أو تعرض لها خلال نموها ، وعدد من ذلك ما يولد وله أربع أيدي أو ما يولد وله جوف واحد ورأسان وأربع أقدام ، أو ما يولد وقلبه في غير موضعه ، ثم قال متسائلا :

« فهل يمكن تعليل هذه الشواذ المشنوعة بحيوانات كانت كذلك في العصور الجيولوجية فانتقلت إلى هؤلاء التعساء بناموس «الاتافيسيم»؟ . فان لم يكن ذلك فلتكن الشواذ التي فيها بعض الشبه بالحيوان من هذا القبيل ؟ » .

(٢٥) أنظر بحثنا المستفيض المفصل في مناقشة احتجاج الداروينيين بوجود الأعضاء الأثرية في سلب هذا الكتاب تحت عنوان (أقوى حجة للملحد في النظرية .

ومنهج المؤلف في نقد الانتخاب الجنسي - وهو سبب هام من أسباب التطور - كمنهجه فيما تقدم ، فهو يبدأ بالانتخاب الجنسي في النباتات .. ويسأل .. كيف يقع الانتخاب الجنسي بين النباتات التي لا يتوقف تلقيحها على الحشرات والطيور ؟ وكيف تميز الحشرات والطيور ما هو جميل وما هو أجمل ؟ ثم يقول .. « ان العجماوات قليلة الإدراك لما في المصنوعات الجميلة من الجمال حتى ان بعضهم جعل ذلك أعظم فارق بين الانسان وبينها ، وكان الاستاذ هكسلي (٢٦) ممن يذهب هذا المذهب » .

قال .. (ثم هب ان هذه الحيوانات الملقحة عذرية الهوى والفرام ، وهائلة بالجمال كمورة بن خزام .. ولكنها لا تريد مغازلتها بل تطلب رزقها المقسوم لها ، وعند أي نبات وجدته لقحته حسنا كان أو قبيحا فلا أدري بم يعمل هذا الحسن والانتظام في الفواكه والاثمار وما فيها من الطعم المحبوب والنكهة الطيبة ونحوهما مما لا يوجد الا بعد التلقيح ؟)

ثم انحنى المؤلف (الاصفهاني) على أساس مذهب التحول (في نظرية التطور والارتقاء) لانه قائم على افتراض تعدد الانواع بعد انفرادها أو قتلها ، وليس هذا الافتراض باللازم ضرورة من قياس العقل ولا من نتائج الواقع :

« ومن الطريف في هذا الرأي انه يعمل به القول باتحاد اصول الانواع أو قتلها ، كذلك يمكن القول بعكس ذلك والتعليل له أيضا ، فيقال ان اصول الاحياء كانت في بدء الخلق متباينة بأقصى ما يكون من التباين وعدم التشابه (٢٧) فلم يزل كل حي يخلف نسلا يشبهه بناموس الوراثة ويباينه بناموس المباينة

(٢٦) ترجمة هكسلي

هو ، توماس هنري هكسلي ، عالم انكليزي ، ولد عام ١٨٢٥ م وتوفي عام ١٨٩٥ م ، كان من اكبر اساتذة علم: الاحياء في القرن التاسع عشر ، كان قد تخرج في الطب من جامعة لندن ، وكان من اكبر الجراحين في البحرية البريطانية .. الا انه بعد ذلك عين استاذا للتاريخ الطبيعي في « كلية التمدين » ، وهكسلي هو الذي وضع مصطلح « الالادرية » في اللغة ، وهو يعني التوقف في مسئلة وجود الباري سبحانه وتعالى ، وعدم البت فيها لا بنفي ولا اثبات ، وهو من أشهر القائلين بنظرية التطور والارتقاء ، وكان شديد المهارة في مناقشة الخصوم ، وكان هكسلي على مذهب « الالادرية » فقد قال في أحد اجتماعات نادي الجمعية البريطانية ، لقد ذكر أحد أعضاء هذا النادي بأن الاغلبية منا تكفر بالله وتكفر بوجوده ، أما أنا ردا على ذلك باتني « لا أدري » وحسب .. أي ان عقلي قاصر عن ادراك معنى الوحي الالهي فانا حقا لا اعرف .. قال الاستاذ جورج سلسي الذي نقل عنه هذا القول في كتابه (عبارة العلم ص ١٩٧) .. ويتفحش لنا من كلمته تلك انه مسلم غير مؤمن أكثر منه جاحدا ينكر وجود الله ، فهو خارج على المعتقد الكنسي وليس مارقا يتبرأ من الدين .

(٢٧) وهذا القول عكس مذهب داروين في التطور والارتقاء .

لكن بما يقربه الى فرد آخر ، فلم تنزل تلك المباينات مع الاجداد تزيد
المشابهات مع سائر الافراد ، وتنازع البقاء بلاشيء الضعيف ، والطبيعة
(كما يزعمون) تنتخب القوي حتى صارت التباينات التي قلنا انها مع غير
المشابهات ثابتة ، فتألفت منه الانواع الموجودة .. وله شواهد على مذهب
هؤلاء ، فالحية مثلا تعد الآن من جنس الدبابات ولا تجتمع معها في الاصل
بل اصلها من ذوات الارجل ، وقل مثله في الحيوانات المنحطة التي يذكرها
بخنر وغيره فانها الآن تؤلف جنس المنحطات وهي بعيدة في الاصل منها .. »

أصل لغات البشر

ثم قال .. « وهذا الاحتمال .. وان لم اجد احدا قال به في اصول
الانواع ، ولكنه أحد القولين المشهورين في أصل اللغات .. وعند العلماء
مذهبان شهيران ..

الأول أن لغات البشر متشابهة ، وهي كلها من اصل واحد .. وهذا
الاصل قد تفرع وتنوع فتولدت منه لغات البشر المختلفة ، فما اللغات
سوى لهجات من لغة واحدة ولكنها بعدت عن الاصل كثيرا وتغيرت بالزيادات
والنقصان والنحت والحذف حتى بعدت بعضها عن بعض هذا البعد الشاسع
وتعذر رد بعضها الى بعض لفقد الحلقات الكثيرة من بينها ..

والمذهب الثاني انه كانت للغات البشر اصول مختلفة بحسب عدد
طوائفها ، وانه مع الزمان اقتربت هذه اللغات بعضها من بعض فتمازجت
وتشابهت الخ .. وعند الكاتب أن المذهب الثاني أقرب الى الصحة وأقدر
على حل المشكلة من الاول .. »

وتابع العلامة الشيعي بحثه في النشوء ونقده للنظرية التطورية ،
فاستطرد منه الى البحث في الارتقاء وسأل :

« اي معنى لارتقاء ذوات الاربع عن الطيور ، وارتقاء الانسان عن ذوات
الاربع ، مع اشتراك الكل في حصول التغير ؟ » .

ثم ينتهي المؤلف في بحثه الى أن مذهب داروين مذهب ناقص لا توجد
فيه حجة قاطعة يعتمد عليها غير قرائن الترجيح والتقليب .. ثم له عن
المزيد من البحث والتفتيق ، كما قال بعد أكثر من خمسمائة صفحة على
هذا المنهج مستندا الى قول (فيرسو) العالم الالماني .. « انه في بعض
طوائف الناس صفات يشاركونهم القرد فيها ، كما في بروز الفك وفطس الانف
مما يجعل العلاقة قريبة بين تلك الطوائف والقروء حتى يحتمل ارتقاؤها

من القرد ، ولكن بين الاحتمال والقطع بونا شاسعا ، لان الصفات المشار اليها لا تقوّم نوع القرد بل المقوّم له خواص اخرى ، وكل قدة من جلده كافية لتمييز نوعه من غيره من الانواع .

ولا اظن ان واحدا من المشرحين المشهورين يرتاب في ذلك ، والفرق بين الانسان والقرد واضح جدا حتى ان كل قطعة من الواحد كافية ليستدل منها على النوع المقطوعة منه .. فالادلة على النشوء الفعلي قاصرة جدا لا يبنى عليها حكم ، ولا بد من ان يزيدنا البحث والتنقيب للوقوف على ادلة اخرى قوية .. « ا هـ .

علماء مسيحيون يناقشون مذهب داروين

اما العلماء المسيحيون الشرقيون الذين ناقشوا مذهب التطور والارتقاء واثبتوا عدم صحته فهم كثيرون ، ولعل اقوى هؤلاء حجة (فيما وصل الينا) هم اربعة من مشاهيرهم ، ناقشوا مذهب داروين على الصعيد العلمي والديني .

الاب جرجس فرج يناقش النظرية

واحسن ما رايت من مناقشة هؤلاء المسيحيين الشرقيين لنظرية التطور والارتقاء مناقشة الاب جرجس فرج صفيح الماروني مدرس الفلسفة بالمدرسة اللبنانية في قرنة شهوان .

فقد اصدر هذا العالم الماروني سنة ١٨٩٠ م كتابا ناقش فيه انصار مذهب التطور والارتقاء مناقشة اثبت بها ان هؤلاء ليسوا على شيء وان مذهبهم انما بني على الوهم والتخيل .

وقد نهج نقاشه نهج الحوار بين خصمين سمي احدهما بالانسان القردى وسمى الآخر بالانسان الادمي ، وادار الحجاج بينهما على هذا المثال الذي نسمعكم اياه منقولا من كتاب (الانسان في القرآن الكريم) ص ١١٤ :

الادمي - اين تجدون اشكال الانتقال من يد قرد الى رجل انسان ؟ ، افهل عثر على ذلك احد علمائكم ؟ فان لم تعثروا على شيء من ذلك فالانسان القردى لا يكون له وجود ..

القردى - ان الباحث البالونولوجية « الحفريه » والحق يقال لم تات بما يعرب عن تسلسل بين الانسان والقرد او احد انواع الحيوانات .. على ان اساتدتنا قد اجمعوا على انه من المحتمل ان من الحيوانات التي على شكل حصان البحر ما يتحول الى حيوان قوائمه على شكل قوائم الخنزير ،

وان منها ما قد يتحول الى الماعز ومنها الى الخرفان ... الخ .

الآدمي - فان كان ذلك من طوابع المحتمل لا من امارات اليقين ، فإين العلم الحقيقي الذي تعولون عليه ؟ .

القردي - نعم .. اننا لم نجد الى الآن اثرا الى الانسان القردي ، غير ان العلم لم ينه قضاءه .

الآدمي - ولكن ماذا يكون هذا العلم الذي يقضي بخلاف الواقع ؟ فاننا نرى الأنواع لا تتغير عن ذاتها وان كثرت فيها الانسال ، فان قلت لا فارق بين النوع والنسل اسكتتك العلائم الفيزيولوجية ونحن نحصرها في امر وهو النتاج .

القردي - ومن يمكنه ان يرسم تخوم النوع ، والعلماء لا يكادون يتفقون على شيء منه ؟ .

الآدمي - او يكون الجهل في اصل شيء او في علته حجة في انكار وجوده ؟ انفقته ما للعلائم الجوية والأرضية من الاسباب والعلائق ؟ ونحن مع ذلك لا ننكر وجودها .. انا نعلم ان المولود من قران الفرس والحمارة لا يكون الا عاقرا ، فنقول .. لا بد من فرق نوعي في مولده .. افجھلنا في رسم حدوده يمكننا من انكار وجوده ؟ .

القردي - الا اني اعرف من اصحابكم من يقول بإمكانية مذهب التحول .
الآدمي - لا نجهل ان البعض من اصحاب الايمان يحبون ان يوفقوا بين التحول والايمان ، فيقولون .. ان الله سبحانه قد جبل آدم من تراب ، قد عركه كثير من المولدين من الخازباز الى آخر حيوان ذي اربع قوائم ، فاخذ الله هذا الحيوان الاخير من السلسلة المتحولة وهو القرد ونفخ فيه النفس البشرية ، وعليه فيكون آدم نتاج عمل محول وخالق معا .. وأبين لك في غير مفاوضة كيف يعمه هؤلاء في الضلال .. ومن العجيب كيف لا يفقهون ان هذا المذهب انما تنفيه الفلسفة نفسها كما سبق بيانه .

القردي - او هل تنفيه الفلسفة لو افترضنا تدخل الله عند انتقال كل من الانواع كما تدخل عند خلق الانسان ؟ .

الآدمي - اذا افترضت تدخل الله سبحانه كان لا بد من تعويض نفس بنفس .. اما هذا التعويض فيتم اما بوجود القرد الاول الذي تكون او في بداية الانتشار ، وكلا الافتراضين لا يتحقق .. اما الاول فلانه يفترض قتل الحي ثم اقامته او ملاشاته ثم اقامة آخر بدله .

القردي - قرأت في كتب بعض اصحاب مذهب التحول ان التمايز

انما ينتج من عمل صدفة يدور عليها الانتخاب الطبيعي فما قولك فيه ؟ .
الادمي - قد سبقهم الى مثل هذا القول غيرهم من الملحدين الذين
يؤيدون المادة .. ونحن نوقفك على أدلة تذكر ما يعولون عليه من فعل
الصدفة في تمايز الكائنات .

ان الصدفة لا تقع الا في الاشياء التي يمكن لها ان تكون على خلاف
ما هي .. فقد يمكن للطاولة التي يصنعها النجار ان تكون مربعة او مدورة ،
اما الاشياء التي هي من الضرورة ، ودائما ، فلا يمكن لها ان تحدث بطريق
الاتفاق .. ولكن من الاشياء ما لا يمكن له ان يكون على خلاف ما هو ، مثل
الجواهر البسيطة وذوات الاشياء وحقاتها ومثل الاعمال التي تصدر عن
فاعل لا يصادمه في فعله شيء ، كالجاذبية مع قطع النظر عن كل مانع
يصادمها في فعلها ، وعليه فان هذه الاشياء لا تقع عليها الصدفة .

انتظن ان للصدفة ان تجعل الكلب حمارا والحمار كلبا .. ونحن
نشاهد ان الحركات والافعال انما تلي تمايز الاشياء ولا تسبقها .. او لا
تري ان السفينة لا تتحرك ولا تجري قبل ان يجعل كل من آلتها في موضعه
على هيئة من التمايز لا ينبغي ان يشوبه ادنى خلل ؟ .

ويفضي هذا الحوار الى عجز الانسان القردي عن الجواب .

الاسقف خير الله اسطفان

اما الاسقف خير الله اسطفان وهو عالم مسيحي عربي ، فقد أصدر
كتابا اسمه (صفوة علم اليقين في حقيقة مذهب داروين) سنة ١٩٢٩ م
تناول فيه مذهب داروين بالبحث ، وذكر الادوار التي مرت بهذا المذهب
وما لاقاه من مقاومة عنيفة ابان ظهوره ، وما بدا عليه من تصدع وتهدم بعد
ان تعرض للبحث والتمحيص في العقد الاول من القرن العشرين .

فقد نقل عن العالم الالماني ادوارد فون هراتمان كلاما قال فيه : « انه
في سنة ١٨٦٠ م كانت مقاومة الافذاذ من العلماء الشيوخ لنظرية داروين
شديدة ، الا انه في سنة السبعين اخذت هذه النظرية تنتشر في كل صقع
تقريبا ، وفي سنة الثمانين كان نفوذ المذهب الدارويني عاما ومطلقا حتى
كاد يبلغ بسموه سمت الراس ، وفي سنة التسعين بدأت بعض الشكوك تعتل
وبعض المقاومات تظهر ، وعلامة التصدع والانهدام تبينت واتضحت .

وفي العقد الاول من الجبل العشرين بدأت ايام المذهب ان تكون معدودة
وقال ان من بين مضاديه وداحضي حججه من اعلام العلماء أمير ، وغوستاف
وولف ، ودي فريز وفون والشتين ، وفليشمان ، ورينك وغيرهم كثيرون .

وقد رفض الاسقف اسطفان مذهب داروين ، ولم يسلم بأن الانسان تحول عن غيره من الحيوان ، لأن هذا لم يثبت علمياً ولم يشهده أحد ، وطالب انصار المذهب بالحلقة التي يعترف الداروينيون بأنها مفقودة ، والتي لم ير لها اثر او عين بين الاحياء ولا بين الاموات ، لا في الاحافير ولا في المتحجرات .

الا أن الاسقف المذكور مع رفضه مذهب داروين ، لا يرى فيه (اذا ثبت) اية مناقضة للدين .

وقد جاء هذا صريحا في قوله متسانلا : « اذا ثبت مذهب النشوء هل يناقض الدين ؟ » والذي اجاب عليه قائلا « اننا نجيب مع العلماء التزيهين المجردين من الاغراض والاهواء بالنفي ، وانه لا يضاد مقاصد الخالق وغاياته » .

واستشهد ببحث للدكتور مكوشي الذي يقول فيه « ان النشوء بجميع مذاهبه لا ينفي مقاصد وغايات الباري عز وجل ، فالاستاذ هكسلي النشواني الكبير والمادي المعروف بين الناس النباء سلم بكون النشوء لا يلزم منه نفي مقاصد الله ، وان ترتب او توقف مخلوق على آخر او عملهما معا لاتمام مقصد جيد او اكمال غاية حسنة كالحياة للنبات وطيب العيش للانسان لهو دليل واضح عند كبار العلماء على مقاصد الله .. فالذي يصنع آلة تعمل هي آلة مثلها ، لهو احذق واقدر واحكم من الذي يصنع آلة تقتصر على العمل المقصود منها ولا تتعداه » .

نقض الدكتور حليم عطية لمذهب داروين

اما الدكتور حليم عطية سوريال الطيب الاول لسجن اسبوط ، فقد نسف مذهب داروين بأدلة علمية وعقلية لا تقاوم ، وذلك في كتاب أصدره عام ١٩٣٧ م بعنوان (تصدع مذهب داروين والاثبات العلمي لعقيدة الخلق) وقد لفت الانظار فيه الى انه من الخطأ الاعتقاد الشائع أن انكار مذهب التطور والارتقاء مقصور على رجال الدين ، ذلك أن من كبار العلماء الطبيعيين من يرفض هذا المذهب ولا يسلم به ، وذكر في كتابه أن من بين هؤلاء العلماء ، عميد كلية الطب بجامعة مونبيه وأستاذ علم الاجنة فيها ، والاستاذ كاترفاج مدير متحف التاريخ الطبيعي بباريس الذي كان ينفي مذهب داروين بقوله « اننا لا نعلم كيف تكونت الانواع الحية .. اننا نعلم فقط أنها غير قابلة للتحويل واننا على يقين بأن داروين ولامارك لم يكتشفا التاموس لطريقة تكوينها » .

وقد سرد الدكتور سوريال في كتابه المذكور أسماء كثير من اساطين

علماء الطبيعة المعارضين لمذهب التحول والتطور ، وذكر أن رايهم في الاختلاف بين الانواع يتلخص في « ان جميع تلك العوامل لا يمكنها ان تغير انواعا من الانواع الحية الى نوع آخر ، وكل التغيرات التي يمكنها ان تحدثها سطحية لا تمس التركيب الجوهرى للحيوان او النبات وبعضها باثولوجية - مرضية - (٢٨) تقود الى انقراض النوع ، ولقد قال العالم الايطالى روزا . . ان الاختبار الاصطناعي الذي جربه بنو الانسان في خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين » .

ويقول الدكتور سوربال في كتابه ان الحلقة المفقودة ناقصة بين طبقات الاحياء ، وليست بالناقصة بين الانسان وما دونه فحسب « فلا توجد حلقات بين الحيوانات الاولى ذات الخلية الوحيدة والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة ، ولا بين الحيوانات الرخوة ولا بين المفصليّة ، ولا بين الحيوانات اللافقرية والفقرية ، ولا بين الاسماك والحيوانات البرمائية ، ولا بين الاخيرة والزحافات والطيور ، ولا بين الزحافات والحيوانات الثديية ، وقد ذكرتها على ترتيب ظهورها في العصور الجيولوجية » .

ثم ينفي الدكتور سوربال الزعم القائل (في مذهب داروين) ان الانسان كان (اثناء بعض فترات تطوره) ضعيف الجسم غير مكتمل البنية ، وناقصا في عقله وادراكه وتفكيره . . ينفي الدكتور سوربال هذا الزعم الدارويني بقواه :

كيف يمكن لمخلوق ضعيف الجسم وضعيف العقل ان يعيش وحوله الاسد والفيل والدب والتمر وغيرها من الحيوانات المفترسة ؟ .

ويؤكد الدكتور سوربال اهتزاز مذهب داروين ، بقوله : « ان مشكلة الحلقة المفقودة بين الانواع هي مشكلة المشاكل في تمحيص مذهب داروين ، وانها - اي المشكلة - لا تزال على قوتها بعد انقضاء مائة سنة على ظهور كتاب اصل الانواع (لداروين) واستئناف التعليق عليه بين خصوم المذهب وانصاره الذين استجمعوا غاية ما استطاعوا لحل هذه المشكلة عند الاحتفال بذكرى مرور القرن على ظهور ذلك الكتاب ا هـ . »

الاستاذ الحوراني ومذهب داروين

اما الاستاذ ابراهيم حوراني - وهو من علماء اللغة ومن ذوي الاطلاع الواسع على المباحث العلمية ، فقد ناقش مذهب داروين مناقشة علمية

(٢٨) انظر في هذا الكتاب تحت عنوان (مشاهدات تنقض حجة داروين) قصة واقعية يرويها المؤلف تقيم الدليل على اهتزاز ادلة النشويين في القول بالتطور والارتقاء .

وعقلية ، ردّ بها على هذا المذهب في رسالتين الفهما ، أحدهما (مناهج الحكماء في نفي النشوء والارتقاء) والاخرى « الحق اليقين في الرد على بطل داروين » قام بطبعها في بيروت سنة ١٨٨٦ ، وقد كان هجومه مركزا على نواحي الضعف في مذهب داروين ، وهو اهتزاز أدلته وعدم ثبوتها واعتماد هذا المذهب على الشواهد التي لا تعطي اليقين وتذهب بالشكوك ، أو تسكت المعارض بدليل قاطع لا يقبل الجدل ، وانما تقسح المجال للافتراض والتخمين الذي هو أساس المذهب .

وقد أشار الاستاذ حوراني في ردوده الى العلماء الراسخين المختصين الذين لم يثبتوا مذهب داروين ، بل لقد نفوه وطعنوا فيه مع علمهم بأن داروين قضى عشرين سنة في بحثه وتدعيمه .

وقد أورد الاستاذ حوراني (ضمن ردوده) احصاء لبعض علماء الحفريات عن الانواع التي وجدت في بطن الارض ، فقال . . ان ثمانية وعشرين في المائة منها انواع لم تتغير ، وسبعة في المائة انواع مهاجرة ، وخمسة وستين في المائة لا سلف لها ، واما الانواع التي نشأت بالتغير او الانواع الجديدة ، فلا وجود لها في شيء من بقايا الحفريات .

ويرد الاستاذ حوراني على استدلال النشويين بتشابه الاجنة بين الانسان وبعض الحيوان ، فيقول ان علة هذا التشابه « بساطة التكوين وقصر النظر . . بدليل ان التباين يعظم على توالي اقترابهما من كمال التكوين ، فلا ينشأ من بيوض الانسان او اجنته سوى اناس ، ولا ينشأ من بذرة اللوز الا لوزة » .

ثم يرد على احتجاج النشويين بالاعضاء الاثرية ، ويثبت لهم ان هذه الاعضاء (اذا وجدت) فانه لا علاقة لها بالتطور والنشوء والارتقاء الذي يزعمون وانما هي شواذ لا حجة لمذهبهم فيها ، وليثبت لهم ذلك فانه يحيلهم الى بحث التيرانولوجيا - أي المشوهات - لتفسير الاعضاء الاثرية التي تثبت بعد ولادة الجنين ، والتي من أمثلتها « الاعنشى » أي من له ست أصابع وهو من أبسط الامثلة ، والاشوه المزدوج كهيلين وجوديت وهما الاختان العنفرانيتان المشهورتان ، كانتا ملتصقتين بالمتنين والافخاذ والأحشاء ، ولدتا سنة ١٧٠١ م وعاشتا اثنتين وعشرين سنة وكانتا مختلفتي السجيا والاخلاق .

وينفي الاستاذ حوراني ان يكون الانتخاب الطبيعي أس الارتقاء الدارويني لان الطبيعة (كما يقول) انما تؤثر في الموجود ، وليس لها ان توجد المعدم ، فيمكنها (يزعمه) ان تعمي العيون . . ولكنها لا تستطيع ان توجد البصر » ويقضي مذهب داروين ان لا تجتمع الانواع الدنيا والعليا

بل تتعاقب وتسبق الاولى الثانية ابدا ، ولكن ذلك الاجتماع الذي نفاه داروين ، ثبت في المنقرضات والاحياء .
 وأثناء مناقشة الاستاذ حوراني مذهب داروين ، قسم انصار مذهب التطور والنشوء والارتقاء الى ثلاث فرق .. معطلة ولا أدريّة والهيّة .. « اما المعطلة فهي التي نفت الخالق سبحانه وتعالى وقالت بقدم المادة .. وأما اللا أدريّة فهي التي لم تتعرض لنفسي الخالق ولا لاثباته .. وأما الالهية فهي التي اعترفت بالواجب تعالى وقالت بأنه خلق المادة والحياة .. ويعتبر الاستاذ حوراني (تشارلز داروين) من هذه الفرقة الالهية حيث يقول .. وانقسمت هذه الفرقة (اي الالهية) الى اثنتين ، ظنت احدهما الانسان ابن القرد أو صنوه ، ومنها (داروين) وقالت الاخرى .. بأن الله تعالى خلق الانسان من البدء اتسانا ومنها العلامة (ولاس) .. ويقول الاستاذ حوراني ان علماء هذه الفرقة - اصحاب النشوء الالهى - هم الذين قالوا بإمكان التطور والارتقاء ، ولكنهم قالوا بعدم البرهان على وقوعه ، وبأن عليه اعتراضات لم تدفع دفعا مقنعا » . (٢٩)

علماء الشرق الذين نصرُوا مذهب داروين

وبعد ان انتهينا من ذكر ردود علماء الشرق المسلمين والمسيحيين على نظرية داروين ، قال أحد الحاضرين .. وهل قام أحد من مفكري الشرق بمناصرة مذهب داروين وتأييد صحته ؟؟
 فقلت له .. ان الذي وصل الى علمي (حتى الآن) هو ان الذي ناصر هذا المذهب من العلماء (على ضعيف النشر والتأليف) رجلان (الدكتور شبلي شميل (٣٠) و (الدكتور جورج حنا) .

(٢٩) انظر كتاب (الانسان في القرآن) للاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله من ص ١٠٢ - ١١٤ ففيه مزيد من التفاصيل عن ردود هؤلاء العلماء الشرقيين على مذهب داروين .

(٣٠) ترجمة الدكتور شبلي شميل

هو الدكتور شبلي ابراهيم شميل (بتشديد الباء) طبيب لبناني ، ولد في قرية كفرشيم (بلبنان) سنة ١٨٥٣ م وتوفي في القاهرة سنة ١٩١٤ م ، قال الزركلي في الاعلام .. كان ينحدر من الفلاسفة في عيشته وآرائه وتعلم في الجامعة الامريكية ببيروت ، وقضى سنة في أوروبا - وسكن مصر ، فأقام في الاسكندرية ثم في طنطا ، ثم في القاهرة ، وتوفي فيها . أصدر مجلة « الشفاء » سنة ١٨٨٦ م - ١٨٩١ م وألف فلسفة النشوء والارتقاء ، وله رسالة « المعاطس - ط » صغيرة على نسق رسالة الغفران للمعري ، و « شكوى وآمال - ط » رسالة ، و « آراء الدكتور شميل - ط » رسالة ، و « سوريا ومستقبلها - ط » و « شرح بختر على مذهب داروين - » وكتب شروحا وتعليقات على كتب طبية قديمة تولى نشرها ، كفصول ابقراط ، وارجوزة ابن سينا .

والذي ظهر لي أن أقوى الرجلين واشدهما عنادا في مناصرة مذهب داروين بل ومناصرة الجناح الالهادي في هذا المذهب ، هو الدكتور شبلي شميل ، الذي لم يكتف بمناصرة نظرية داروين كنظرية علمية ، بل أعلن خصومته الشديدة لجميع الأديان ونفى وجود الخالق سبحانه وتعالى .

قال الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (الإنسان في القرآن الكريم ص ١٢١) .. أما انصار مذهب النشوء في الشرق العربي وافصحهم بيانا الدكتور شبلي شميل ، وقد كاد أن يسبق داروين وأصحابه إلى الأخذ بالنظريات النشوئية على علاقتها ، وقد سبق الماديين الغربيين إلى نفي كل صفة روحية ، أو غيبية في الإنسان ، إذ قال في مقدمة ترجمته لشرح بختر (٣١) على مذهب داروين « أن الإنسان على رأي هذا المذهب طبيعي هو وكل ما فيه مكتسب من الطبيعة . وهذه الحقيقة لم يبق سبيل للرب فيها اليوم ، ولو أصر على انكارها من لا يزال مفعول التعاليم القديمة راسخا في ذهنه رسوخ النقش في الحجر .. فالإنسان يتصل اتصالا شديدا بعالم الحس والشهادة ، وليس في تركيبه شيء من المواد والقوى يدل على اتصاله بعالم الروح والغيب ، فان جميع العناصر المؤلفة منها موجودة في الطبيعة وجميع القوى التي فيه تعمل على حكم قوى الطبيعة .. فهو كالحيوان فزيولوجيا ، وكالجماد كيمائيا ، والفرق بينه وبينها فقط بالكمية لا الكيفية ، والصورة لا الماهية ، والعرض لا الجوهر ، ونواميس التقليدية واحدة فيهما .. غير أن الإنسان يدرك أكثر من الحيوان لأنه أكمل تركيبا من الحيوان » .

وكانت ردود الدكتور شبلي شميل على مناقشته تكرارا لردود داروين وبختر وغيرهما من القائلين بتحول الأنواع ، وفحواها :

١ - أن التباينات بين الأنواع لا تزيد على التباينات بين أفراد النوع الواحد إلا بالوراثة ، وهذه أثر ثابت لا يحكم عليه بالفترة المعلومة من تاريخ الإنسان لأنها ثبتت بعد انقضاء مئات الملايين من السنين (٣٢) .

٢ - وأن انصاف الأنواع ليس من شأنها أن تعيش وتنقل ميراثها إلى زمن طويل ، لأن التورث مرتبط بتمام الجهاز المميز للنوع وهو لا يتم في انصاف الأنواع ، ولكن قد يدل عليه التناسل بين بعض الحيوانات كالخيل

(٣١) انظر ترجمة هذا العالم الملحد في هذا الكتاب .

(٣٢) لست أدري كيف تثبت هذه الأمور المزعومة لدى هؤلاء الناس وكيف قطعوا بها مع أنه (كما يزعمون) قد انقضى عليها مئات الملايين من السنين ، بل بأية وسيلة علمية قاطعة يستطيعون اثبات مضي هذه المئات من ملايين السنين ؟؟ أنه الوهم والتخيل ، بل والعناد ليس إلا .

والحمير والكلاب والذئاب ، وقد يدل عليه « اكتشاف الطير العجيب - الاركوبتركوس - الذي وصل بين طائفتين من الحيوان منفصل بعضهما عن بعض انفصالا تاما وهما الطيور والحشرات » .

٣ - ان العلماء يخطئون في وضع حدود الانواع ، وقد ذكر داروين « ان النباتي الانجليزي وستن يذكر ١٨٢ نباتا انجليزيا عدها غيره انواعا مع انها تباينات ، وقد قال هوكر في هذا المعنى ما نصه .. ان النباتيين يعدون الآن من ٨٠٠ الى ١٥٠٠ نوع من النبات ، فالنوع اذن غير محدود » .

٤ - ان التحولات لا ينبغي ان يبحث عنها في الانواع الحاضرة (٣٣) لان كلا منها تطور عن انواع سابقة له في سلسلة هي التي كان يمكن ان يجري بينها التحول في اوانه ، ولكن الانواع الحاضرة تباعدت عن اصولها فابتعدت الاشباه المتحولة فيما بينها (٣٤) .

ثم يعلق الاستاذ العقاد على كلام الدكتور شبلي شميل بقوله .. « ولا ننسى - عند تقدير عوامل العناد بين الطرفين - ان الدكتور شبلي شميل انما يواجه بهذه الخصومة اللدود سلطان رجال الدين ، فانساق من هذه الخصومة الى خصومة الاديان (٣٥) ، وراى كما قال في مقدمة الترجمة ان « الملل والديانات اصلها واحد ، وقيامها في الدنيا انما هو لعاملين ، حب الرئاسة في الرؤساء ، وارتياح الرؤوس الى حب البقاء ، وكلاهما لما في الانسان من محبة الذات .. فسطا دهاة الناس على ساذجي العقول منهم ، فساد البعض وسيد على البعض الآخر ، وتم بذلك غرض الفريقين » .

وخطاب رؤساء الدين قبل ختام المقدمة قائلا « سوف يتولى ما بقي ،

(٣٣) ان الداروينيين يقولون هذا عجزا منهم عن مواجهة افوى حجة يحتج بها المارضون على بطلان مذهب التطور والتحول والارتقاء ، وهي انه منذ فجر التاريخ لم يشاهد احد ان نوعا تحول الى آخر ، فلم يقل احد (بل حتى انصار المذهب نفسه) لم يجرؤ احد منهم على القول بأنه قد تم فعلا (وبصورة قطعية) ان ديكاً قد تحول الى نعام الخ .

(٣٤) كل هذا الكلام اذا ما وضعه النصف تحت مجهر البحث الحر التزيه يجد ان اساسه الوهم ومصدره التخيل والافتراض ، اذ ليس له اي سند من علم معتبر او واقع مشهود ، يمنحه صفة الحقيقة الواقة ، فهو ليس اكثر من كلام مكروء انتجه الوهم والتخيل ، يرويه دعاة النشوء والارتقاء بعضهم عن بعض ، ويحتجون به وكأنه كلمات كتاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(٣٥) وهذا تصف سافر يرتكبه كثير من المفكرين الجاهلين بحقيقة الاديان ، فهم اذا ما راوا انحرافا او تسادا من بعض التنسيين الى الاديان او نشبت بينهم وبين هؤلاء خصومة شخصية صبوا جام غضبهم على الاديان ذاتها ونسبوا اليها (زورا وبهتانا) كل نقيصة ، كما فعل الدكتور شبلي شميل ، وهذا منتهى الشطط والظلم والاعتداء .

ولربما كان حظكم من ذلك في الشرق اطول جدا لولا أن الغرب باسط فوقه يديه .. ولا تعللوا النفس بما في التاريخ من سقوط بعض الامم .. القت اليكم مقاليد احكامها وسلمتكم زمام أمورها فانه - وان حصل ذلك - الا انكم لن تبلغوا امانيتكم لتوفر معدات التقدم في العلوم والصنائع وانتشار ذلك بواسطة الطباعة » . ا ه .

الرد على اتهام الشيوعية للاديان

ان هذا الاتهام الموجه الى الاديان الذي أورده الاستاذ العقاد عن الدكتور شبلي شميل ، ليس من بنات افكار هذا الدكتور ، وانما هو ترديد لما قاله مؤسس الشيوعية العالمية كارل ماركس ، الذي كان يعلم (منذ اللحظة الاولى التي قاده فيها حقه اليهودي الاسود الى التفكير في ابتداع هذا المذهب الالحادي) ان أول خصم قوي سيصمد في وجه مذهبه الالحادي هو الاديان السماوية .

رمتني بدائها وانسلت

ولما كان كارل ماركس يعلم (قبل غيره) ان نفمة الاشتراكية الحلوة التي يضرب الشيوعيون على وترها عند تحسين الشيوعية للناس والدعوة الى اعتناقها ، ليست الا مخدرا يخدرون به الفاشلين في الحياة من الكسالى والحقادين وقصار النظر من العاطفيين والباحثين عن النعيم والمنصب من اقرب الطرق ، فقد سارع هذا الزعيم الشيوعي الى توجيه هذا الاتهام الكاذب الى الاديان .. هذا الاتهام الذي ينطبق (حقيقة) على المذهب الشيوعي ومخترعه ، وبهذا ينطبق على دعاة المذهب الشيوعي (تماما) ذلك المثل السائر ، - رمتني بدائها وانسلت .

ذلك ان النصف المتجرد من الهوى اذالقى نظرة فاحصة واعية على اصول المذهب الشيوعي وفلسفته وما هيا هذا المذهب لزعمائه من مناصب وسلطات مطلقة جعلتهم في مصاف الالهة ، لوجد ان هذا الاتهام الذي يوجهه الشيوعيون للاديان انما ينطبق (كحقيقة واقعة مشهودة) على النحلة الشيوعية التي لم يتدعها اقطابها الا لتسلط هذه الحفنة من الزعماء - باسم تحقيق النعيم الكاذب المزيف - على مئات الملايين من البشر وتتصرف فيهم تصرف الوحوش الضارية في قطعان الفقم الضعيفة الوداعة ، كما هو الواقع المشهود .

والا فان لدينا سؤالا يصعب على دعاة الشيوعية وفلاسفتها ان يجيبوا عليه وهو :

إذا كانت الأديان السماوية ليست إلا من صنع الأشخاص الطامعين في التسلط اخترعوها ليتحكموا (باسمها) في سواهم ويسودوا على غيرهم ، وأنه لذلك يجب أن تزول هذه الأديان ويخلصها الناس من قلوبهم ، لتحل محلها النحلة الشيوعية العالمية لأن فيها (بزعمهم) الشفقة والرحمة بالفرد وانتقاده من تسلط الأديان وامتهانها لكرامته ؟.. فهل يعطي نظام الشيوعية القائم اليوم للفرد من الحرية الشخصية والشعور بالكرامة والتعبير عن الرأي أكثر مما تعطيه الأديان السماوية (وخاصة الإسلام) للأفراد التابعين لهذه الأديان عندما كان حكمها سائدا على الشعوب ؟.

وهل استطاعت النحلة الشيوعية أن تضع حدودا لسلطة الحاكم لا يتعداها في معاملته للفرد المحكوم كما فعل دين الإسلام (مثلا) الذي قال أول خليفة من خلفائه .. لقد وليتكم ولست بخيركم ، أطيعوني ما أطعت الله فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ؟.

بل هل أعطت النحلة الشيوعية الفرد من الحرية مثلما أعطى الإسلام ذلك الأعرابي الذي قاطع أكبر رأس في الدولة وأقوى خليفة في الإسلام (عمر بن الخطاب) وهو يخطب ، وقال له - عندما سمعه يقول أيها الناس اسمعوا وأطيعوا - لا سمعوا ولا طاعة حتى نخبرنا لماذا الثوب الذي عليك أكبر من الآثواب التي علينا نحن أفراد الشعب ؟

وهل في فلسفات الشيوعية وتعاليمها وتشريعاتها التي ما جاءت (كما تقولون) إلا لتحمي الفرد من تسلط الزعماء وتحكم الحاكمين باسم الدين .. هل في هذه التعاليم والفلسفات والتشريعات ما يجبر حاكما من حكامكم على قطع خطبة يلقيها على شعبه ليستمع (وبصدر رحب) إلى انتقاد يوجهه إليه شخصا فرد عادي بسيط من أبناء البادية ، ثم يناقشه (من على المنبر) مناقشة الند للند كما فعل الأعرابي مع الخليفة عمر الذي لم يستأنف خطابه إلا بعد أن أثبت للأعرابي أن الزيادة التي رآها في ثوبه لم يأخذها من مال الشعب ليمتاز بها عليهم ، وإنما هي ثوب أحد أبنائه تكرم به عليه ليضيفه إلى ثوبه الذي أخذه من مال الأمة كأحد أفراد الشعب ، والذي جاء قصيرا عليه عندما أراد لبسه لأنه كان طويلا من الرجال ، حتى اقتنع الأعرابي وسحب اعتراضه قائلا ، أما والأمر هكذا فسمعنا وطاعة يا أمير المؤمنين ؟.

نعم هل استطاعت الشيوعية العالمية - التي يريد الشيوعيون إحلالها محل الدين العالمي - أن توفر للفرد العادي من الضمان والطمأنينة ما يجعله يجبر (خروتشوف أو ماوتسي تنج) على قطع خطبته ليدخل في نقاش حر نزيه مع فرد عادي يوجه إليه نقدا شخصيا ، كما فعل الإسلام الذي

اعطى ذلك الاعرابي من الضمان ما جعله يجبر الحاكم الاعلى في الدولة على قطع خطبته (دونما أي خوف او وجل) ليدخل معه في ذلك النقاش الذي اثاره الانتقاد الشخصي الموجه الى عمر بن الخطاب من ذلك الاعرابي ؟.

نعم هل استطاعت الشيوعية العالمية التي ما جاءت الا لتتخذ الشعوب من تسلط الاديان وجبروت الحاكمين باسمها وتقدم لهم حكاما رحماء لا يمتازون عليهم بشيء .. هل استطاعت هذه الشيوعية التي تدعي هذا ، أن تصنع مثلما صنع الاسلام حاكما مثل عمر بن الخطاب الذي كان على ذلك المستوى من المثالية الحقه والعدالة البعيدة كل البعد عن النفاق والرياء ؟.

لقد كان عمر بن الخطاب (قبل أن يدين بالاسلام) اقرب الى الوحشية الضارية منه الى الانسانية المهدبة ، فقد كان (قبل اعتناقه لدين الاسلام) يضرب به المثل في الطفيان والتوحش والهمجية ، ولكنه لما دان بالاسلام وتقيّد بتعاليمه جعل منه هذا الدين انسانا آخر حيث استل بتعاليمه السمحة من نفسه كل ما كان فيها من تقائص الجاهلية وعيوب الوحشية والهمجية ، حتى جعل منه مثلاً أعلى للحاكم العادل الذي جعل من نفسه خادماً أميناً للشعب الذي ارتضى أن يكون حاكماً عليه ، حتى صار يضرب به المثل في العدل والانصاف .. وكم صنع الاسلام (وهو من الاديان السماوية التي تهاجمها الشيوعية) رجالاً من نوع عمر بن الخطاب ، كان ولا يزال ذكرهم الطيب في مجال العدل وتوفير الخير والامن والاستقرار والمساواة للشعوب يعطر أرجاء الدنيا ، وما هذا المجد الباذخ الذي بناه العرب ثم الشعوب الاخرى التي دخلت في الاسلام ، والذي لا يزال (بالرغم من توالي الدهور) انشودة التاريخ الخالدة يرددوها جذلاً (رغم أنف الشيوعية والشيوعيين) الا حصيلة تعاليم الاسلام الذي تزعم الشيوعية أنه (مع غيره من الاديان السماوية) مصدر اذلال واستعباد للشعوب والامم .

انني اعتقد (جازماً) أن زعماء الشيوعية العالمية الذين يتهمون الاديان ذلك الاتهام ، لو انصفوا فقارنوا مقارنة صحيحة بين ما اعطته الاديان - وخاصة الاسلام - للحاكمين باسمها من سلطات وبين ما منحه الشيوعية من سلطات وصلاحيات لزعمائها ، لاتضح لهم أن أي دين سماوي لم يعط حاكماً باسمه عشر معشار ما اعطته الشيوعية الملحدة لهؤلاء الزعماء من سلطات مطلقة ، جعلت منهم - لا حكاماً مطلقي التصرف فحسب - بل آلهة مخيفة سفاحة ، يكون الموت والفناء مصر من يفكر في معارضتهم أو رد كلمة يريدون تنفيذها ، حتى صار الفرد في ظل النظام الشيوعي يكاد يضع قفلاً على فمه خوفاً من أن تفلت منه كلمة يشم منها رائحة المعارضة لزعيم من زعماء الشيوعية ، فتذهب به الى العالم الآخر فوراً .

وهذا (في محيط الحكم الشيوعي) شيء أمره معلوم وخبره متواتر

مشهود ، وهو بلاء لم يتعرض لمثله أي فرد في ظل حكم أي دين من الأديان السماوية التي يقول الشيوعيون أن حكمها كان شرا ووبالا على البشرية .

وحتى رجال الكنيسة الحاكمون باسمها في الغرب ، والذين قال عنهم التاريخ الغربي أنهم كانوا على غاية من القسوة في معاملة المخالفين لهم ، لم يروا التاريخ أن شعوبهم كانت تعاني من الذل والفاء الشخصية والافناء بالجملة مثلما تعانيه الشعوب الواقعة تحت ظل الحكم الشيوعي اليوم ، اللهم الا ما كان من الملك فرديناند والملكة ايزابلا عند سقوط الاندلس المسلمة في أيديهما ، على أن ما ارتكبه فرديناند وايزابلا من وحشية وهمجية ضد المسلمين لم يكن نتيجة تعاليم الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام ، واتما كان نتيجة حقد شخصي كان كامنا في نفوس أولئك الحكام المتوحشين .

بل لقد عرف الباحثون المطلعون على دقائق الاخبار كيف أن رجال الكنيسة هؤلاء لم يسمحوا لانفسهم (وهم في أوج سلطانهم) بأن ينزلوا العقاب بأكبر خصومهم ومعارضيههم ، أمثال لامارك ونيوتن وبختر وأرنست هيكل وداروين ، هؤلاء العلماء الذين سقاهم الدين المسيحي وسخر من رجال الكنيسة ودعا الى هدم سلطانهم ، فبالرغم من غضب رجال الكنيسة على هؤلاء العلماء الماديين وحكمهم عليهم بالكفر والالحاد، فإن رجال الكنيسة هؤلاء — مع نفوذهم المطلق — لم ينفذوا في أحد من معارضيههم هؤلاء حكم الموت ، كما يفعل الشيوعيون — لا في من يجاهر بمعارضة النحلة الشيوعية — بل فيمن يشكون في أنه معارض للمذهب الشيوعي، وغير مخلص للمبادئ الماركسية .

فهل بعد هذا يصح للشيوعيين أن يزعموا بأن النحلة الشيوعية خير للبشرية واحفظ لكرامة الفرد وأضمن لحيثته من الأديان السماوية ، وأن هذه الأديان إنما هي من صنع أشخاص اخترعوها جبا منهم في التسلط والسيطرة باسمها على الشعوب ؟.

انني كلما تذكرت مزاعم اقطاب الشيوعية القائلة أن الأديان من صنع أشخاص ابتدعوها للتسلط والتحكم باسمها ، وكلما تذكرت قول كبير مجرميها كارل ماركس « الدين أفيون الشعوب » تذكرت ذلك المثل العربي السائر (رمتني بدائها وانسلت) ، لأنه لم يبق شيء اسمه تخدير وتحكم وتسلط ووحشية بل ونذالة ، لم يرتكبه اقطاب الشيوعية باسم هذه الشيوعية ضد الواقعين تحت نير حكمهم البغيض الرهيب ، وخاصة الذين يفكرون — مجرد تفكير — في انتقاد أو معارضة هؤلاء الاقطاب ، وأسألوا مجاهل سيبيريا الوحشة عن عشرات الملايين من الضحايا الذين دفنوا فيها جزاء تفكيرهم في معارضة القائمين على النظام الشيوعي في روسيا .

فامتهان الفرد العادى (شيوعيا كان او غير شيوعى) ومصادرة حريته
والغاء شخصيته واجباره على تاليه الزعماء الشيوعيين وعبادتهم ، وانزال
العقاب الساحق المميت بمن يفكر فى معارضة اقطاب الحزب الشيوعى الحاكم
هو العمود الفقرى للنظام الشيوعى والحارس القوى المخيف الذى يكفل
البقاء لاقطاب الشيوعية فى كراسى الحكم ، ولهذا صارت اليوم اعلى امنية
لل فرد العادى فى دائرة الحكم الشيوعى ان يجد السبيل الذى يستطيع
بواسطته الافلات من قبضة النظام الشيوعى الرهيب .

ومن لديه ادنى شك فى صحة ما نقول فما عليه الا ان يذهب الى دائرة
النعيم الشيوعى المزعوم ليعيش فى ظله كائى فرد عادى ، وهناك سيتجسد
له الواقع الرهيب ، وستذهب السكره لتحل محلها الفكرة .

بل على الدين يشكون فى صحة ما نقول - اذا ما ارادوا معرفة حقيقة
الحكيم الشيوعى دون ان يعرضوا انفسهم للفتح ليهبه - ان يذهبوا الى
برلين الغربية ويقفوا عند الحائط ويلقوا نظرة فاحصة على القطاع الشرقى
من برلين الواقع تحت الحكم الشيوعى التقدمى الاشتراكى الديموقراطى
الشعبى ، ثم يلقوا نظرة اخرى على القطاع الغربى من المدينة الواقع تحت
الحكم الرسمى الراسمالى ، وبالمقارنة الصحيحة المجردة ستتجسد ملامح
المأساة الرهيبة التى يعيشها الفرد العادى داخل الجنة الاشتراكية
الشيوعية الحمراء المزعومة التى جاء بها كارل ماركس لينقذ البشرية من
تسلط الاديان ، والتى لكى يفسح الطريق لها ويخدر الفاشلين والكسالى
والحاقدين بمخدر دعاواها العريضة الطويلة الخلافة البراقة الخادعة ،
هاجم الاديان وقال كلمته تلك (الدين افيون الشعوب) .

نعم هناك عند حائط الموت - الحائط الذى يفصل برلين الغربية عن
برلين الشرقية - سرى هناك كيف ان الافراد - ليتخلصوا من جنة ماركس
الحمراء - يفرون من القطاع الشرقى سباحة فى الانهر غير مبالين بالرصاص
الشيوعى الذى ينهمر عليهم لاجبارهم على البقاء فى الجنة الشيوعية الحمراء
وكيف ان هؤلاء الافراد - لينجو من جنة الشيوعية الكريهة التى خلبت
معزوفتها الساحرة لب المغفلين وخدرت مشاعرهم يعملون فى نقب الانفاق
سرا تحت الأرض ليهربوا عبرها الى القطاع الغربى من برلين ، مفضلين
تعريض حياتهم للخطر على العيش فى ظل نظام الشيوعية الذى كثيرا ما بلغت
به القسوة وشدة امتهان كرامة الانسان الى ان فضل الكثير من الناس الموت
على العيش فى ظله ، وهذه حقيقة واقعة تشهد بها الاخبار المتواترة عن
الضحايا الذين يفقدون ارواحهم برصاص الشيوعيين وهم يعبرون الانهار
سباحة الى القطاع الغربى او يحاولون اقتحام جدار الموت هربا ، او يقدفون
بانفسهم من الطوابق العليا فى البيوت الواقعة فى القطاع الشرقى ، والواقعة

مشارفها على الشوارع الواقعة في القطاع الغربي ، ولقد شاهدت بعيني عندما كنت في زيارة لبرلين الغربية - عند مروري في أحد الشوارع - نوافذ بيوت كثيرة مسدودة كلها بالأجر الأحمر ، كما شاهدت رجلا في القطاع الشيوعي رايقين وراء مدافعهم الرشاشة التي سدّت فوهاتنا على حيطان البيوت المنخفضة التي تقع على حدود القطاعين ، فلما سألت عن ذلك - مستغربا - اتضح لي أن سبب سد منافذ تلك البيوت ، هو أن كثيرا من سكان القطاع الشيوعي في برلين كانوا يقذفون بأنفسهم من تلك النوافذ الى الشوارع الواقعة في القطاع الغربي لينجوا بأنفسهم من الجحيم الشيوعي وأن كثيرا من هؤلاء فقد حياته نتيجة لبعد المسافة التي قذف بنفسه منها ، أما المدافع الرشاشة المصوبة على الحيطان المنخفضة فقد نصبت لقتل من يحاول الفرار من القطاع الشيوعي عن طريق تسلق هذه الحيطان ، وأن كثيرا من الناس قد لقوا حتفهم برصاص هذه الرشاشات لمحاولتهم الهرب الى القطاع الغربي .

هذه هي الشيوعية التي ما جاء بها ماركس الا ليمنح الفرد الحرية والكرامة ويوفر له الرخاء والطمأنينة والامن وينقذه من جبروت سلطان الدين ، وتلك هي الحرية والكرامة والطمأنينة والرخاء التي حققتها الشيوعية العالمية للفرد الذي يكون مصيره الموت اذا ما حاول الخروج من نعيمها !! .

واي رخاء وطمأنينة وحرية وكرامة تلك التي يجبر الفرد على العيش في ظلها تحت فوهات المدافع الرشاشة ؟ .

حقا انها اكدوبة الدهر الكبرى وفرية التاريخ العظمى .

فهل سيفهم الدين لا يزالون - تحت تأثير آفيون معزوفات الدعاوى الشيوعية الساحرة البراقة الكاذبة - يتهمون الاديان بأنها سبب شبكات البشرية واستعباد الانسان للانسان ، ويرددون - كالبيضاء مع كارل ماركس - تلك الكلمة الفاجرة المفتراة (الدين آفيون الشعوب) ؟؟

هل سيفهم هؤلاء المسحورون حقيقة هذه الشيوعية الرهيبة التي توفر في ظل نظامها المرعب (من الغاء لشخصية الفرد وهلم لكرامته وذبح لحيثته وقتل لارادته ونزول به الى منزلة احط من منزلة الحيوان) ، ما لم يتوفر في ظل أي نظام عرفته الدنيا حتى يومنا هذا ؟ . أم أنهم سيظلون يرددون (دونما ادراك أو تفكير) تلك المفرية التي تعتبر أعظم فرية في عالم الى استقراره ورخائه وحماية حرية الفرد فيه وضمن سعادته الا بسيادة الكذب والدجل والتزوير والمغالطة ، القائلة (انه لانجاة للعالم ولا سبيل النظام الشيوعي على العالم وتمكين أقطابه من قيادة البشرية ؟؟) .

وبعد ان وصلنا الى هذا الحد من تفنيد مزاعم الشيوعية قلت للاخ

المستفسر .. معذرة لقد خرج بنا الحديث عن صلب الموضوع ، فقال ..
لا عليك ، فالحديث - كما يقولون - ذو شجون ، وفيما تطرقت اليه من
الرد على مفتريات الشيوعية ليس خروجاً عن الموضوع بل هو من صميمه .

نظرية داروين ليست حقيقة واقعة

نقال شاب آخر من شهود جلسات المناقشة :

فإذا كانت نظرية التطور والارتقاء من الاهتزاز وعدم الثبوت بهذه
الدرجة فما هي (إذن) الأدلة العلمية التي اقنع بها الداروينيون على صحة
هذه النظرية التي (بها) أقاموا الدنيا وأقعدوها ؟؟ .

فقلت له ... لم أر فيما كتبه أقطاب نظرية التطور والارتقاء شيئاً
يمكن تسميته دليلاً قاطعاً أو برهاناً مقنعاً يجعل الإنسان يؤمن بأن هذه
النظرية تعني حقيقة واقعة لا تقبل الجدل .

فكل ما يتفلسفون به من أوصاف عجيبة لمراحل تطور الأحياء وارتقائها
إنما بنوه على احتمالات وافتراضات جاءت نتيجة لدراسات فحصوا فيها
أنواعاً من الأحياء وأشكالاً مختلفة من عظام الجمجم والكواهل والأضراس
لبقايا أنواع من الإنسان وما شابه ذلك .

مستند لامارك في النظرية

فمثلاً .. الفيلسوف (لامارك) مؤسس نظرية التطور والارتقاء ..
يستند في تدعيم هذه النظرية إلى دراسات لمجموعة من الكائنات الحية
المختلفة ، على أثر هذه الدراسات تخيل وجود سلّم لجميع الكائنات الحية
يرتبط بعضه ببعض وتطور خياله إلى ما يشبه اليقين ، فافترض وجود
هذا السلم وقال به كنظرية علمية لا بد من التسليم بها .

وقد وضع في رأس هذا السلم الإنسان والقردة العليا والخيول والكلاب
لأنها (كما يقول) أذكى الكائنات ، ولها دم حار ، ثم تلاها بالطيور لأنها ذكية
أيضاً ، ثم جاء بالزواحف ثم الأسماك ثم الحيوانات غير ذوات الفقار ، ثم
أخذ في التدرج الهابط بين تلك الحيوانات التي أسماها اللاقريات حيث
جعل في قممها الرخويات والقواقع (وهي تتنفس بالخياشيم كالأسماك) .

ثم تلا ذلك بالحلقيات ، وهو اسم أطلقه (لامارك) على مجموعة معينة من
الديدان البحرية ، وهذه أيضاً تتنفس بالخياشيم التي قد تختفي أحياناً
تحت الجلد .

واستمر (لامارك) يختبر مجموعة الحيوان ويرتبها واحدة وراء

الآخري من القشريات إلى العناكب ، ثم إلى الحشرات ثم إلى الديدان التي تفتقر إلى اللسنة وأعضاء السمع أو الإبصار ، ثم انتقل إلى المتشعرات مثل نجوم البحر وانتهى عند قاعدة سلمه بأبسط الكائنات جميعا (البوليبيات) وهي كائنات حية ليس لها أعضاء خاصة للحس أو التنفس أو الدوران أو التكاثر ، ولا شيء فيها إلا قناة بسيطة منفردة للاغذاء ، وهي تستطيع أن تمتص غذاءها من خلال أي جزء من أجزاء أجسامها ، وهذه (البوليبيات) تكاد (لحقارتها) تكون غير ذات شكل معين كأنها كريات من الهلام أو الجلوتين .

وقد زعم (لامارك) أن هذه (البوليبيات) هي الأصل الأول التي نشأت عنه جميع صور الحياة الأخرى بما في ذلك الإنسان .

مناقشة لامارك

غير أن جميع الأقوال التي أدلى بها لامارك لجعل منها حجته الكبرى لصحة نظرية التطور والارتقاء يعثرها الاهتزاز الشديد عندما يأتي دور اختبارها لتأخذ طريقها إلى مكانها بين الحقائق العلمية الثابتة التي لا تقبل الجدل أو النقاش .

وذلك أنك عندما تسأل (لامارك) الذي قال مرة وهو يخاطب الفرنسيين مخاطبة الواثق من نفسه :

أيها المواطنون تقدموا من البسيط إلى الأكبر تعقيدا حتى تمسكوا بالخيط الحقيقي الذي يربط بين كل ما أنتجته الطبيعة ، وحتى تدركوا صورة دقيقة لسير موكب الترقى ، وسوف تقتنعون بأن أبسط الكائنات الحية هو الذي أدى إلى نشأة كل ما عده من الأحياء . (٣٦) .

هذا لامارك . . عندما تسأله أو تسأل من يعتنق نظريته ، كيف وبأية طريقة (علمية أو حسية) عرف أن الكائنات الحية قد تكونت وترقت وتتطور بموجب السلم السحري العجيب الذي تخيله هذا الفيلسوف : فأنك لن تجد سوى الافتراض والحدس والتخمين .

لأنه ، لا (لامارك) ولا غيره من أقطاب هذه النظرية استطاع أو يستطيع أن يتقدم ببرهان علمي أو عملي قاطع واحد يجعل الناس يقتنعون بأن هذه النظرية حقيقة واقعة .

(٣٦) انظر كتاب (رجال ومجاهد) ص ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ للكاتب (كاترين ب . شيبين)
ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد ، أستاذ علم الحيوان المساعد بكلية العلوم جامعة عين شمس .

ولقد سئل لامارك مرة .. كيف ولماذا حدث التطور الذي ذكره
فأجاب قائلا :

لان هذا قد حدث لان الحيوان قد تغيرَ بمرور الزمن كي يلائم
بين نفسه وبين بيئته .

وهذا الجواب ، مصدره التخيل والافتراض ؛ فهو لا يشفي غليلا .
ومن السهل على كل من يريد نصر نظرية التطور والارتقاء ان يتفوه به .

ولكن ليس من السهل اثبات ما جاء في هذا الجواب بطريقة تجعل
الانسان ملزما بالتسليم بصحة النظرية التي ذكروا .

لان التغير والتحول الذي زعموا انه بطرا على الحيوان ليتطور ويترقى
من الأدنى الى الأعلى لم يستطع احد (منذ ان خلق الله الدنيا) ان يقول انه
شاهده قد حدث بين أي نوع من انواع الكائنات الحية .

ولهذا فانت لا تسمع دائما من هؤلاء الناس (عندما يأتي دور مطالبتهم
بالدليل المقنع) سوى كلمة (لا بد من ان يكون قد حدث كذا) و (من المحتمل
ان يكون قد صار كذا وكذا) و (من المفروض انه قد كان كذا وكذا) .
افتراضات وتخمينات وتخييلات ليس الا .

مستند داروين في نظريته

ثم قلت له .. وداروين ايضا (مثلا) عندما رست به السفينة
(بيغل) في جزر الجالا كانت تراوده (كما قالت الكاتبة كاترين ب. شيبين)
الافكار الغريبة افكار البحث عن معرفة كيف وجدت الحياة الاولى وكيف
كان انتشار الاحياء وطريقة تنوعها .

فأخذ لذلك يفحص أنواعا من حيوانات هذه الجزيرة (الجالا) التي
تبعد عن ساحل أمريكا الجنوبية خمسمائة ميل ، فوجد ان هذه الحيوانات
هي عين الاجناس التي تتبعها الحيوانات في قارة أمريكا الجنوبية ، الا انها
لم تكن تماثلها ، بل بدا له ان انواعها تختلف في الجزيرة عنها في ارض
القارة الرئيسية .

كما لاحظ ايضا (وهو يزور الجزر الاخرى المجاورة) ان حيوانات
ونباتات كل جزيرة تختلف عن الجزيرة الاخرى وخاصة في الطيور ذات
المناقر المتباينة .

ثم اخذ (كباحث جيولوجي وبدافع من الافكار التي راودته عن معرفة
سر الحياة وتنوع الاحياء) يتساءل لماذا وجد نوع خاص من الحيوانات

لكل جزيرة صغيرة بذاتها ، ولماذا كل هذا التعدد في الانواع ، ولماذا كان هناك آلاف من الانواع المتباينة في تلك الجزر ، بل ولماذا كانت هذه الانواع تتبع عين الاجناس التي تتبعها الكائنات الموجودة في أمريكا الجنوبية التي تبعد عنها مئات الاميال ؟؟

ثم اخذ يفترض ويتخيل . . لعل الرياح قد حملت البذور من ارض القارة الرئيسية الى تلك الجزر ، ولعل الحيوانات قد سبحت عابرة البحر اليها (افتراضات وتخمينات وظنون) .

ولكن اذا كان هذا صحيحا ، لماذا كل نوع في هذه الجزيرة يختلف قليلا عن مثيله في القارة ؟؟

هكذا كان داروين (كما يقولون) يتساءل وهو يتجول في جزيرة الجالا ومسا جاورها .

وانتابه القلق الشديد مع الرغبة الملحة في مواصلة البحث ، واخذ يدون (في مفكرته) ملاحظاته على الحيوانات والنباتات المختلفة ويسجل ما يصل اليه من استنتاج .

واخيرا اخذ يترجح لديه أن سبب هذا التنوع في الكائنات الحية ، هو أن هذه الكائنات جميعها كانت تتغير وتحول من انواعها الاصلية وتتطور (حسب تقلبات الظروف والبيئات) الى انواع اخرى تباينها ، وأن اصلها جميعها انما كان نوعا واحدا . (٣٧)

وهذا ، اول خيط يمسك به داروين (وهو في رحلته البحرية) ليسير خلفه في طريق القول بنظرية التطور والارتقاء ، فقد كتب (داروين) (عند عودته من رحلته) كتب الى عالم النبات (جوزيف دالتون هوكر) ما يلي :

— واخيرا بدأت ارى بصيصا من النور واكاد اجزم الآن (بعكس عقيدتي السابقة) ان الانواع ليست « وهذا يشبه اعترافا مني بجريمة قتل » ثابتة او غير قابلة للتغير .

فهكذا فانت ترى ان اول مصدر (عند داروين) لفكرة التطور والارتقاء هي افتراضات وظنون ، منيعها ملاحظاته مناقير الطيور المتباينة وادراكه التغيرات التي تعانها الكائنات فيما بينها .

فقد استنتج داروين (او قل تخيل) انه ما دامت التغيرات في صفات الكائن توجد بين افراد النوع الواحد ، فلا بد أن تكون عملية الارتقاء لبعض

(٣٧) انظر رد الامام جمال الدين الافغانى على ملهوب داروين فيما مضى من هذا الكتاب .

هؤلاء الافراد مع اندثار البعض الآخر ، هي المفتاح الرئيسي للتغيرات العضوية .

وباندفاع (داروين) في طريق نظرية التطور والارتقاء نفص يده من عقيدته السابقة القائلة بالخلق الخاص .

وكان (داروين) قد سمع (قبل رحلته) عن بحوث لامارك ولكنه لم يقم لها وزنا ، بحكم العقيدة التي كان عليها وهي عقيدة الخلق الخاص ، بل اعتبر بحوث لامارك (آن ذاك من الخرافات التي يجب أن تهمل) كما أن فكرة (كوفيه) عن الكوارث الطبيعية كان ينظر اليها كما ينظر الى الحماقات الجوفساء .

ثم واصل داروين بحثه في سبيل الوصول الى غايته ، فشرع يربى نفسه سلالات مختلفة من الحمام فوجد أن الانسان يستطيع أن يغير (بالفعل) من خصائص سلالات الحمام والكلاب والابقار بالتربية والتدريب ، فافترض وتخيل ثم قاس على ذلك انه لا بد أن هناك في الطبيعة بعض القوى التي تستطيع أن تفعل ما يفعل الانسان ، مما يجعل تحول الانواع الى غيرها امرا ممكنا ، فزاده ذلك تمسكا بنظريته .

ولكنه مع هذا القياس والافتراض ، اخذ يتساءل :

ما هي (يا ترى) تلك القوى التي تستطيع أن تفعل ما يفعله الانسان ؟؟

وظل داروين يخوض بحار التخمين والحدس والافتراض حائرا قلقا باحثا عن أدلة جديدة تصل به الى شاطئ يطمئن فيه الى سلامة افكاره حول التطور والارتقاء .

داروين وكتاب القس توماس

وصادف أن ازداد تمسكا بهذه الافكار عندما وقع في يده (ذات يوم) كتاب الفه القس الانكليزي (توماس مالتوس) واسم هذا الكتاب (مبحث في

(٢٨) نظرية الكوارث الطبيعية على نقيض نظرية التطور والارتقاء ، وخلصتها ان هناك زلازل وطفوفات هائلة تضرب الارض على اثرها ينقرض جميع الاحياء وعلى اثر هذا الانقراض تخلق حياة جديدة وهكذا كلما حلت نكبة بالاحياء فابادتهم عن آخرهم ، أعقبها خلق جديد ، وهذا ما يسمونه بمذهب تماقب الخلق ، الذي قال به كثير من علماء الطبيعة في أوروبا وعلى رأسهم العالم الفرنسي (كوفيه) والسويسري (اغاسيز) ، وقد ذكرنا فيما يأتي من هذا الكتاب أن هذا المذهب قد نسبته الامام الفخر الرازي في تفسيره الى بعض أئمة أهل البيت نقلا عن مصادر الشيعة ، الذين نسبوا الى الامام محمد الباقر أن الله تعالى قد خلق قبل آدم مليون آدم .

نظرية السكان) فقد وجد فيه داروين حل مشكلته الخاصة ، كما يقول البعض .

ذلك ان هذا القس ذكر في كتابه المذكور انه على اثر الدراسة التي قام بها عام ١٧٩٨ م تبين له ان سكان الارض يزيد عددهم تزايداً مستمراً (في متتالية هندسية) وانه لولا الحرب والمجاعات والامراض التي تقضي على بعض من الناس في كل جيل لضاقت بهم الارض ولم يبق موضع لقدم ولقصرت موارد الغذاء عن كفايتهم جميعاً .

وعلى اثر النظر في هذا الكتاب حدث داروين نفسه بانه لا بد ان شيئاً كهذا يحدث في نواحي الطبيعة . . لا بد ان عدد السكان يزداد بمعدلات هائلة ، فالتصمت في ذهنه فكرة تنازع البقاء وخلص الى القول بان امر تزايد السكان الهائل الذي ذكره (القس) يؤدي حتما الى حدوث صراع من اجل البقاء ، وهذا هو الذي جعله يضع قانون تنازع البقاء الذي هو احدي القواعد الاربع التي بنى عليها نظرية التطور والارتقاء .

وزاده اقتناعاً بهذا الرأي انه تذكر ان (لينوس) قال - في بعض كتبه - حول هذا الموضوع :

انه لو ان نباتاً (ما) انتج بذرتين كل عام ، ولو ان كلا من هاتين البذرتين انتجت بذرتين فقط بالطريقة عينها ، لاصبح نسل النبات الاول مليوناً كاملاً بعد مئتي سنة فقط ، وكانت هذه الصورة لا تبرح ذهن داروين ابداً . . . وقال لو اننا تحولنا الى ناحية الحيوانات واخذنا واحداً من ابطأ انواعها تكاثراً ، وهو الفيل ، وافترضنا ان زوجين من الافيال ينجبان في حياتهما ستة صغار فقط ، وهكذا دواليك ، لبلغ عدد الافيال على ظهر الارض تسعة عشر مليوناً بعد سبعمئة سنة وخمسين ، ثم قال (ليؤكد ناموس تنازع البقاء) فلا بد ان تصطرع هذه الافيال وتتنازع فيما بينها كي تستطيع الحياة .

ثم يستمر داروين في حذسه وتخمينه وافتراضاته (وهل لديهم الا الحذس والتخمين والافتراض) فيقول :

لو افترضنا - وهذا ما اراه بوضوح - ان كل فرد لا يعاثر سائر افراد نوعه تمام المماثلة ، فما الذي يحدد ايها الذي يبقى ؟؟

ما الذي يحدد اي النباتات او اي الطيور او اي الحيوانات يعيش وايها يموت ويفنى ؟. كيف يتها هذا الاتزان البدع الذي يحفظ الارض

من أن تمتلىء بالانيال أو تكتظ بأشجار البلوط ؟؟ (٣٩) .
ثم يتوغل في لجج الافتراض والتقدير حتى يصل به الخيال الى ما
اسماه بتغير الانواع الذي يؤدي الى تحول هذه الانواع وتطورها الى انواع
جديدة (وهذا لب نظرية التطور والارتقاء) فيقول : محدثا نفسه :

ان هذه الاختلافات الطفيفة بين الانواع تهىء لنا مجالا من البحث
والدراسة لم يطرق من قبل .

فلا شك ان بعض الخنافس الخضراء ازهى لونا من بقية قريناتها ،
وبعض الخطاطيف اقوى جناحا من سائر افراد نوعها ، وبعض الطباء أسرع
انتباها لنذر الخطر من عامة بنات جنسها ، وطبيعي أن الافراد التي تفضل
غيرها في تهيؤها للملاءمة بيئتها هي التي تحيي وتنجب أمثالها بينما يموت ما
عداها ويختفي ، فاذا تراكمت على مر الازمان الطويلة التغيرات التي تتجه
وجهة معينة ، ادى ذلك الى نشأة انواع جديدة . الخ . (٤٠) .

وهذا التخيل والتقدير والافتراض من داروين ، هو أحد مصادره
القوية التي يستند عليها لتدعيم نظريته التي بها اشغل العالم .

اهتزاز ادلة داروين

هذه هي بعض ملاحظات (داروين) فيما يتعلق بالكائنات الحية من
الحيوان والنبات .

وهذه الملاحظات والاستنتاجات وأمثالها (التي لا تخرج عن حيز
الافتراض والتقدير) هي كل حجج القائلين بنظرية التطور والارتقاء ، وهي
حجج (كما ترى) موضع شك عظيم ، حيث يعترىها الاهتزاز وعدم الثبوت ،
وتفصل بينها وبين مرتبة اليقين مسافات شاسعة ، لأنها (بالرغم من
التهافت والتصفيق الذي حظيت به من قبيل انصار التطور والارتقاء) لا
تعدو أن تكون افتراضات وتكهنات وظنون وتقديرات أحسن أحوالها أنها
من الممكنات التي لا يستحيل وقوعها ، فليس من المستحيل أن تكون قد

(٣٩) ان داروين لو فكر بعقل المؤمن الصادق لقاده هذا التفكير الى ان هذا كله من أبرز
الدلة على الحكمة والرماية والناية الالهية التي بدونها يفسد الكون ، فلو لم يكتب الله
الفناء على كل المخلوقات كل حسب المدة المقررة له في علم الله ، لما صلح هذا الكون اذ لاضطرب
نظامه واختل شأنه ، ولكن من نعمة الله أن قدر أن يكون لكل كائن حي أجل محدود ، يفتى
بعده (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

(٤٠) انظر كتاب (رجال عاشوا للعلم) لمجموعة من المؤلفين الاوروبيين ، ترجمة الدكتور
احمد شكري من ٢٢٨ - ٢٣٤ - ٢٣٥ وكتاب (رجال ومجاهد) من ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ .

حدثت ، وليس من المقطوع به انها قد حدثت ، فهي تحتمل الخطأ والصواب ، وما تطرق اليه الاحتمال بطل به الاستدلال .

فنظرية هذا شأن أدلتها وهذه هي مصادر حججها ، فانه لا لوم على من شك فيها او انكر صحتها ، لانه عندما يشك ، لا يشك في واقع ملموس ، وعندما ينكر ، لا ينكر حقائق واقعة ثابتة .

أهم أدلة داروين

فقال شاب آخر :

والآن وقد عرفنا ما فيه الكفاية عن ملاحظات داروين واستنتاجاته فيما يختص بالحيوان والنبات مما جعله مصدرا لحججه في تأييد نظريته ، فانا نريد ان نعرف ما هي مستندات الداروينيين لتأييد نظريتهم في مجال الحفريات والآثار ، وخاصة فيما يتعلق بزعمهم تطور الانسان وترقيته من حيوان الى انسان .

فقلت له .. الداروينيون يقولون (مثلا) انهم وجدوا في بعض الحفريات بقايا هيكل انسان يختلف عن انسان اليوم ، وجدوه (كما قالوا) ذا جبهة ضيقة وفك ناتئ وعنق لا يلتوي ورأس كبيرة الحجم من وراء وصغيرته من الامام مما يدل على عدم اكتمال تطوره الدماغى .

فاستدلوا بذلك على ان الانسان كان فيما قبل مئات آلاف السنين ناقصا في تركيبه العقلي والادراكي والجسمي ، وأنه (حسب ناموس التطور الذي ذكروا) تطور وارتقى (على مر آلاف العصور) من الأدنى الى الأعلى حتى وصل الى ما هو عليه الآن من كمال واكتمال .

كيف بدأ خلق الانسان

وهم (على أساس هذه النظرة) يزعمون ان النوع الانساني بدأ وجوده بحيوان بسيط جدا (كالبوليب الذي ذكر لامارك) (٤١) تطور وتحول وارتقى الى ما هو أعلى منه ، وهكذا صار يترقى في مدارج التطور والارتقاء حتى صارت أولى مراحل الانسانية انسانا أول (أشبه بالحيوان) لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، ثم تطور وترقى شيئا فشيئا حتى صار الى ما هو عليه الآن من كمال .

هذه هي بعض أدلة مذهب داروين ، وان شئت قل أهمها .. والأدلة

(٤١) انظر مناقشتنا نظرية لامارك فيما مضى من هذا الكتاب .

الآخري لا تختلف عن هذه الأدلة من حيث الجوهر .. افتراضات وتقديرات وتخمينات وظنون ، فهي نظرية قابلة للتعديل (بل والالغاء) في كل لحظة .

وهكذا فانت ترى أنه ليس لمذهب داروين أي نصيب من الأدلة العلمية الثابتة التي تجعله في مرتبة اليقين الذي لا يتطرق إليه الشك .. أو البرهان الحسي الذي لا يجدي معه نقاش أو جدل .

وانما هي ظنون مصدرها عظام نخرة وجدوها في بعض طبقات الأرض .. وتخييلات وافتراضات وتقديرات أساسها دراسات لتباينات الاحياء وتفاضل بعضها وغير ذلك مما لا يسمن ولا يغني من جوع ، من الاستنتاجات التي لم يستطع حتى أصحابها القول بأنها صالحة لأن تكون أدلة لا يمكن رفضها .

والنظريات التي مصدرها الظن والافتراض .. لا القطع واليقين ، تكون دائما متأرجحة وغير ثابتة ، بل قابلة للتغيير والتبديل رأسا على عقب ، امام أية استنتاجات ودراسات جديدة .

ومن هذا النوع (بالطبع) نظرية داروين .
فهي نظرية غير مقطوع بصحتها عند أصحابها أنفسهم .

مناقشة داروين

واذا كان الداروينيون يستدلون على ترجيح صحة مذهبهم بما اشار اليه داروين ولامارك فيما فصلنا فيما مضى من هذا الكتاب ، مما قاما به من فحوص ومقارنات وتصنيفات بين الكائنات الحية والنباتات ، كالذي لاحظته داروين في جزر الجالا على النباتات والحيوانات ، أو ما لاحظته في كتاب القس (توماس) مما اشار اليه من تزايد عدد السكان باستمرار (في متتالية هندسية) استخرج منه ناموس تنازع البقاء ، أو السلم الخيالي الرائع الذي صنف بموجبه لامارك الكائنات الحية وربط بعضها ببعض زاعما تفرع وترقي بعضها عن بعض من (البوليب) حتى الانسان ، فانه لا (لامارك) ولا (داروين) ولا غيرهما يستطيع التحدث حديث الواثق من أن الذي اشاروا اليه أو بمضه يمكن التمسك به كدليل قاطع على صحة نظرية التطور والارتقاء التي يزعمون .

وانما هي (كما قلنا) احتمالات وتكهنات وتقديرات ، احسن احوالها انها محتملة الوقوع ، وما تطرق اليه الاحتمال بطل به الاستدلال (كما يقول الاصوليون) .

فقال .. ولكن ما حجتكم في رفض استدلالهم بما وجدوا من البقايا

البشرية كمظام الجمجمة التي استدلوا بها على عدم اكتمال تكوين صاحبها العقلي والجسمي مما زادهم تمسكا بهذه النظرية ؟.

فقلت له .. حجتنا في الرفض، هي انه اذا كان الداروينيون يستدلون على صحة مذهب التطور والارتقاء بعظام الجماجم وما شابهها من الهياكل العظمية التي قالوا انها تدل على عدم اكتمال اصحابها في التركيب الجسمي والتكوين العقلي ، فانا نستدل نحن على بطلان هذه النظرية بأن الحفريات ايضا دلت أن هناك (من طوائف الاحياء واجناسها) انواعا كانت في الماضي السحيق اكمل في التكوين واقوى في التركيب مما جاء بعدها من (انواعها) . (٤٢)

فقد وجد الباحثون (اثناء حفرياتهم في طبقات سفلى من الارض) جماجم وهياكل عظمية لانواع مختلفة من الكائنات الحية تدل على أنها اكمل وأرقى مما أتى بعدها من أنواعها حيث وجدوا لنفس هذه الانواع في الطبقات العليا من الارض جماجم وهياكل ، دلت على أن هذه الانواع أدنى من التي وجدوها في الطبقات السفلى .

فلو كان ما زعمه الداروينيون صحيحا واستدلهم (بما وجدوا من الهياكل العظمية التي اشاروا اليها) معقولا ، لوجب أن يكون الأدنى من آثار هذه الاحياء المختلفة في طبقات الارض فوق الأعلى منها دائما وهذا ما أثبتت الحفريات خلافه . (٤٣) .

فصح بهذا يقينا أن الاستدلال على صحة نظرية التطور بتلك الجماجم والهياكل العظمية التي ذكر الداروينيون ، استدلال غير مقبول وغير صالح لجعل هذه النظرية في مرتبة النظريات العلمية الراسخة المقبولة بداهة .

فقال .. فبماذا (اذن) تفسر تلك الظاهرة في الهياكل العظمية التي وجدوا ، والتي تدل (كما قالوا) على عدم اكتمال تكوين الانسان في ذلك الزمان ؟؟

مشاهدات تنقض حجة داروين .

فقلت له .. اذا صح أن الداروينيين قد وجدوا في الحفريات من العظام والجماجم ما يدل على عدم اكتمال اصحابها (جسميا وبالنسبة عقليا) فان ذلك لا يعني بالتأكيد أن انسان ذلك الزمان ، كان (بصفة عامة) ناقص التكوين كأصحاب تلك الهياكل التي وجدوا ، وانما من

(٤٢) ولن نذهب بعيدا ، فالاجماع يكاد يتفق على أن انسان ما قبل مئات السنين اقوى واكمل في التركيب من انسان اليوم ، وانه كان اطول عمرا منه أيضا .

(٤٣) انظر قصة الايمان ص ١٨٧ ط ١

المحتمل (بل قد يكون من المقطوع به) ان النقص في التكوين والتركيب الذي ذكروا يرجع الى عاهة او مرض رافق صاحب هذه العظام التي وجدوا فصار سببا في عدم اكتمال تكوينه ، ومثل هذه الامور الشاذة تحدث حتى هذا اليوم .

فقد رايت مرة في احد اقطار افريقيا الشرقية (اريتريا) انسانا ذا شكل غريب ، رايت شابا قد اجتمع الناس عليه (وبدافع الفضول) التحقت بهم لاعرف سبب تجمعهم ، واذا بي امام شاب طويل القامة ، غير ان الغريب فيه (والذي كان سبب التجمع) هو ان راسه كانت من الصغر بحيث لا تتناسب مع جسمه ، فقد كان حجم راسه صغيرا جدا ، فبالرغم من تجاوزه العشرين من العمر فان راسه تكاد تحويها كفا الانسان العادي ، وقد تبين لي انه لا يستطيع النطق ولا يكاد يعقل او يدرك ، وكانت له عينان ضيقتان جدا . . رايت هذا في مدينة تسني عندما كنت في اريتريا .

فلا شك ان ما وجدته الداروينيون من عظام الجمجمة والهيكل التي استدلوا بها على عدم اكتمال تكوين صاحبها واستدلوا بها على صحة نظرية التطور والارتقاء ، هو من الانواع الشاذة التي يصاحبها النقص في التكوين (الجسمي والعقلي) لعاهة او مرض يصاحب الانسان منذ وجوده ، كحالة الشاب الافريقي الذي ذكرت قصته آنفا .

فوجود انصار نظرية التطور والارتقاء جمجمة وكاهل ، دل فحوصهما على ان صاحبهما كان ناقص التكوين لا يمكن (من الناحية العلمية) اعتباره دليلا قاطعا (او حتى راجحا) على صحة نظرية التطور والارتقاء ، فعدم اكتمال التكوين الجسمي والعقلي لا يزال يحدث حتى هذه اللحظة ، وانما لاسباب غير طبيعية عارضة ونادرة .

الفصل الثاني

- * تثبت الشيعيين بنظرية داروين .
- * مناقضة اصول النظرية للمذهب الشيعوي .
- * افلاس الشيعيين في التمسك بالنظرية .
- * داروين بين الايمان والالحاد

دفاع عن داروين

وبوصلنا الى هذا الحد من المناقشة قال الشيعوي الملحد :

ان لي ملاحظات هامة على الحجج التي استند عليها البعض في بطلان نظرية التطور والارتقاء وارغب في الادلاء بها قبل اختتام هذه الجلسة ، فهل تسمح ؟؟

فقلت .. لك ذلك .

فقال .. لقد كانت اهم الاعتراضات (كما قلتم) ثلاثة وهي :

١ - عدم مشاهدة اي ارتقاء من اي نوع كان في الاحياء الارضية من عهد الالف السنين .

٢ - عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع اللازمة لمذهب التسلسل .

٣ - طول الزمان اللازم لحصول الترقى بين الاحياء الخ .

فقلت له .. نعم . ، وهل يستطيع احد ان يثبت انه قد حدثت (في اي عصر من العصور) مشاهدة اي ارتقاء بين اي نوع من انواع الكائنات الحية ؟؟

فقال .. طبعاً ، لا .. لا يستطيع احد ان يثبت شيئاً من هذا حيث لم يقل به احد حتى اليوم .

ولكن عدم مشاهدة اي ارتقاء في الاحياء المرئية لا يصح دليلاً على عدم الارتقاء عموماً ، لانه من المحتمل جداً ان يكون قد حدث هذا التطور والارتقاء في ازمان سحيقة لم يصلنا خبرها ، لا سيما وأن الحفريات اثبتت انهم وجدوا بقايا هيكل انسان يدل على عدم اكتمال تكوينه (عقلياً

وجسميا) .

فقلت له .. انك لم تأت بجديد في مجال تأييد النظرية .
فقولك هذا لم يخرج نظرية التطور والارتقاء عن كونها مجرد افتراض
وتخمين .

فهي (اذن) دعوى - أحسن احوالها انها محتملة الصحة والبطلان - .
وكل دعوى - في نظر العلم والواقع - يجب ان تظل مجردة عن صفة
الحقائق المسلّم بها حتى يقوم الدليل القاطع على صحتها .. ثم قال :

وأما عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع ، اللازمة لمذهب
التسلسل ، فلا يمكن (أيضا) اعتباره دليلا على عدم صحة نظرية التطور
والارتقاء ، لان فقدان هذه الصورة المتوسطة سببه شدة تنازع البقاء على
حسب اختلاف الاوساط والاحوال ، ولذلك لم تكن صورة متوسطة بين
المنوف التي هي في حالة الانقراض او الوقوف كالنعام والفيل ، فانها لا
تولد تباينات جديدة ، ولذلك فهي تؤلف انواعا مستقلة ، بخلاف طوائف
الحيوان التي هي في حالة النمو فانها تنحل الى عدة انواع جديدة بالتباينات
التي تنشأ منها ، ولذلك يوجد فيها صور متوسطة كثيرة يحار فيها
المراقبون .

ثم يسترسل الشيوعي فيقول :

وأما عن اعتراض طول الزمان اللازم لصحة التسلسل فانه من العبث
الاعتماد على قول من يزعم امكان تحديد عمر الارض ، لان هذا التحديد
مجرد تخمين ليس له دليل يسنده ، وقد حسب الاستاذ طمس الانكليزي
الزمن الذي لزم ليبس القشرة الارضية فوجده لا يقل عن عشرين مليونا من
السنين ولا يزيد عن اربعين مليون سنة ، وانه يقتضي ان يكون بين ثمان
وتسعين مليون سنة ومائة مليون سنة كما ان غيره يرى غير هذا الرأي ،
فيما يتعلق بعمر الارض .

مناقشة المدافع عن داروين

فقلت له .. وهذا قولك أيضا مجرد دعوى ينقصها الدليل الذي
يرفعها الى مرتبة الحقائق ، فكل ما تحدثت عنه الآن عن قصة الفيل والنعام
والاصناف التي في حالة الانقراض والتي في حالة النمو وقصة تحولها الى
انواع جديدة ، كله ليس له اي ظل من الحقيقة وانما هو من الظنون المبنية
على التخيل والحدس والتخمين ، اذ ان احدا لا يستطيع اخراج شيء (مما
تتمحكون به لنصر نظرية التطور والارتقاء) من دائرة الظن والحدس
والتخمين الى حيز الحقائق الواقعة الثابتة .

فهى (كما يعترف الداروينيون انفسهم) فروض افترضوها واستساغتها عقولهم لأنها (بزعمهم) تفسر لهم من غوامض الخليقة ما لا يفسره غيرها .

فالمذكرون (اذن) لنظرية التطور والارتقاء (من الناحية العلمية والوجدانية) لا غبار على سلامة موقفهم ، فهم انما انكروا شيئا ليس له من البراهين المقنعة ما يجعل منكروه في مرتبة المتعصبين الجاحدين للحقائق الواقعة .

فلا يمكن (اذن) توجيه اي لوم او اتهام بالرجعية والجمود والتزمت لمن لا يؤمنون بنظرية التطور والارتقاء ، لأنها ليست من الحقائق العلمية الثابتة التي لا يرقى اليها الشك ، وليست من الوقائع المشاهدة المحسوسة التي لا تقبل النقاش او الجدل ، وانما هي (باعتراف انصارها) تقديرات وافتراضات وظنون ، احسن احوالها ، أنها (في جملتها) مجرد دعوى محتملة الصحة والبطلان ، وما كان شأنه هكذا فلا لوم على من انكره ولم يؤمن به .

نظرية داروين مناقضة للمذهب المادي

ثم قلت للشيعوي :
والحقيقة ان اول من يجب عليه رفض نظرية التطور والارتقاء (حسب قواعد مذهبه) هو انتم معشر الملحدين ،

فقال .. ولم ؟؟
فقلت له .. لانكم حسيون ماديون لا تؤمنون الا بما كان وجوده في درجة المحسوسات المشهودة وعلى (اساس هذا المبدأ) انكرتم ان يكون للكون خالق مدبر بالرغم من قيام الادلة العلمية والعقلية والوجدانية الدالة على وجوده والصارخة بضرورة الاعتراف بوجوده ، وحجتكم انكم لم تشاهدوه ولم تحسوا بوجوده كما تحسون بوجود الماديات المحسوسة ، ومع هذا وفي الوقت نفسه تؤمنون بنظرية التطور والارتقاء وتحمسون لها وتتهمون من لا يؤمن بها بضيق الافق والجهل ومحاربة العلم ، مع أنها مبنية على الحُدَس والظن والتخمين ولم تبلغ (في اية ناحية من نواحيها) درجة الحقائق المسلم بها بداهة .

الماديون يتناقضون

فكيف تبيحون لانفسكم هذا التناقض ، بل هذا التلاعب ؟؟
كفر بالله وانكار لوجوده وشك فيه لمن يؤمن به ، بحجة أن مسألة القول

بوجوده مبنية على الفرض والتقدير لا الحس والملاحظة .
ثم ايمان في الوقت نفسه وتعصب لنظرية التطور والارتقاء التي لم
تبن ولم تقم الا على اساس الفرض والحس والظن والتخمين .

فهل هناك عناد ومكابرة وتلاعب ومغالطة اكثر من الذي انتم فيه
معشر الماديين ؟؟

يضاف الى هذا ان نظرية التطور والارتقاء التي تتعصبون لها هكذا
هي مناقضة (تماما) لنظرية الديالكتيك في المذهب الشيوعي ، ومع هذا
فانتم (لهوى) في انفسكم تتعصبون لنظرية داروين .
فقال ... وكيف ؟..

اصول الداروينية مناقضة لاصول الشيوعية

فقلت له .. نظرية داروين (مثلا) تفسر تطور نوع الى نوع آخر على
اساس ما يظفر به بعض افراد النوع القديم من ميزات وخصائص من طريق
صدفة ميكانيكية ، او اسباب خارجية محددة ، كالبئة والمحيط .

وكل ميزة يحصل عليها الفرد تظل ثابتة فيه وتنتقل (بالوراثة) الى
ابنائه ، وبذلك ينشأ جيل جديد قوي بفضل هذه الميزات المكتسبة .

وفي خضم الصراع في سبيل القوت والبقاء بين الاقوياء من هذا الجيل
وبين الضعفاء من افراد النوع الذين لم يظفروا بمثل تلك الميزات ، يعمل
قانون تنازع البقاء (كما يقول داروين) فيغني الضعيف ويبقي الافراد
الاقوياء ، وتتجمع المزايا عن طريق توريث كل جيل مزاياه التي حصل عليها
بسبب ظروفه وبيئته التي عاشها للجيل الذي يتلوها ، وهكذا حتى ينشأ
نوع جديد يتمتع بمجموع المزايا التي اكتسبها اسلافه على مر الزمن .

ونقطة التناقض بين النظرة الديالكتيكية الشيوعية في موضوع التطور
والارتقاء ، وبين نظرية داروين هو ان التطور الذي ينال الحيوان (حسب
نظرية داروين) مصدره اسباب خارجية وفي الديالكتيكية ، اسباب
داخلية .

فالميزات والفروق الفردية التي يحصل عليها الجيل القوي من افراد
النوع ليست نتيجة لعملية تطورية ولا ثمرة لتناقض داخلي (كما هو مذهب
الديالكتيكية الشيوعية) وانما هي (كما تقول نظرية داروين) وليدة
مصادفة ميكانيكية او عوامل خارجية من البئة والمحيط ، فالظروف
الموضوعية التي عاشها الافراد الاقوياء هي التي امدتهم بعناصر قوتهم
وميزتهم عن الآخرين .. لا الصراع الداخلي في الاعماق كما يفترض
الديالكتيك .

كما أن الميزة التي يحصل عليها الفرد بطريقة ميكانيكية - أي بأسباب خارجية من الظروف التي يعيشها - لا تتطور وتنمو بتناقض داخلي (٤٤) (كما هي نظرية الديالكتيك) حتى تحول الحيوان الى نوع جديد .

وانما تظل ثابتة وتنتقل بالوراثة دون أن تتطور وتبقى بشكل تغير بسيط ساكن ، ثم تضاف الى الميزة السابقة ميزة أخرى تتولد هي الأخرى أيضا ميكانيكيا بسبب الظروف الموضوعية ، فيحصل تغير بسيط آخر .

هكذا تتولد الميزات بطريقة ميكانيكية وتواصل وجودها في الأبناء عن طريق الوراثة ، وهي ساكنة ثابتة ، وحين تتجمع يتكون منها أخيرا الشكل الأرقى للنوع الجديد ، هكذا يقول داروين .

الاختلاف بين الماركسية والداروينية

ثم قلت للشيوعي الملحد ... وهناك أيضا اختلاف كبير بين قانون تنازع البقاء (في نظرية داروين) وبين فكرة تصارع الأضداد في المحتوى الداخلي عند ديالكتيكم .

ففكرة الصراع بين الأضداد (الذي هو مصدر التطور عند الشيوعيين) تعبر عن صراع بين ضدين يسفر في النهاية عن توحيدهما في مركب أعلى وفقا لثالث الأطروحة والطباق والتركيب (٤٥) .

ففي صراع الطبقات (وهو وتر الشيوعية الحساس الذي تعزف

(٤٤) الديالكتيكية الشيوعية تقول أن سبب التطور هو صراع دائم في المحتوى الداخلي بين المتناقضات ، ينتهي حتما بتألف هذه المتناقضات المتصارعة في وحدة مترابطة ، وهذا عكس نظرية التطور والارتقاء في مذهب داروين الذي يقول أن الصراع إنما يكون بين القوي والضعيف ، والذي لا ينتهي بتألف المتصارعين (كما تقول الشيوعية) وإنما ينتهي بفناء الأضعف حسب ناموس الانتخاب الطبيعي في مذهب داروين .

(٤٥) الأطروحة والطباق والتركيب ، هي الثالث الديالكتيكي الشيوعي الذي بني الشيوعيون نظريتهم التطورية ، التي أساسها (كما يقولون) الصراع الداخلي ، الذي ينتهي بتوحيد المتصارعين نهائيا في مركب أعلى ، وهذا عكس نظرية داروين التي تقول أن الصراع ينشأ لأسباب خارجية ، من أجل البقاء ، ثم ينتهي هذا الصراع بتلاشي الأضعف وبقاء الأصلح .. أما تفسير الأطروحة والطباق والتركيب وهو الثالث في الديالكتيك الشيوعي فهو (عندهم) (الأطروحة) هي الملة (والطباق) هو العلول ، و (التركيب) هو الجموع المترابط من (الأطروحة والطباق) ، والملة (هنا) هي (كما يقول صاحب كتاب فلسفتنا) عملية نمو وتكامل عن طريق ولادة العلول من الملة (أي الطباق من الأطروحة) والعلول في هذه العملية لا يولد سلبيا بل يولد مزودا بتناقضاته الداخلية التي تنميه وتجعله يحتضن ملته اليه في مركب أرقى وأكمل .. هكذا يقول الشيوعيون .

عليه دائما لاغواء المفكرين) تقول الديالكتيكية ان الصراع ينشب في المعركة بين الضدين في المحتوى الداخلي ، وهما الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة ، وينتهي الصراع بامتصاص الطبقة العاملة للطبقة الرأسمالية ، ونتيجة لهذا الامتصاص تتوحد الطبقتين معا في مجتمع لا طبقي كل افراده يملكون ويعملون (٤٦) .

هذا هو تفسير الشيوعيين لاسباب التطور والارتقاء في محيط تصارع الاضداد .

وهذا يتناقض تماما مع فكرة الصراع من اجل البقاء في مذهب داروين .

ذلك ان الصراع بين الاضداد، اذا كان ينتهي في الديالكتيك الشيوعي بتوحد الاضداد المتصارعة في مركب واحد ارقى، فان تنازع البقاء والصراع بين القوي والضعيف يؤدي (كما هي نظرية داروين) الى افناء أحد الضدين والابقاء على الآخر ، ذلك انه يزيل الضعاف من افراد النوع ازالة نهائية ، ويبقي الاقوياء وهذا هو المعبر عنه في نظرية داروين ، بالاصطفاء النوعي او الانتخاب الطبيعي .

هذا فيما يتعلق بقانون تنازع البقاء وقانون الانتخاب الطبيعي (٤٧) الذي يؤدي تفسير التطور والارتقاء بموجبه في نظرية داروين ، الى عكس نظرية الديالكتيك الشيوعية .

اما فيما يختص بفكرة الصراع بين الحيوان والبيئة (في نظرية داروين)

(٤٦) هكذا تزعم الشيوعية العالية وما تفرخ منها من مذاهب اقتصادية تحمل اسماء براقة اخرى .. وهذا الزعم من اكبر الاكاذيب المشهودة المفضوحة التي تدجل بها الشيوعية وفروخها على الفاشلين في الحياة من الكسالى والخاملين والحاقدين والمصابين بامهات الشلوذ ومركب النقص وحقارة الشخصية ، الذين يتخيلون (وهم في غيبوبة حمى امراضهم هذه) بأن في انتشار الشيوعية حلا لمشكلتهم ، ولكنهم هنا متوهمون توهمها لا يقل عن توهم وتخيل المرور الذي انهكته الحمى .. نقول هذا لان واقع الانظمة الشيوعية وما تفرع عنها من مذاهب اقتصادية يكذب ما يدعيه الشيوعيون وتلاميذهم ، ذلك ان افئذ انواع التفاوت الطبقي انما يوجد في البلدان التي تخضع لنظام الحكم الشيوعي ، ففي روسيا (مثلا) توجد طبقتان فقط، طبقة تملك كل شيء وتصرف (كما تريد) في كل شيء (دونما حسيب او رقيب) وهي الحزب الشيوعي الحاكم الذي لا يزيد عدد اعضائه على مليونين ، وطبقة لا تملك شيئا ، ولكنها تعمل كل شيء (تحت قوة الحديد والنار) ، وهذه الطبقة التي تعمل كل شيء لا تستطيع ان تقول شيئا أو حتى تختار الطعام الذي تأكله (اذا ما وجدته) وانما يقدم لها هذا الطعام (كالبهايم) كما يريد حاكموها ، وهذه الطبقة هي عامة الشعب الروسي الذين لا يقل عددهم عن مائة وثمانية وتسعين مليونا ، ومثل هذا يقال بالنسبة للاقطار التي تخضع للنظام المتولد من النظام الشيوعي ، ومع هذا يزعم الجميع انه لا يوجد عندهم تفاوت طبقي . (٤٧) انظر القواعد الاربع التي ذكرنا (فيما مضى من هذا الكتاب) ان (داروين بنى عليها مذهب التطور والارتقاء)

والذي بموجبه يكتف الجهاز العضوي وفقا لشروط البيئة (٤٨) ، فان هذا الصراع لا يؤدي الى توحيد الضدين في مركب جديد ، كما تتركب الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة في مركب اجتماعي جديد كما هي نظرية الديالكتيك في المذهب الماركسي ، وانما يؤدي الى خلاف ذلك .

حيث يبطل الجهاز العضوي او يتحول حسب ظروف البيئة التي تتحكم في الكائن الحي ، كأن يفقد الكائن الحي هذا شيئا مما كان حصل عليه من الكمال طبقا للقوانين التي حددتها داروين في نظريته للتفاعل بين الحياة والطبيعة ، كالحوانات التي اضطرت منذ أبعد الآماد الى العيش في الكهوف وترك حياة النور ، ففقدت بصرها (في رأي داروين) بسبب تفاعلها بمحيطها الخاص وعدم استعمالها لعضو الابصار في مجالاتها العيشية .

وبذلك ادى التطور في التركيب العضوي الى الانحطاط ، خلافا للماركسية التي تعتقد ان العمليات التطورية في الطبيعة المنبثقة عن تناقضات داخلية تستهدف التكامل دائما ، لانها عمليات تقدمية صاعدة (٤٩) .

ثم قلت للشيوعي الملحد .. وهكذا فالشيوعيون لا يتورعون عن نصر وتأييد ما يتناقض مع اصول مذهبهم من النظريات ، ما داموا يطمعون في ان يعينهم ذلك على نشر مذهبهم والترويج له ، كما فعلوا في تمسكهم بنظرية داروين التي هي وفلسفتهم الديالكتيكية (حول التطور والارتقاء) على طرفي نقيض .

والغريب ان نظرية داروين (في التطور والارتقاء) لم تتعرض لاي شجب او تجريح من قبل الدعاة الماركسيين بالرغم من انها تناقض اصول الماركسية كل المناقضة ، في هذه الناحية .

بل انهم ليمسكون بهذه النظرية (نظرية داروين) ويرفعون من شأنها ويشيدون بقطبها الاعظم (داروين) ويعتبرونه في مقدمة من يقدسون .

سبب تمسك الشيوعيين بمذهب داروين

فقال شاب آخر من حاضري المناقشة :

لقد تعجبت (فعلا) من مناصرة هؤلاء الملاحدة لنظرية التطور والارتقاء

(٤٨) انظر قانون المطابقة مفصلا ضمن قواعد داروين الاربع فيما مضى من هذا الكتاب .

(٤٩) انظر (فلسفتنا) للسيد محمد باقر الصدر ص ١٤٠ و ٢٨٢ - ٢٨٤ - ٢٨٥ .

٢٨٦ منشورات عويدات بيروت .

مع انها مناقضة لمذهبهم الحسي مناقضة كاملة ، فما هي الاسباب التي جعلتهم يسلكون هذا السبيل ؟؟

فقلت له .. سبب واحد ، وهو ان فلسفة التطور والارتقاء يسهل عن طريقها اصطياد الشباب وايقاعهم في شباك الالحاد ، لان هذه النظرية نظرية مادية بحتة تشجع على قطع الصلة بالله ، لانها تسقط - غالبا - من حسابها وجود القوة الخالقة وتحدث دائما عن الطبيعة وصنع الطبيعة وقوة الطبيعة وقدرة الطبيعة ولانها تفسر الخليقة تفسيرا طالما كان قاعدة لا تكار وجود الله سبحانه وتعالى ، وكما رأينا علماء أتوا بعد داروين اعتنقوا نظريته ودرسوها درساً قادهم الى مرتبة من الكفر الصراح والالحاد الصريح لم يصل اليها داروين نفسه وجعلوا هذه النظرية قاعدة للالحاد ، كما فعل (ارنست هيكل) الذي حمل (بعد داروين) لواء نظرية التطور والارتقاء ، فهذا هو السبب في تمصّب الملاحدة لنظرية التطور والارتقاء بالرغم من أن قواعد مبنية على الحدس والافتراض والتخمين ، التي هي وقواعد مذهب الملاحدة الجسنيين على طرفي نقيض .

منطقة الخطر في نظرية داروين

وهكذا فان منطقة الخطر في نظرية التطور والارتقاء ليست في كونها لم تبلغ (من الناحية العلمية) درجة الصحة واليقين ، وانما فيما يتولد عن الايمان بها (في محيط قصار النظر وضعيفي الايمان) من نزعات الحادية وميول تحليلية وجودية تربط الانسان بما على وجه الارض من غرائز حيوانية وميول بهيمية وتقطع صلته بما سواها على اعتبار أن الانسان (كما هي نظرية داروين) انما هو (في الاصل) حيوان .

قال الاستاذ محمد قطب في كتابه (الانسان بين المادية والاسلام) .

ان عيب نظرية داروين ليس في الوقائع العلمية التي بسطها في كتبه ، وتابعه عليها أعوانه ومريدوه ، وانما هو في ايهاءات تلك النظرية التي خلقت طابعها الخطر ، لا في افكار الجماهير وحدها ، بل في اتجاه العلماء كذلك منذ عهده الى العصر الاخير .

ثم قلت للشباب المسلم :

وهكذا يتضح جليا ان الطابع الخطر في نظرية التطور والارتقاء على الدين والاخلاق والسلوك هو الذي جعل الملاحدة يتشيعون لهذه النظرية ويحرصون على مساندتها والدعوة اليها بالرغم من مخالفتها لقواعد مذهبهم الحسي .

لا حجة للشيوعيين في مذهب داروين

فقال . . ان الملاحدة من شيوعيين وغيرهم يتحكون بمذهب (داروين) ويحاولون (دائما) ان يجعلوا منه قاعدة تنطلق منها دعوتهم الخبيثة .
فهل لهم متمسك علمي في هذه النظرية يمكنهم الاعتماد عليه لمساندة مذهبهم ؟؟

فقلت له . . لقد استغل دعاة الالحاد (فعلا) نظرية داروين لما لها من شهرة عالمية وانتشار بين طبقات المثقفين الذين يطلب منهم (غالبا) دراستها باعتبارها من النظريات التي تدخل في نطاق البحث العلمي ، فجعلوا منها (اي الشيوعيين) مطية للتزويج للكفر والالحاد .

ولكن القاء نظرة مجردة فاحصة (خالية من العناد والهوى) على هذه النظرية وعلى اتجاه مؤسسها (في محيط بحثها) تثبت عدم وجود اية حجة علمية او أي متمسك لهؤلاء الملحدون في هذه النظرية .

نظرية داروين لا تدعو الى الالحاد

فداروين (مثلا) قد ورد في كتبه الخاصة ما يفيد بأنه يعترف صراحة بوجود اله خالق حيث قال في كتابه (اصل الانوع) ، ان انواع الاحياء ترجع الى اصل واحد او عدة اصول اوجدها الخالق ، وان الحياة سر يعجز كل البشر عن معرفته .

وهذه الاقوال من قطب نظرية التطور والارتقاء (داروين) تصفع المتبحرين من الملاحدة بنظرية التطور والارتقاء التي يقول بها داروين .

يضاف الى هذا ان (داروين) مهما قيل فيه (حول كفره او ايمانه شخصيا) فان جميع مؤلفاته حول تطور الكائنات الحية ليس فيها اي شيء يمكن تسميته دعوة الى انكار الخالق او تحريضا على التنكر للدين والدعوة الى نبذه .

بل لقد صرح داروين نفسه بأن بحوثه الخاصة بنظرية التطور والارتقاء لا تستهدف الدعوة الى انكار الخالق وليس فيها اي خطر على الدين .

فقد سئل داروين عن عقيدته الدينية فأجاب في خطاب ارسله الى مستر (فور دايس) صاحب كتاب (ملامح من الشكوكية) عام ١٨٧٩ بقوله :

« ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعني احدا غري » (٥٠) .

كما ان (الفرد رسل ولاس) وهو القطب الثاني من اقطاب نظرية التطور والارتقاء والذي حمل لواءها بعد (داروين) كان ينبغي بشدة ان يكون هناك اية حجة للملحدين في هذه النظرية .

وكان ينبغي ان يكون داروين قد اتخذ من هذه النظرية وسيلة لانكار وجود الله تعالى .

فقد جاء في كتابه **THE WORLD OF LIFE** (نافيا عن داروين هذه التهمة) قوله :

(ان داروين على ما يظهر قد صار الى نتيجة واحدة ، وهي ان الكون لا يمكن ان يكون قد وجد بغير علة (هي فوق الطبيعة) ولكن ادراك هذه العلة على اي وجه كامل يملو على ادراك العقل البشري) .

ثم عقب (ولاس) على ذلك قائلا . . (وانني لاولي هذه النظرة كل عظمي وشعوري ، ولكنني مع هذا ارى اننا مستطيعون ان نلمح قبسا من القدرة التي تعمل في الطبيعة يساعدنا على تدليل الصعوبة البالغة التي تحول دون العلم بحقيقة الخالق الابدي الذي لا اول له ولا آخر (٥١) .

والمهم في الموضوع (كما قال الاستاذ عباس محمود العقاد) في كتابه (عقائد المفكرين) ان صاحبي مذهب التطور والارتقاء (داروين وولاس) لم يستندا الى هذا المذهب في انكار العقيدة الدينية ولم يزعموا انه يفسر سر الحياة او سر الكون - واحدهما وهو ولاس - كان مؤمنا بالله ويعلمته في مخلوقاته - والاخر وهو داروين - كان يابى ان يوصف بالالحاد ويؤكد الى آخر ايامه ، ان الاستدلال بمذهب التطور على انكار الاله الخالق خطأ كبير

(٥١) ان الملاحدة (من شيوعيين وغيرهم) الذين يتمحكون بنظرية التطور والارتقاء ليجعلوا منها اهم ركائزهم للدعوة الى الانحاد ، لا يمكن ان يكونوا ، اكثر فهما لهذه النظرية وأعمق ادراكا لحقائقها من هذا العالم الكبير (ولاس) الذي اعترف له العالم اجمع بأنه القطب الثاني بالنسبة لهذه النظرية (بعد داروين) ولهذا فان ايمانه بالله الى هذه الدرجة يعتبر اقوى دليل على أن هؤلاء الملحدون انما يفترون على هذه النظرية واقتطابها عندما يستندون عليها ويجعلون من قواعدها فلسفة لانكار الخالق سبحانه وتعالى ، ذلك ان هذه النظرية لو كانت قد قامت على انكار الخالق جل وعلا ، أو ان القول بها يستلزم انكاره ، لكان اقتطابها الذين ارسوا قواعدها (قبل ان يولد هؤلاء الملحدون) أول التكريس لوجوده سبحانه وتعالى ، ولكن هذا (ولاس) أحد اقتطاب هذه النظرية يتمسك من أشد المفكرين ايمانا بوجود الله تعالى ، فصح بهذا - يقينا - أن هؤلاء الشيوعيين انما هم منطفلون على نظرية التطور والارتقاء ومفترون على اقتطابها حينما يجعلون من هذه النظرية سنداً لهم في نكار وجود الله ونفي قدرته وحكمته .

وادعاء لا سند له من العلم ولا من التفكير الامين (٥٢) .
 هذا من ناحية موقف اقطاب نظرية (داروين) الشخصي حيال ما
 يفتريه الملحدون من شيوعيين وغيرهم من ادعاء مفاده ، أن بحوث هؤلاء
 الاقطاب (حول التطور والارتقاء) تقوم على انكار الخالق سبحانه وتعالى .
 أما من ناحية جوهر نظرية التطور والارتقاء ، فانه بالرجوع الى قواعد
 هذه النظرية يتضح لكل ذي عقل منزه عن الهوى انه ليس للملحدين في اي
 من هذه القواعد سند علمي أو برهان عقلي يعتمدون عليه لتأييد نزعتهم
 الالحادية الداعية الى انكار وجود الله .
 بل ان بعضا من هذه القواعد اذا ما أمعن الانسان فيه النظر يجد انه لا
 يؤدي الى انكار الله تعالى وانما يمد الانسان بروافد من الايمان بعناية الله
 ورحمته وحكمته .

افلاس الملحدين في التمسك بنظرية داروين

ولكي نبرهن لكم على افلاس هؤلاء الملحدين في هذا المجال ، فانا
 سنعرض (مرة أخرى باختصار) للقواعد الأربع التي بنى (داروين) عليها
 نظريته لنناقش الملحدين أمام كل قاعدة من هذه القواعد .
 ذكرنا فيما مضى من مناقشة ، أن القواعد التي بنى عليها داروين
 (نظرية التطور والارتقاء) هي أربع قواعد :
 ١ - ناموس المطابقة .
 ٢ - ناموس تنازع البقاء .
 ٣ - ناموس الانتخاب الطبيعي .
 ٤ - ناموس الوراثة .
 وقد شرحنا مقاصد هذه النواميس فيما مضى من مناقشة .

اقوى حجة للملحدين في النظرية

وبرجوعنا الى مشاغبات هؤلاء الملحدين على المؤمنين (باسم نظرية
 التطور والارتقاء) نجد أن اقوى ما يستندون عليه في نظرية داروين لانكار
 الخالق سبحانه وتعالى ، هو قانون (المطابقة) الذي يقول أن لنوع الاغذية
 وطرق الوصول اليها ، وللبيئة التي يعيش فيها الحيوان (بصفة عامة) أثرا
 في تكييف الجهاز العضوي للحيوان لكي يلائم البيئة التي يجبر على العيش
 فيها .

(٥٢) اذا كان قد نقل من (داروين) انه كان آخر أيامه ، يميل الى التردد والشك في
 وجود الله تعالى ، فانه ما زال (حتى موته) ينفي بشدة أن يكون في نظريته أي سند يمكن
 اخلاذه دليلا لمي انكار وجود الخالق سبحانه وتعالى .

فنظرية داروين (مثلا) تقول . . ان الكائن الحي اذا اجبر على العيش في بيئة تختلف عن البيئة التي كان يعيش فيها ، فان بعض أعضائه تبطل أو تتطور أو يزيد عددها لكي يتمكن من مواصلة العيش في هذه البيئة التي لا يحتاج العيش فيها الى بعض هذه الاعضاء أو يحتاج الى مزيد منها أو تطورها أو ايجاد أعضاء جديدة .

وهم يضربون لذلك مثلا بالعيون الاثرية غير المبصرة التي يقول علماء الحيوان انهم وجدوها في بعض الكهوف المظلمة التي لا سبيل للنور اليها أو تحت طبقات الارض ، فسرت لهم نظرية داروين ذلك بأن سبب فقد هذه العيون حاسة الابصار ، هو :

ان نوع هذا الحيوان (صاحب العيون الاثرية غير المبصرة) كان يعيش في بيئة مشرقة غير مظلمة ، مما جعل العيون المبصرة من ضروريات حياته ، ولكنه لما اجبر على العيش في الكهوف المظلمة (أو تحت طبقات الارض آمادا طويلة) فقد حاسة الابصار بالتدريج ، فضرر العضوان اللذان كان بهما يبصر وهما العينان ، لعدم حاجته الى الابصار في تلك البيئة المظلمة .

فبقيت هاتان العينان في ذلك النوع من الحيوان اثريتين ، فأورثهما ما تناسل منه في هذه الكهوف من الحيوان ، ثم أخذ ضمور هذه العيون الاثرية (في نسله) في الازدياد حتى تلاشت هذه العيون كليا بالتدريج ، لعدم الحاجة اليها لان هذا النوع من الحيوان صار يُولد ويعيش ثم يموت في بيئة لا يحتاج فيها الى حاسة الابصار .

وأصحاب نظرية داروين يقولون مثل هذا في الاعضاء الاثرية الاخرى التي يقولون انهم وجدوها معطلة وغير مستعملة في حيوانات أخرى . كـ بعض الافاعي التي قالوا انهم وجدوا فيها زائدتين عظيمتين في القسم الخلفي لا حاجة لنوع هذه الافاعي فيهما ، وانما هما اثران لطرفين كانا موجودين في اجداد هذا النوع من الافاعي كان اولئك الاجداد في حاجة اليهما عندما كانوا يعيشون في بيئة تستلزم وجودهما . . الخ .

هذا مثال يضربه اصحاب نظرية داروين للاعضاء التي تضرر ثم تتلاشى في الحيوان لعدم الحاجة اليها عندما يعيش في وسط لا يستلزم وجودها . اما بشأن ما يزعمونه من ظهور أعضاء جديدة للحيوان ، أو تطور هذه الاعضاء بسبب البيئة أو المحيط ، فاتهم يضربون لذلك مثلا (ضمن ناموس المطابقة) بالحيوان الذي لا ناب له ولا مخلب لعدم الحاجة اليهما في البيئة التي يعيش فيها ، فيقولون ان هذا الحيوان اذا ما اجبر على العيش في بيئة تتطلب هذين العضوين (الناب والمخلب) فاتهما تبتتان فيه ليتمكن من العيش وينجو من الهلاك ، وهم يقولون غكس ذلك فيما اذا عاش حيوان من

ذوات الناب والمخلب في بيئة لا تتطلب وجودهما حيث يبطل هذان العضوان بالتدريج حتى يتلاشيا النخ.

هذا هو خلاصة (ناموس المطابقة) الذي في ظله يشغب الملحدون على المؤمنين ويستدرجون عن طريق هذا الشغب ضعاف العقول ومهزوزي المدارك الى هاوية الالحاد .

فقال أحد الاخوان (من حاضري المناقشة) .. ولكن هذا امر بعضه بدهي مشاهد ملموس ، فان اي عضو من الاعضاء اذا ما أهمل استعماله طول العمر ، فانه يتعطل ثم يضمّر ، ولكن ما حجة الشيوعيين في مثل هذا الامر ؟؟

احتجاج الشيوعيين بالاعضاء الاثرية في الحيوان

وهنا تكلم الشيوعي الملحد فقال :

نعم .. حجتنا (في هذا) هو انكم معشر التدينين تزعمون ان كل ما في الكون قد وجد بعناية وقصد و ارادة من ذات لها الهيمنة المطلقة على هذا الكون ، وذلك لكي تصلوا الى القول بضرورة الاعتقاد بوجود اله خالق له قوة فوق كل قوى الطبيعة ، ونحن (معشر الشيوعيين) ننفي هذا الزعم وننكره ، ونقول :

ان كل ما في الكون جميعا انما وجد بحكم الضرورة ، وان ما فيه من روائع التباينات وبدائع الموجودات انما جاء نتيجة التطور الطبيعي الآلي الذي لا دخل فيه للعناية أو الإرادة أو القصد ، فليس هناك عناية الهية أو رعاية ربانية ترعى هذا الكون (كما تزعمون) .

فلو كان هناك عناية الهية أو رعاية ربانية لهذا الكون لما وجد في هذه الحيوانات أعضاء أثرية لا لزوم لوجودها (كالعيون غير المبصرة في بعض حيوانات الكهوف المظلمة) ولما حدثت تلك التحولات (بحكم الضرورة) في بعض أعضاء الحيوانات أو الزيادة في البعض الآخر كانيات الناب والمخلب في حيوان ليس له (في الاصل) ناب أو مخلب ، أو ابطال هذين العضوين الموجودين تبعا لتغير البيئة والمحيط ، كما هو مفصل في نظرية التطور والارتقاء في قانون (المطابقة) ، ثم اردف قائلا :

فلو كانت هناك (كما تزعمون) عناية من قوة مدبرة ترعى هذا الكون لما وجب ان يكون في هذه الكائنات الحية أعضاء لا فائدة منها ولا ضرورة لها ، ولما تحوّل ذو الرجلين الى ذي أربع (بحكم الضرورة) فصّح بهذا انه

لا دخل للعناية والغاية ، وانما الدخل للضرورة فحسب (٥٣) .

نقض اقوال التسيوعيين بشأن الاعضاء الاثرية

قللت له ... سبحان الله .

انكم لو عقلتم ، لادركتم واقتنعتم ان كل هذا انما هو من اقوى الادلة
واوضح البراهين على وجود العناية الالهية والرحمة الربانية .

وهل تريدون دليلا اقوى على وجود هذا الخالق البر الرحيم من
اعطاء كل كائن حي قابلية لأن يلائم البيئة التي يعيش فيها ، بتطوير اعضائه
او تزويده بأعضاء جديدة لا يمكنه العيش في البيئة الجديدة الا بها ؟ .

فهل هناك ادل على العناية والقصد والحكمة من ان اذا وجد حيوان
متمتع بعينين مبصرتين في بيئة خالية من الضوء (تماما) فأبطل الله حاسة
البصر في هاتين العينين اللتين لم يعد الحيوان في حاجة اليهما ، ثم أبدله
بحاسة أخرى تمكنه من الوصول الى ما يجعله يعيش ويحفظ نوعه من
الانقراض ؟ .

ليس من آثار العناية الالهية (لا الضرورة العمياء التي بها تهرفون)
ان اذا قضى على حيوان لا ناب له ولا مخلب أن يعيش في بيئة (بعد تكوينه)
يحتاج فيها الى ذينك العضوين (الناب والمخلب) فنبتا بالتدريج حتى

(٥٣) قال السلطان صالح بن غالب القميطي (سلطان حضرموت) ، قال في كتابه (الآيات
البيّنات الدالة على وجود خالق الكائنات من ٧٥ ط حيدر آباد .. قال اذا نظرت الى الكون
بعين البصيرة ، يظهر لك بأنه خلق بقصد وحكمة ، واذا رأيت شيئا لم تظهر لك حكمته فذلك
لقصور علمك وادراكك ، لا لانه عار من الحكمة ، فكم من حكمة وأسرار في الكائنات خفيت
على جهالة العلماء فأنكروها ولما ظهرت لهم الحقيقة رجعوا عن غيهم وأنكارهم .. وقال الاستاذ
شارل ريشه (المدرس بجامعة الطب الفرنسية) ، ان حواسنا من القصور والنقص على
حال يكاد معها يفلت من شعورها كل الافلات ، ثم قال .. ان كل هذا العلم الذي نفخر به
الى هذا الحد ليس في حقيقته ادراكا لطواهر الاشياء ، واما حقائقها فتفلت منا ولا تقع
تحت مداركنا ، والطبيعة الصحيحة للنواميس التي تقود المادة الحية والجامدة تتعالى عن أن
تلم بها عقولنا .. وقال السلطان صالح القميطي في ص ٧١ من كتابه (الآيات البيّنات) يقول
الماديون ان الاجرام السماوية والكائنات كلها تخضع للناموس اللازم لها ، ويقولون ان الكون
منتظم بحكم الضرورة ، ثم يطلق السلطان على ذلك بقوله .. ولم نعرف ما هي الضرورة التي
تقضي بهذا النظام البديع المنزه عن الخيط ، ومن جعل الكواكب تسبح في الفضاء على
مداراتها بنظام في غاية الدقة والضغط ، وهل الضرورة قوة مدبرة ؟ ام كلمة ليس لها معنى ،
اما الماديون فينكرون وجود قوة مدبرة ، ثم يختتم السلطان القميطي رده الفهم على الماديين
بقوله .. فاذن ، الضرورة عندهم هي كلمة فارغة ليس لها معنى وانما وضعوها فقط لتأييد
مذهبهم فيكرونها هذه الكلمة عند الضرورة من غير تدليل .

يصير من ذوات الانياب والمخالب لكي ينجو نوعه من الغناء؟؟.

الاستدلال على نفي الشيء بدليل وجوده

اليس من دليل العناية الربانية ان اذا اضطر حيوان (ذو رجلين) في بيئة لا يمكنه العيش فيها الا اذا كانت له ارجل اربع فنبئت هذه الاربعة له ، (كما تقول نظرية داروين) ، اليس هذا من اوضح ادلة القصد والعناية ؟.

ان استدلالكم (معشر الملحدون) بهذه القابلية التي اعطيت للحيوان (اذا صح انها اعطيت) لتتكيف اعضاؤه حسب متطلبات البيئة التي يعيش فيها .. ان استدلالكم بهذا على نفي العناية الالهية وانكار الخالق سبحانه وتعالى ، هو من اسخف الاستدلالات واكثرها تهافتا ، لانه استدلال على نفي الشيء بدليل وجوده .

والا فكيف يمكن الاستدلال على نفي الخالق وعنايته الالهية باعطاء الحيوان قابلية التكيف لتتطور اعضاؤه ، او تزيد او تنقص - حسب ظروف البيئة التي يجبر هذا الحيوان على العيش فيها - لينجو نوعه من الانقراض؟؟.

واذا لم يكن مثل هذا هو دليل العناية والرحمة والحكمة الالهية فلست ادري ماذا يكون مصير الادلة القاطعة والبراهين الناطقة في دنيا العقل والمنطق ؟.

فاذا كنتم (معشر الماديين) تعتبرون امداد الحيوان بالقابلية التي تمكنه من أن يلائم البيئة التي تختلف عن البيئة الاصلية التي كان فيها ، حتى ينجو من الهلاك ، اذا كنتم تعتبرون هذا دليلا على العناية والفوضى وبرهانا على نفي الغاية والقصد والعناية ، فماذا (اذن تريدون)؟؟.

فهل تريدون ان يكون دليل وجود الله وعنايته ورحمته ان يترك هذا الحيوان مهلا دون ان يمدّه بقابلية تكيف بموجها اعضاؤه لحماية نفسه من الهلاك والانقراض عندما يجد نفسه مجبرا على العيش في بيئة تتطلب هذا التكيف (كما فصل ذلك داروين في ناموس المطابقة ضمن نظريته ؟؟) (٥٤) .

(٥٤) قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف ج ٨ ص ٥١٩) عند رده على الملحدون المستدلّين بالاعضاء الاثرية والتحول في بعض الحيوان (حسب نظرية داروين) على نفي العناية الالهية ، قال .. يميل الماديون الى ان يعتبروا هذا التحول دالا على ان الخلق جار على سنة العناية المطلقة والضرورة المحضة ، كأنهم يريدون ان يهلك كل حيوان او نبات يقضي عليه بأن يوجد في بيئة غير بيئته الاولى ليسوغ لهم ان يقولوا ان في الكون

لا شك ان منطق نقاشكم يدل مفهومه على هذا .
ان هذا منكم (دونما جدال) يدل على منتهى التعسف والعناد
ومحاولة قلب الحقائق .

ثم قلت للشيعوي الملحد، ان الانسان عندما يصل (في العناد والمكابرة)
الى درجة الاستدلال على عدم الشيء بما يدل على وجوده (كما فعلتم انتم)
حينما استدللتم على نفي العناية الالهية بما يدل (قطعا) على وجودها ،
انما يعني انه لن يرجع عن قوله حتى ولو احاطته البراهين القاطعة من كل
جانب على بطلان ما يقول .

وهذا لا ينطبق على أحد مثلما ينطبق عليكم (معشر الشيعويين) .

قوة (عاقلة) مدبرة ؟؟ وهذا من غرائب شؤون الماديين .. والا فكيف لا يُعد اعداد الحيوان
بحاجته من الاعضاء التي لم تكن له من الرحمة الالهية ويعد عكسه من دلائل الحكمة والغاية
والقصد ؟؟ ثم قال .. ان الذي حدا بالماديين الى هذا الزعم ، توهمهم ان هذا التحول الجزئي
يدل على ان العالم كله خلق على هذه الوثيرة فوجدت الخلية البسيطة الاولى (اولا) ثم
تحولت الى ارقى منها بتغير البيئة ، وهكذا تم الخلق على ما هو عليه من الابداع ، ثم
قال الاستاذ وجدي :

هب ان الخليقة تكونت على هذا انضرب من التدرج فماذا فيه من نفي القصد الالهي ؟؟
هل مما ينفي القصد الالهي ان توجد خلية بسيطة متمتعة بخاصية مقاومة المؤثرات وقابلية
التدرج نحو الكمال حتى تصل الى ارقى انواع النبات والحيوان ؟؟ اليس اجدر ان يدل ذلك
على قوة خالقة اوجدت هذه الخلية وتمتعها بكل قوة ووسيلة لحفظ حياتها حتى تصل الى
كمالها ؟؟ ايما ادل على دقة الصنع وغاية الابداع في عمل عامل .. اعمله الشيء دفعة واحدة
وتركه وشأنه (دونما عناية او رعاية) بييد ان لم تناسبه الظروف ، ام تكوينه على خصال
تمكته من التدرج شيئا فشيئا وتحليته بالوسائل التي تمكته من مكافحة التغيرات الطارئة في
كل حين ؟؟ ثم يقول الاستاذ فريد وجدي .. خلق الله الارض على سنة تدرجية (كما تدل
عليه المباحث الجيولوجية) وجعل بيئاتها وقواها دائمة التحول والتغير حتى ان سطح الارض
الذي نعيش فيه كان قاعا للبحر في عصر من العصور ، وما فيه الان من مدن عامرة كان قبل
عدة اجيال غابات كثيفة ، وما كان غابات كثيفة يظل ويتغير ملايين من الحيوانات ، اصبح
الان مناجم للفحم الحجري ، ونس على ذلك ما لا يحصى من الانقلابات ، ثم يقول .. فاذا
كان الله خلق الارض على هذه السنة ، افليس من الحكمة ان يخلق الكائنات متمتعة بخاصة
مقاومة ، حتى لا تبعد وتتلاشى امام هذه التغيرات ؟؟ فاذا لم يخلق الحيوان البصر على
حالة تمكته من ان يعيش في الظلام فتصبح عيناه اثريتين ، وما لا ناب له ولا منبر ، ان يكون
له ذاك العضوان ، اذا اقتضت الاحوال المعاشية ذلك وعلم جرا ، هل بقي (ان لم يتمتع
الخالق الحيوانات والنباتات بهذه الخاصية من التحول التدريجي) على الارض حي يعمرها
الان ؟؟ ثم قال الاستاذ (فريد وجدي) يظهر لي انه لا يرضي الماديين الا ان يكون الخالق
على شكل الحكام المستبدين ، يأمر بخلق الكائنات مستقلة فتكون ، ثم يبيدها لافل عارض
من تغيرات الجو فتبيد ، فلا يريدون لها رحيمًا يحل محلوقاته من الوسائل بما تقاوم به
الاعراض الازمية ، ثم يختم الاستاذ (محمد فريد وجدي كلامه ضد الملحدين قائلا) :
والحقيقة ان الماديين يريدون ان يكونوا ماديين ملحدين ولو رآوا الله باعينهم .

فانتم تريدون ان تكونوا ماديين ملحدين (فحسب) حتى ولو رايتم
الله جهرة بأعينكم .. هذه هي حقيقتكم التي عرفناها عنكم في كل عصر
وجيل .

سبب الانحراف بين بعض المثقفين

ولهذا فنحن عندما نناقشكم هذه المناقشة انما نقصد (في الدرجة
الاولى) تنبيه هؤلاء السطحيين الذين طالما غررتم بالكثير منهم وانحرفتم
بهم نحو مزالق الكفر والانحلال .. هؤلاء الذين جعلتهم بهارج اقوالكم
وتزاويق عباراتكم يظنون ان المدنية والتقدمية لا يمكن ان يكون اهلا
للاتصاف بهما الا الذي ينكر كل شيء ويستهزئ بكل عقيدة ويكفر بكل
دين .

ولا شك ان مما ساعدكم على اقتناص هذا النوع من السطحيين
المفغلين ، هو جمود بعض علماء المسلمين القيايين وانعزاليتهم الشديدة
التي نات بهم عن مختلف الاوساط في امتهم ، (وخاصة الثقافية والاعلامية)
مما جعل هؤلاء العلماء لا يعلمون شيئا عما يتوافد من تيارات دخيلة داخل
البيئات الاسلامية (تحت اسماء براقة مختلفة) وخاصة في محيط العلم
والمعرفة ، وبالتالي لا يتخذون اية خطوات فعالة حاسمة مضادة ، تصد
الضار وتقبل النافع .

الشيوعيون والقواعد الداروينية الثلاث

وهنا قال شاب مسلم آخر ... والان وقد سمعنا ما فيه الكفاية
حول تثبيت الملحدون بقانون المطابقة في نظرية داروين .
واذا كانت حججهم على هذه الدرجة من الضعف والتهافت في مجال
اهم نقطة يتشبهون بها وهي (قانون المطابقة) فما هو (اذن) متمسكهم في
القواعد الثلاث الباقية من قواعد نظرية داروين التي يزمرون ويطلبون
باسمها ، ويزعمون دائما انها في جانبهم تنقض الايمان وتنفى وجود
الخالق ؟؟

قلت له .. ان اقوى ما يشغبون به لنفي العناية الالهية هو (كما
قلت لكم) ما جاء في ناموس المطابقة من هذه النظرية ، والذي فصلته لكم ،
وقد بينا لكم ان هذه الحجج هي من اسخف واتفه ما يحتج به مناظر او
يناقش به باحث .

اما بقية القواعد الثلاث ، فليس لهم فيها اي متمسك او حتى اية شبهة
لان هذه القواعد وهي (تنازع البقاء) و (الاصطفاء النوعي او الانتخاب

الطبيعي كما يسميه البعض) و (الوراثة) هي أمور معروفة مشهودة قبل أن يُخلق (داروين) بألاف السنين ، فليس في القول بها ما يتنافى مع الاعتقاد بوجود الله تعالى .

تنازع البقاء من سنن الله

فناموس (تنازع البقاء) هو سنة الله الكونية في خلقه ، فكل المخلوقات (دائما) في صراع مستمر من أجل البقاء، وصراعهم هذا واختلافهم وتنافسهم هو الذي يحفظ الله به العالم، ولولا اختلاف الناس وتصارعهم لخربت الدنيا وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الناموس الثابت بقوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » ، وما قيام الدول وانهارها وصعود الاسر وهبوطها ، وانتصار قوم وانهزام آخرين ، وانتقال الاموال والاملاك من يد الى يد الا نتيجة هذا الناموس الذي لا يستطيع أحد انكاره (ناموس تنازع البقاء) .

حبُ السيادة في النفوس أحلّ ناموس التنازع . .
لولا الدماء الحمر ما اخـ ضرت بأهلها الرابع .

البقاء للأصلح

اما ناموس الاصطفاء النوعي (أو الانتخاب الطبيعي كما يسميه البعض) فهو ليس الا نتيجة لناموس تنازع البقاء ، حيث قضت سنة الله أن تكون الغلبة والبقاء للأصلح والاقوى ، ولهذا فليس للملحدين في هذا الناموس مجال يشغبون (عن طريقه) على المؤمنين .

وأما ناموس (الوراثة) فهو أشد النواميس الداروينية الأربعة استعصاء على الملحدين ، حيث لا يوجد لهم فيه أي متمسك أو شبهة بها يشغبون ، لانه ناموس معترف به في كل عرف ودين ، ولم يكن بدعا من القول طلع على الناس به (داروين) .

فليس في الناس على اختلاف اديانهم، من ينكر على من يقول (مثلا) أن فلانا قد ورث هذا الخلق عن أبيه أو ورث هذا الطول أو القصر عن جده أو أمه ، ولهذا فانه لا مجال (أيضا) للملحدين في ميدان قانون الوراثة الذي هو إحدى القواعد الأربع التي قامت عليها نظرية (داروين) .

ثم قلت له . . وهكذا يتضح لكل ذي عقل صحيح وتفكير سليم انه ليس للملحدين (من شيوعيين وغيرهم) أي سند علمي في نظرية (داروين) سوى المشاغبة والتزوير والمغالطة .

مذهب داروين لا ينقض الإيمان

قال السيد محمد فريد وجدي (٥٥) في كتابه (دائرة المعارف ج ٨ ص ٥٢٠) .

فليحد الماديون ما شاعوا أن يلحدوا ، ولكن حذار من أن يدّعوا أن مذهب (داروين) ينقض الإيمان ، وبزعزع العقائد ، ذلك المذهب الذي أساسه التسليم (بقوة الخالق التي خلقت الخلية أو الخلايا الأولية) حذار من أن يزعموا أن العلوم الطبيعية أقامت الدليل على نفي الخالق (سبحانه وتعالى) .

فهذه العلوم الطبيعية بين أيدينا ، وهؤلاء هم قادتها يصبحون بملء اشدائهم أن علم الطبيعة يدل على الخالق ويقوي الإيمان به .

داروين بين الكفر والإيمان

فقال شاب آخر .. ولكن هل كان داروين ملحدًا وداعية الحاد ، أم أنه كان مؤمنًا ؟؟

فقلت له .. لقد تفرق العلماء والمفكرون ، حيال مذهب داروين إلى فرق ثلاث :

١ - فرقة حكمت بكفره والحاده دون أن تناقشه على الصعيد العلمي .

(٥٥) ترجمة محمد فريد وجدي

قال الزركلي في الاعلام .. (هو) محمد فريد بن مصطفى وجدي .. مؤلف « دائرة المعارف » . من الكتاب الفضلاء الباحثين . ولد ونشأ بالإسكندرية . وأقام زمنا « في نعياط » وكان أبوه وكيل محافظ فيها . وانتقل معه إلى السويس ، فأصدر بها مجلة « الحياة » ونشر رسالة سماها « الفلسفة الحقّة في بدائع الاكوان » سنة ١٨٩٩ وكتاب (تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية) كتبه أولا باللغة الفرنسية وترجمه الى اللغة العربية بهذا الاسم ، وسماه في طبعة أخرى « مدنية الاسلام » وسكن القاهرة ، فعمل في وظيفة صغيرة بديوان الاوقاف ، وأنشأ بعدها مطبعة أصدر بها جريدة « الدستور » اليومية مدة ثم « الوجدييات » وهي فيه مجلة اسبوعية ونشر كتابه « دائرة معارف القرن الرابع عشر » العشرين في اجزاء متتابعة اكتملت في عشرة مجلدات ، ونشر من كتبه « ما وراء المادة » في جزأين ، « وصفة العرفان » وهو تفسير موجز للقرآن ، و« الحديقة الفكرية في اثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية » و « المرأة المسلمة » في الرد على « المرأة الجديدة » لقاسم أمين ، و « الاسلام في مصر الملم » مجلدان ، و « كنز العلوم واللغة » وهو من انفس الكتب ، و « على أطلال المذهب المادي » و « مجموعة الرسائل الفلسفية » و « نقد كتاب الشمر الجاهلي لطف حسين » وتولى تحرير مجلة (الزهر) نيفا وعشر سنين ، واعتزلها قبل وفاته بشهر عامين ، ولد عام ١٢٩٥ هـ وتوفي عام ١٣٧٢ هـ .

٢ - وفرقة لم ترض عن داروين واتهمته بـائتفاق لتظاهره بعدم
الاحساد .

٣ - وفرقة تقول ان داروين لم يكن ملحدًا وانه كان مثبتًا لوجود الله
ومعترفًا بأن الخلق من صنعه .

✳ اما الفرقة الاولى التي حكمت بكفر داروين من زاوية نظريته فهي
تتكون من اكثر القساوسة المسيحيين ، وهؤلاء جاء حكمهم بالكفر على داروين
باعتبار ان نظريته (جملة وتفصيلا) يؤدي الايمان بها الى انكار الاله الخالق،
سبحانه .

ولما كان داروين قد ظهر في اروبا فان اعنف الحملات قد جاءت من
رجال الكنيسة الذين كانوا (عند ظهوره) في صراع مرير مع العلم .

هجوم الكنيسة على داروين

ومن الذين هاجموا داروين وحكموا بكفره والحاده في اروبا ، اسقف
اكسفورد (وهو من اكابر علمائهم) فقد اعلن هذا الاسقف - في خطبة القاها
امام مجمع تقدم العلوم البريطانية - (٥٦) ان داروين ارتكب اشنع جريمة
حينما حاول ان يحدد مجد الله في فعل الخلق .

وقال الكاردينال (مانغ) .. ان مذهب داروين هو فلسفة وحشية
تؤدي - عقلا - الى انكار الاله .

وقال الدكتور (به ري) كبير اساقفة ملبورن (في كتاب وضعه) ان
داروين يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وانكار الكتب السماوية .

وقال المونسنيور (سه غور) في فرنسا ، عن مذهب داروين ، انه من
المذاهب المردولة التي لا يؤديها الا احط النزعات واسفل المشاعر ، فابوها
الكفر وامها القذارة .

وفي المانيا اعلن بعض العلماء ان مذهب داروين يناقض كل فكرة
موجودة في الكتب المقدسة .

(٥٦) ومرة وقد اسقف اكسفورد هذا (في منتدى الجمعية البريطانية) خطيبا يهاجم
نظرية داروين ، وكان توماس هكسلي - الذي يعد اكثر الشباب تحمسا لنظرية داروين -
حاضرا في المنتدى فخاطبه الاسقف قائلا (في سخرية) : اود ان اعرف يا سيد هكسلي ،
اغن جلدك ام جلدك تدعى التحدر من سلالة القردة !! فوقف توماس هكسلي وسط الجماهير
وقد اومضت عيناه بلهب الغضب ، فرد على الاسقف قائلا .. اود ان اؤكد للجماهير الكريمين
بأنني لا اخجل من اثبات الرأي القائل بكوني والقرد متحدرين من اصل واحد ، ولكن اذا كان
هناك ثمة من جد اخجل من الانتساب اليه فهو رجل كاسقف اكسفورد ..

واعلم (لو تاردت) أستاذ اللاهوت في لايبزيغ (أن فكرة النشوء
تناقض الحكمة الالهية مناقضة تامة ، وأن فكرة الخلق ملك للدين لا للعلم
الطبيعي ، وأن كل الهيكل الاعلى للدين انما يقوم على مذهب الخلق) .

ودعا (لوتاردت) علماء اللاهوت في سويسرا الى القيام بحرب صليبية
ضد مذهب التطور والارتقاء الذي سماه بالمذهب الخاطئ المفسد .

وقالت مجلة جامعة دبلن (أن داروين يبحث كيف يخلع الله عن
عرشه) .

ووصف العلامة الدكتور قسطنطين جمس في كتابه (الداروينيزم أو
الانسان القردي) الذي نشر في باريس عام ١٨٧٧ ، مذهب داروين بأنه
(أسطورة وأضحوة) .

وقال الدكتور دوفيلد من الجامعة نفسها .. (أن التوفيق بين مذهب
النشوء وبين التنزيل غير ممكن ، وأن من يؤمن به (ولو ثبت علميا) يكون
كافرا بالله) .

وقال الدكتور (لسي) انه لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تؤول لغة
الكتاب المقدس بتوسع يحتمل القول بهذا المذهب ، ونمت داروين واتباعه
بأنهم مبشرو البلايع انقذرة .

وفي الكلية الامريكية في بيروت طرد الاساتذة الذين ظهر انهم يقولون
بمذهب داروين (٥٧) .

غير أن مما تجب الإشارة اليه والتنبيه عليه هو أن جميع مؤلفات
داروين الخاصة يبحث التطور والارتقاء ليس فيها أي شيء يمكن تسميته
دعوة الى الكفر أو فلسفة هدفها انكار الخالق ، كما يدعي الشيوعيون الذين
جعلوا نظرية داروين منطلقا لدعوتهم الالحادية بين السطحين من المثقفين .

هجوم الملحنيين على داروين

✳ اما الفرقة الثانية التي لم ترض عن داروين، فهم الملاحدة الطبيعيون،
فقد اتهم هؤلاء الملاحدة داروين بخيانة العلم ، وزعموا أنه تافق وتملق رجال
الدين ، عندما لم يعلن (صراحة) انكار وجود الاله الخالق ، بل ولانه أعلن
براءته من تهمة الالحاد التي وجهت اليه في اول حياته . وانه كان يرفض
التفسير للحياة بأنها من صنع الطبيعة ، وانما يقول (كما نسب اليه) بأن

(٥٧) انظر كتاب (قصة الإيمان) ص ١٩٢ - ١٩٤ ط اولي .

الحياة وجدت في البيئة المائية بطريقة ما ، ولم يشأ أن يعلن انكار وجود الله كأساس لنظريته التي نبناها من بعده الملاحدة وجعلوها أساسا لانكار وجود الخالق سبحانه وتعالى .

✻ اما الفرقة التي ترى ان داروين (مع قوله بالتطور والارتقاء) هو مؤمن بالله ، فهم كثيرون من الباحثين الدينيين (المسلمين منهم والمسيحيين) .

دفاع الاستاذ الجبر عن داروين

ومن العلماء المسلمين الذين نفوا عن داروين صفة الاتحاد وقالوا انه مؤمن بوجود الله .. الاستاذ نديم الجبر والسلطان صالح بن غالب القعيطي ، والاستاذ محمد فريد وجدي .

اما الاستاذ نديم الجبر فقد صرح في كتابه (قصة الايمان) (٥٨) ان داروين لم يكن ملحدًا وانما كان مؤمنًا بالله تعالى ، ونسب اليه القول بأن الحياة (في الاصل) نفخت في الكائنات بقدرة الخالق العظيم .

ويقول الاستاذ الجبر ان ما اشيع عن داروين من القول بالتولد الذاتي ونفي الخالق هو افتراء على هذا العالم وبهتان .. ان داروين لا يتردد أبدا في الاعتراف بأن الله هو الخالق لاصل الانواع ، لأن عقله لم يتسع لتصديق الرأي القائل ان اصل الانواع تولد تولدا ذاتيا بنفسه .

دفاع السلطان القعيطي عن داروين

اما السلطان صالح بن غالب القعيطي فقد اثبت ايمان (داروين) بقوله .. ولم يبحث داروين في اصل الحياة بل قال ان الانواع كلها مشتقة من اصل واحد ، او اصول محدودة نفخ فيها الخالق روح الحياة ، فهو (أي داروين) يعتقد بأنها استمدت الحياة من خالق خلقها ثم اخذت في التنوع لقتضى نظرية سماها بالانتخاب الطبيعي (٥٩) .

اما الاستاذ محمد فريد وجدي فقد أكد ايمان داروين بقوله في دائرة المعارف ج ٨ ص ٥٠٣ :

قال العلامة داروين .. يجب التسليم بأنه توجد قوة مدبرة مظهرها الانتخاب الطبيعي تراقب دائما ما يحدث من العوارض على الطبقات الشفافة للعين لاجل ان تنتخب بعناية من تلك العوارض ما يستطيع في احوال مختلفة

(٥٨) ص ١٨٧ - ١٨٨ ط اولى .

(٥٩) ص ٦٩ ط اولى (الآيات البينات)

وبنوع ما ، ودرجة ما ، أن يميل لاحداث صورة اكثر وضوحا ، ثم يقول الاستاذ وجدي مؤكدا ايمان داروين بالله .

من هنا يعلم القارئ أن داروين يرى أنه يجب التسليم بوجود قوة الهية ليستطاع تحليل انتخاب الطبيعة للصالح في تحويل الكائنات ، فمذهب داروين - فضلا عن أنه لا ينفي العقيدة بوجود الخالق فهو يوجها ايجابا ، فكانها جزء من مذهبه ، ثم يختتم الاستاذ وجدي كلامه بقوله :

فما قيمة حجة الماديين بازاء هذا الاعتراف الصريح من داروين ، وبأي خيال استعاضوا عن هذه الحقيقة ؟ ا هـ .

حقيقة داروين الدينية

ثم قلت للشباب المستفسر ، وهكذا فالعلماء والمفكرون تختلف نظرتهم الى داروين .

فقال .. والآن وقد عرفنا الآراء المختلفة حول ايمان داروين وكفره .. فما هو القول الفصل في حقيقة هذا العالم الذي أقعد الدنيا وأقامها بنظريته ، وما الذي ترجحه أنت من اقوال الفرقاء الثلاثة ؟ .

فقلت له .. ان الذي اتضح لي « على ضوء ما قمت به من دراسات لداروين ونظريته ومما قاله هو عن نفسه) هو أن داروين لم يجعل نظرية التطور والارتقاء أساسا للدعوة الى الالحاد وانكار الخالق ، ولم يثبت أنه ناظر عالما او جادل مفكرا على هذا الاساس .

فداروين لم يقل كما قال (ارنست هيكل) ان الحياة تولدت من المادة تولدا ذاتيا وبفعل الطبيعة ، ولم يعلن انكار الخالق صراحة (كأساس لنظريته) .

وكل ما قاله داروين عن الحياة انها وجدت في البيئة المائية - بطريقة ما - أعلن جهله بهذه الطريقة كليا .

ليس داروين داعية الحاد

وهذا يعني أن داروين لم يكن داعية كفر والحاد (بمعنى كلمة داعية) بل انه كان دائما يتجنب النقاش في هذا الموضوع ، ولم يثبت أنه كلّف نفسه مهمة الرد على أحد من الذين اتهموه بالكفر والالحاد ، بالرغم من تعرضه لاعنف الهجمات من رجال الكنيسة وغيرهم .

غير أن الذي نستطيع أن نجزم به ، هو أن داروين كان في أول أمره معترفا بوجود الله ثم تردد وشك في وجود الله واعتنق مذهب (اللاادري)ثم

اتضح فيما بعد انه كان (في نفسه) ملحدا ، الا انه ما كان يستطيع او ما كان يريد اشغال وقته بالدفاع عن الالحاد والدعوة اليه ، ولهذا جاءت جميع بحوثه حول التطور والارتقاء خالية من اية دعوة الى الالحاد صريحة .

فقال الشاب المستفسر .. هل لديكم من اقوال داروين نفسه ما يثبت صحة ما نسبتموه اليه الآن ؟ .

فقلت له .. نعم .

فقد ذكر داروين في ختام كتابه عن اصل الانواع ، ان الانواع ترجع في اصولها الى بضعة انواع تفرعت على جرثومة الحياة التي انشأها الخالق (٦٠) وهذا من داروين دليل على انه معترف بوجود الله (٦١) .

اقوال داروين المتناقضة

بل ان داروين كان ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد .
فقد كتب مرة الى احد اصدقائه يقول .. انه لا يعرف لماذا يتهمه الناس بالكفر والالحاد مع انه لا يعتقد ان نظريته تنفي وجود اله للكون (٦٢)

ولكن بينما نرى داروين هكذا ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد ، اذا بنا نجد في موضع آخر يعلن تردده في الاعتراف بوجود الله تعالى .

فقد كتب سنة ١٨٧٩ م الى المستر (فور دايس) صاحب كتاب (ملامح من الشكوكية) ، عندما ساله عن عقيدته الدينية ، كتب اليه يقول :

ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعني احدا غيري ، ولكنك سالتني فاسمح لنفسي ان اقول انني متردد ، ولكنني في اقصى خطرات هذا التردد لم اكن قط ملحدا بالمعنى الذي يفهم فيه الالحاد انه انكار وجود الله واحسب ان وصف اللاادري يصدق علي في اكثر الاوقات - لا في جميعها - كلما تقدمت بي الايام .

وقد كتب قبل ذلك .. سنة ١٨٧٣ م الى طالب هولندي ساله عن عقيدته الدينية فقال :

ان استحالة تصور هذا الكون العظيم العجيب وفي نفوسنا الشاعرة

(٦٠) مقالات المفكرين ص ٥٥ .

(٦١) وقال الاستاذ جورج حنا (وموقفه من الشيوعية معروف) قال في كتابه قصة الانسان ص ٩ ان النظرية الداروينية لا تنفي وجود الخالق .

(٦٢) الانسان بين المادية والاسلام ص ٢٣ للاستاذ محمد قطب .

قائما على مجرّد المصادفة - هي في نظري أقوى البراهين على وجود الله ،
ولكنني لم أستطع أن أقرر قيمة هذا البرهان .

ثم نراه يكتب الى الطالب نفسه فيقول انه لا يرى دليلا على الوحي
وان الايمان بالبعث متروك لكل من يشاء ان يتخذ له فيه معتقدا بين
المحتملات المتضاربة .

وفي خطاب ارسله داروين سنة ١٨٨١ م الى جراهام صاحب كتاب
(عقيدة العلم) قال فيه :

انك عبرت عن عقيدتي الباطنة .. ان الكون لم ينجم عن مصادفة ، ثم
عاد يتساءل ما قيمة هذه المصادفة في اثبات تحقيقها ؟ .

غير أن كل هذه الكلمات التي نغى بها داروين عن نفسه تهمة الكفر
والالحاد ، قد دلت على أن الرجل لم يكن مؤمنا بالله ، وأن أقل احواله انه
كان (آن ذاك) مترددا في هذا الايمان ، وقد يكون أكثر ميلا الى الالحاد ،
إلا أنه ما كان يستطيع ، أو ما كان يريد الجهر به والدعوة اليه .

فانت ترى خطأ وازدواجا في كلامه ذاك ، بين التظاهر بعدم انكار
الخالق سبحانه وتعالى وبين الميل الى القول بانكاره .

فهو مثلا يقول انه لم يكن ملحدا ، ولكنه في الوقت نفسه يقول انه
متردد في الايمان بالله ، وان مذهب (اللادري) هو مذهبه .

وهل لكلمة (لا أدري) في مجال الايمان بالله ، من معنى سوى عدم
الايمان بالله ؟؟ .

ولكن داروين اذا كان لم يصرح (في هذه الكلمات الغامضة المتناقضة)
بالالحاد ، فانه اخذ آخر أيامه يزحف سريعا نحو اعلان الكفر والتصريح
بالالحاد .

كفر داروين آخر أيامه

تقد صَح عنه قوله .. لم أكن واثقا من اعتقادي بالله ، ولكنني واثق
تماما من اعتقادي بالانسان (٦٣) .

وتقل عنه أنه قال ..

ان الاعتراف بوجود خالق له ارادة في الخلق ، هو بمثابة ادخال
عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحث (٦٤) ، وهذا من داروين

(٦٣) ميافرة العلم ص ٨٢ للاستاذ جورج سلسني .

(٦٤) الانسان بين المادية والاسلام ص ٢١ .

إشارة صريحة الى أنه لا يرى ضرورة الإيمان بالله ، ويعتبر الإيمان بوجود الله (كضرورة لرعاية هذا الكون) تدخلا في شؤون الخلق لا مبرر له .

غير أن داروين قد ذهب الى أبعد من هذا حيث اعترف (صراحة) بالالحاد .

وقد جاء اعترافه هذا في خطاب وجهه الى صديقه (غراي) في جامعة هارفارد ، قال فيه : علّني أن أخبرك - كرجل شريف - بأنني بلغت غاية الهرطقة والالحاد في قلبي انه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق ، ولعلك ستحتقرنني من أجل ذلك (٦٥) .

بل قد ندم داروين على تنصله من تهمة الكفر مجارة للرأي العام ، فأعلن أنه لا يؤمن بعناية الـهية .

قال الاستاذ يوسف كرم في كتابه (تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٣٦):

وقد كان (داروين) مؤمنا بالله الى وقت ظهور كتابه (أصل الأنواع) الذي قال في ختامه أن الصور الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئا فشيئا حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجارة للرأي العام ، وصرح بأن الحياة لفر من الالغاز وأن ما في العالم من الم يعدل بنا عن القول بعناية الـهية . اهـ .

فداروين (هنا) يتخذ من تعرض البشر للآلام دليلا على انكار وجود اله خالق لهذا الكون .

ولعل أقوى شهادة لدينا على كفر داروين والحاده هي شهادة زوجته التي قالت بعد موته :

لا ريب عندي في أن داروين قد كفر بالله سبحانه وتعالى ، ولكن الله غفور رحيم وهو سيصفح عنه (٦٦) .

هكذا قالت زوجته وهي (دونما جدال أدري الناس به) وقد كانت على جانب كبير من الثقافة ، وهي لم تشهد على زوجها بالكفر (مع اخلاصها له وتفانيها في خدمته) الا لأنها علمت ذلك عنه علم اليقين ، لاسيما وأنها من المخلصين لدينها المتضلعين فيه .

ثم قلت للآخ المستفسر ، وهكذا يتضح أن داروين قد اجتاز في حياته ثلاث مراحل .. الإيمان ثم الشك والتردد ، وأخيرا ، الكفر الصريح والالحاد

(٦٥) مياطرة العلم ص ١٧٦

(٦٦) مياطرة العلم ص ١٨٤

المكشوف .

فقال . . لقد اتضح لي الآن سر اختلاف الفرقاء الثلاثة في نظرتهم الى داروين من ناحية عقيدته الدينية وأن الكل صادق فيما وصف به داروين .

فقد كان مؤمنا (وهذا في أول أمره) وهو ما حمل الفريق الثالث على نفي الالحاد عن داروين ، ولعل هذا الفريق لم يطلع على ما صرح به داروين من كفر والحاد .

ثم صار شاككا متريدا ومصانما للرأي العام ، وهذا ما حمل الفريق الثاني على اتهامه بالتناق .

ثم انتهى به الامر الى الكفر الصريح والالحاد المكشوف آخر أيامه ، وهذا الذي جعل الفريق الاول يحكم بالحاده ويدعو الى محاربة نظريته .

الفصل الثالث

- * خلق الحياة كما يراه داروين .
- * ابونا آدم بين القرآن والنظرية .
- * تحقيق القول في قصة تحدر الانسان من القرد .
- * القول الفصل في النظرية من وجهة نظر الاسلام .

موقف الاسلام من نظرية داروين

فقال شاب آخر من حاضري المناقشة :

والآن وقد عرفنا ما كنا نتوق الى معرفته من نظرية التطور والارتقاء ، وعن ايمان داروين والحاده ، فانا نتوق (بشغف) الى معرفة القول الفصل من ناحية الدين في جوهر نظرية التطور والارتقاء (من حيث قائمها التي ذكروا) ، وهل فيما اشارت اليه هذه النظرية (من حيث تحول الانواع وتطورها وارتقاءها من ادنى الى اعلى) ما يخالف الدين او يتنافى مع قدرة الله والايمان بوجوده ؟

قواعد النظرية والايمان بالله

فقلت له .. ان مراحل التطور والتحول والارتقاء التي اشار اليها الداروينيون (من حيث امكانها) ليس فيها ما يتنافى مع العقل او يتصادم مع الدين او يتعارض مع الايمان بوجود الله وقدرته ، لو ان هذه النظرية كانت حقيقة واقعة ، وان الذين يقولون بها قالوا ، انها تتم بقدرة الله وارادته وتدبيره .

فليس مما يتنافى مع العقل او الدين القول (مثلاً) وجود الحياة في البيئة المائية (بقدرة الله) ثم تحويلها الى نباتات ضعيفة ثم تطويرها (تحت رعاية الله وتدبيره) الى حيوانات بدائية فحيوانات اكبر ريشية ومجنحة فحيوانات ذات فقرات فانسان كامل .

وما قصة تطور دودة مائية حقيرة الى انسان (بقدرة الله من حيث

الامكان) الا كقصة تطوير كمية من الطين اللازب الى انسان . فالله قادر على كل شيء .

فليس (اذن) مما يتنافى العقل او الدين القول (مثلا) ان النملة قد تحولت (بأمر الله وقدرته) الى فيل ، او تطور الذباب الى ديك ، او تحولت البعوضة وتدرجت الى نعامة ، او ان حيوانا (مئا) ترقى الى انسان بقدرة الله تعالى وارادته .

وعلى هذا فانه ليس في جوهر قواعد نظرية التطور والارتقاء التي ذكر داروين (من حيث الامكان) ما يتنافى مع العقل والدين . . لو ان وقائع هذه المراحل صحيحة ، وبموجبها (حقا) تم تكوين الانسان وخلق الحيوان .
نقال (اذن) انت لا ترى اي محذور من ناحية الدين ، في الايمان بنظرية التطور والارتقاء على النحو الذي فصله (داروين) .
فقلت له . . ليس على الاطلاق .

بل هناك في هذه النظرية امور يحتم علينا ديننا رفضها وعدم التسليم بها .

فبالرغم من ان قواعد نظرية داروين ليس فيها من حيث الجوهر ما يتعارض مع أصول الدين او قواعد الايمان بالله تعالى ، فان هناك في هذه النظرية عاملين اساسيين يحولان بيننا وبين التسليم بها .

الظن لا اليقين اساس نظرية داروين

العامل الاول ، هو ان هذه النظرية ليست من الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل ، بل انها لا تزال باعتراف اقطابها (حتى هذه اللحظة) فرضا من القروض ، وظنا من الظنون .

والامور المبنية على الظن والافتراض (لا اليقين) قابلة لاعادة النظر بالتعديل او الالفاء .

وليس من مصلحة الانسان ولا مما يزيه ان يؤمن بفكرة او يتعصب لنظرية مهزوزة اساسها الظن والتخمين ، وقابلة لان ينفض اصحابها ايديهم منها عندما يفرض البحث التجريبي عليهم ذلك .

فنظرية التطور والارتقاء ، ما دام انها (باعتراف قطبها داروين) نظرية غير مقطوع بصحتها فانه لا يستبعد ان يأتي اليوم الذي يحكم فيه العلم بأن

هذه النظرية خرافة من الخرافات (٦٧) وذلك كما حدث لكثير من النظريات المشابهة في عصور مختلفة .

فنحن نرى أن العلم ما يزال في طفولته وما يزال كل يوم يصل إلى آفاق جديدة ، فيلغي الفناء تماما معلومات كان ينظر إليها بالامس على أنها حقائق نهائية لا تقبل الجدل ولا تحتل التأويل .

وليس العهد ببعيد حين قال (انشتين) (٦٨) ان قوانين نيوتن في الجاذبية لا تصلح للتطبيق الا على سطح الكرة الارضية ، ولكنها لا تصلح للكون الكبير ، فهي حقائق محلية صغيرة لا حقائق مطلقة ، وهي قابلة للنقض والتبديل حين تطبق على الاتساع .

(٦٧) ذكر الاستاذ محمد قطب في كتابه (الانسان بين المادية والاسلام) ان الصحف اخيرا ذكرت ان عالين امريكيين قد كشفوا في احد الكهوف آثارا من مخلفات الانسان الاول وان هذا الكشف سيؤدي الى نتائج مخالفة لنظرية داروين .

(٦٨) هو ألبرت انشتاين من اصل يهودي ولد في (اولم) ورتمبرغ من أعمال النمسا ، وتلقى دراسته في جامعتي زوريخ ومونيخ ، وبعد تخرجه التحق بوظيفة في مكتب براءات الاختراع في مدينة (برن) بسويسرا ، تولى (انشتاين) منصب الاستاذية في جامعة زوريخ ثم في جامعة برلين ، ظهر الذكاء مبكرا على (انشتاين) كان انشتاين (كما قلنا) من اصل يهودي ، ولكن (بحكم وجوده في بلد مسيحي) فقد تلقى في المدرسة اصول الدين المسيحي ، وقد قاطع (انشتاين) هذه المدرسة ولم يعد إليها نهائيا ، وسبب ذلك انه بينما كان في الصف مع الطلاب (داخل المدرسة المسيحية) اذا بالعلم يقف أثناء الدرس ، وبين انامله مسمار غليظ ولم يلبث أن اندفع يروى للطلاب (في تأثر) كيف استشهد المسيح وصلب على أيدي اعدائه من اليهود وكيف غرروا في يديه ورجليه المسامر التي من طراز ذلك المسامر ، وهي القصة التي يزعمها المسيحيون وينفيها القرآن الكريم (وما صليبه ولكن شبه لهم) ولما كان الطلاب يعرفون أن (انشتاين) يهوديا فقد التفتوا اليه جميعا وحدجوه بميوتن تم عن الحقد والكراهية ، وكأنه هو بنفسه قد صلب المسيح ، ولم يكن من انشتاين في تلك اللحظة الا أن غادر المدرسة الى الأبد ، وكان هذا قبل ان يبلغ الخامسة عشر من عمره ، ثم أكب (انشتاين) على كتب كل من افلاطون وكوبرنيكوس ونيوتن وسبينوزا وديكارت ، حتى اتهمها كلها ووعاها بذهن متوقد واع قبل ان يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وقد طار صيته (لا في ألمانيا وحدها) بل في العالم اجمع ، ففي عام ١٩١٥ اصدر رسالة ضمنها نظريته في الجاذبية ، فطار صيته في انحاء العالم ، وكان (انشتاين) من أنصار مذهب (اسحاق نيوتن) مكتشف الجاذبية المشهور في أوروبا ، وقد انغرد انشتاين بأبحاث طريفة في نظرية الكم ، في النشاط الذري ، وقد نال جائزة « نوبل » في الفيزياء عام ١٩٢١ وسام (كوبلي) عام ١٩٢٥ كما أنه برع في علم البصريات ، وهو صاحب النظرية المعروفة في النسبية ، نزع انشتاين عن ألمانيا عندما اشتدت وطأة النازية على اليهود فغادرها عام ١٩٣٣ الى اكسفورد بعد أن تخلى عن كرسي الاستاذية في جامعة برلين ، وبعد ذلك رحل الى اقطار العالم ، وعين اخيرا استاذًا في جامعة (برنستون) بعد أن استقر في الولايات المتحدة الامريكية ، وفي عام ١٩٥٠ أعلن نظريته في الكهروايسية والجاذبية في معادلة واحدة ويقول الكثير ان انشتاين يعتبر اعظم رياضي اتجه العالم منذ كوبرنيكوس ، ولد (انشتاين) عام ١٨٧٩ ومات عام ١٩٥٥ .

واليوم تكشف اسرار الذرة فتنشأ حولها نظريات كثيرة في تفسير الكون والحياة كانت مجهولة من قبل ويبدو بجانبها بعض ما كان يسمى (نظريات علمية) اقرب الى الخرافات والاساطير (٦٩) .

قصة خلق آدم كما تراها النظرية

اما العامل الثاني (وهو الاله) فهو ان من مستلزمات الايمان (بنظرية داروين) القول بان الانسان الاول (وهو ابونا آدم) كان ناقصا في تكوينه العقلي والجسمي ، لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

ذلك ان هذه النظرية تقول .. ان تكوين الانسان بدا بجرثومة صغيرة وجدت في البيئة المائية ثم تدرجت على مر آلاف السنين الى حياة نباتية حول المستنقعات التي نبتت فيها هذه الحياة والتي تدرجت ارتقاء الى حياة حيوانية بدائية فأكبر (ريشية ومجنحة) فحيوانات ذات فقرات فحيوان قريب من الانسان فانسان اول (لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم) ترقى هذا الانسان على مر الدهور حتى وصل الى درجة الانسان الحاضر الذي هو (في نظرية داروين نهاية سلسلة تلك التطورات) ..

والقول بان ابانا آدم (الذي هو الانسان الاول) لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم يترتب عليه نفي كل ما جاء في القرآن عن قصة آدم وحواء والجنة والملائكة والبلis ، ويجعل هذه القصة الصريحة الواضحة في القرآن خرافة من الخرافات .

لانه لا يصح (في قضية العقل) ان يكون محور تلك القصة الخطيرة انسانا لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

فالقرآن الكريم قد نص على ان الله تعالى قد جعل من هذا الانسان الاول ابينا آدم خليفة في الارض واصطفاه نبيا اوحى اليه بالامر والنهي ، واسكنه وزوجه الجنة ، ونص على ان هذا الانسان كان ارقى من الملائكة فهما وعلما ، فقال تعالى (في حق هذا الانسان الاول) :

« اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين » « قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض » « وقلنا يا آدم

اسكن انت وزوجك الجنة وكللا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم « (٧٠) .

موضع التعارض

هذه هي قصة آدم وحواء والملائكة والجنة وابليس في القرآن ، التي لا تدع مجالا للشك في القول بأن من مستلزمات الايمان بها التسليم بأن قطب هذه القصة (الانسان الاول آدم) كان على غاية من كمال الجسم والعقل والفهم والادراك ، اذ مما يرفضه العقل أن يكون من لا يدرك ولا يعقل ولا يتكلم خليفة الله في ارضه يوحي اليه بالامر والنهي ، ويختصه بالعلم والمعرفة .

وتلك هي قصة آدم في نظرية التطور والارتقاء التي تقول ان ابانا آدم (الانسان الاول) كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

وبالمقارنة بين القصتين يتضح التعارض (جليا) بين القرآن وبين نظرية داروين .

ومن هنا صار محتما على كل مسلم رفض ما جاء في نظرية داروين بشأن قصة تكوين الانسان ، لان اقل ما في هذه النظرية من خطر على دين المؤمن بها هو أن الايمان بها فيه تكذيب صريح للقرآن ، نقطة هذا التكذيب الرئيسية ، هي قول نظرية داروين أن الانسان الاول (آدم) كان اشبه بالحيوان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، وهذا القول (كما قلنا) يلغي قصة آدم وحواء والجنة التي جاءت صريحة في القرآن الفاء تامة . وفي هذا ما يكفي للقطع بأن الايمان بنظرية داروين يتناقض تماما مع الاسلام .

فقال الشيوعي (محاولا دس السم في الدسم) انه ليس من الانصاف انكار الحقائق التي تقررهما العلم (كقصة الانسان في نظرية داروين) بحجة انها تتناقض مع نصوص القرآن ، وماذا يضير العلم اذا كان كتابكم يضيق بالحقائق التي اكتشفها هذا العلم ، ثم اردف قائلا :

فالحقائق هي الحقائق لا بد من الاعتراف بها سواء جاءت موافقة لنصوص كتابكم او مخالفة له ، وما جاء عن تكوين الانسان في نظرية داروين هو من هذه الحقائق .

فقلت له ... لقد اخطاك التوفيق ، فمن الذي قال لك ان نظريته داروين هي من الحقائق التي اثرها العلم حتى تهذي هذا الهذيان ؟؟

اهو داروين الذي فارق هذه الدنيا وهو يكرر القول بأن نظريته لم تصل بعد الى درجة الحقائق التي لا تقبل الجدل ، ام انصار هذه النظرية من بعده الذين اجمعوا على ان نظرية التطور والارتقاء لا يمكن وصفها بأنها من الحقائق التي يقرها العلم ؟؟

ان نظرية داروين يا هذا .. لا تزال حتى هذه اللحظة (باعتراف اساطين العلم في العالم) ظنا من الظنون وفرضا من الفروض ، فاساسها الحدس وحيطانها التخمين ، ومن السفه والغباء ان نسلّم نحن المسلمين بالفاء قصة آدم وحواء والجنة المذكورة في القرآن ، الكتاب الخالد الذي حديثه اصدق حديث في الوجود والذي لم نجرب عليه (منذ انزله الله) حادثة واحدة تتناقض مع العقل او الواقع ، نعم من السفه بل ومن الكفر ان نسلّم بالفاء ما اثبتته هذا الكتاب الخالد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مقابل الايمان بمزاعم نظرية قامت على اساس من الظن والوهم والتخيل ، يصّرح اقطابها انفسهم بأن قواعدها قابلة للتغيير والتبديل والتعديل لعدم ثبوتها قطعيا .

محاولة التوفيق بين النظرية والقرآن

نقال شاب ، تظهر عليه سيماء الذكاء وسعة الاطلاع مع ثقافة اسلامية عالية .

الا يمكن التوفيق بين قصة تكوين الانسان الصريحة في القرآن وقصة الجنة وادم وحواء وابليس ، وبين نظرية داروين (على فرض صحتها) او بعبارة ادق ازالة التعارض بينهما فيما يختص بادوار التطور والارتقاء التي سبقت تكوين الانسان الكامل .. الا يمكن ازالة هذا التعارض بالقول ان كل ادوار التطور والارتقاء هذه التي اشار اليها داروين والتي انتهت بتكوين الانسان الكامل انما كانت قبل اينا ادم عليه السلام ، وان ادم هو الانسان الكامل الاول ، لا الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يتكلم ولا يدرك .

وان هذا الانسان الناقص التكوين انما جاء ضمن ادوار التطور التي افترض داروين وجودها والتي ابتدأت من الماء والطين وانتهت بأن خلق الله بعدها ادم بنفخه فيه من روحه فاستوى انسانا كاملا ، وان ادم هذا (اذا صحه نظرية داروين) هو آخر سلسلة تلك التطورات التي (ان صحت وقائعا) لا شك انها قد حدثت بقدره الله ولحكمة ارادها ؟؟؟

هل خلق الله أناسا قبل آدم ؟

ثم اردف قائلا .. وذلك باعتبار انه من الجائز (عقلا وشرعا) أن يكون الله تعالى قد خلق (قبل ايننا آدم) انواعا من الانسان كانت أقل في التكوين من ايننا آدم تدرجت في التكوين (ارتقاء بقدرة الله تعالى) حتى كانت نهاية ذلك الارتقاء والتطور ابانا آدم الذي نفخ الله فيه من روحه ؟؟.

ثم عقب على ذلك بقوله :

إذا ما ثبتت نظرية داروين (علميا) ، فأنني أرجح القول الذي اشترت اليه آنفا ، لاسيما وأن بعض الاسلاميين قد قالوا بأن هناك انواعا من الانسان كانت موجودة قبل ايننا آدم عليه السلام (٧١) .

ثم اردف حديثه قائلا :

أن نظرية داروين (بالنسبة لمراحل تكوين الانسان) يمكن بل يجب حملها على هذا الحمل (إذا ما صحت) لاسيما وأن داروين (نفسه) لم يقل صراحة أن الانسان الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو (قطعا) ابونا آدم بالذات ، كما أن داروين أيضا لم ينف (قط) أن مصدر الانسان هو الطين ، بل لقد جاء في وقائع نظريته ما يشير صراحة الى أن مصدر الانسان الاول كان الطين .

فقد صرح داروين بأن الحياة (حياة كل الكائنات من حيوان وانسان ونبات) وجدت في البيئة المائية بطريقة ما ، لا يعرف أحد من البشر (حتى الآن كيف وجدت) وأن مصدر الانسان الارض التي انبت الله حياته فيها حول المستنقعات ، وقد جاء هذا القول صريحا عن داروين في آخر كتابه (أصل الانواع) .

ثم قال الشاب الذكي :

(٧١) جاء في تفسير الامام الفخر الرازي (سورة الانسان) ج ١٩ ص ١٧٢ أنه قد نقل في كتب الشيعة عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال .. لقد انقضى قبل آدم (الذي هو ابونا) ألف ألف آدم أو أكثر ، ولم يعترض الامام الرازي* (وهو العالم الطيبي الطيب المتضلع المشهور) على هذا النقل ، بل عقب على هذا النقل بما يشعر استنفاذه له وجواز حدوثه بقوله .. واقول .. هذا (أي وجود انواع من الانسان قبل ايننا آدم) لا يقدح في حدوث العالم ، بل الامر كيف كان . فلا بد من الانتهاء الى انسان اول ، هو اول الناس ، وأما أن ذلك الانسان (الاول) هو ابونا آدم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع ، وبقول الامام الرازي هذا يستأنس (إذا ما صحت نظرية التطور علميا) بأن الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو (قطعا) ليس ايننا آدم عليه السلام . وأنما هو من انواع الانسان التي خلقت قبل ايننا آدم كما ذكر عن الامام الباقر عليه السلام .

وعلى هذا فان نظرية داروين هذه لا يمكن (على ما اعتقد) وصف القائل بها انه قد كذب القرآن بما دام انه يعتقد ان كل ادوار التطور والارتقاء التي ذكر داروين قد تمت بقدرة الله وارادته .

بل اعتقد ان قول داروين ان العلم الطبيعي قد رجح لديه القول بان الماء كان مصدر حياة كل حي وان الحياة الاولى قد نبتت من الارض حول المستنقعات هو حجة علمية جديدة للمؤمنين على الملحدين .

ذلك ان القرآن الكريم قد أعلن منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا بان الماء هو مصدر كل الحياة ، وان الله تعالى قد أنبت الانسان من الارض .

فقد قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي (٧٢) » وقال تعالى : « وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » (٧٣) وقال تعالى : « وخلق كل دابة من ماء » (٧٤) . والانسان من جملة الدواب

فهذه نصوص صريحة تثبت (دونما أي جدال) ان الله قد جعل الماء مصدر كل كائن حي ، انسانا كان هذا الحي أم حيوانا أم نباتا .

وهكذا فان داروين (اذا ما صح يقينا انه قال ان الحياة الاولى وجدت في البيئة المائية اول ما وجدت) يكون قد أرسى إحدى القواعد الصحيحة لنظريته .

قال تعالى - « والله أنبتكم من الارض نباتا » (٧٥) ، وقال تعالى - « فاستفتحهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا، انا خلقناهم من طين لازب » - (٧٦) وقال جل وعلا « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون » (٧٧)

ثم عقّب الشاب الذكي على هذه الآيات الكريمة بقوله :

وهذه ايضا نصوص صريحة تثبت ان الله تعالى قد أنبت الانسان من الارض ، وان مصدر أصل هذا الانسان كان الطين اللزب ، والطين اللزب هو الرطب اللزج ، والطين لا يكون لزجا الا اذا كان ممزوجا بماء ، كما تثبت ايضا ان الله قد أوجد الانسان من صلصال من حمأ، والحمأ، هو الشيء المتين الذي لا يكون (غالبا) الا من امتزاج الماء بالطين لمدة طويلة في المستنقعات .

(٧٢) الانبياء ٣٠

(٧٣) الفرقان ٥٤

(٧٤) النور ٤٥

(٧٥) نوح ١٧

(٧٦) الصافات ١١

(٧٧) الحجر ٢٦

ثم أردف قائلا :

وهكذا فان داروين « اذا ما صَحَّ يقينا انه قال ، ان الحياة الاولى قد وجدت في البيئة المائية وان الانسان كان مصدره الارض التي كانت حول المستنقعات » فانه يكون قد ارسى احدى القواعد الصحيحة لنظريته ، وانه في الامكان القول (على الاقل) بأن القول بنظرية داروين ليس فيه ما يتنافى مع نصوص القرآن الصريحة في خلق الانسان ومصدر تكوينه ، اذا ما اعتقد القائل ان كل شيء قد تمَّ بقدرة الله وارادته . وان جميع ادوار التطور والارتقاء (قبل خلق الانسان الكامل) قد جاءت قبل خلق اينا آدم ، الذي لا نشك لحظة في انه الانسان الاول الكامل . وذلك لتصریح القرآن الكريم بذلك تصریحا لا يحتمل اي تأويل آخر .

وبهذا تكون قد فسحنا المجال لمن تركز في ذهنه من الشباب المنتسب الى الاسلام ترجيح القول بنظرية التطور والارتقاء ، ان يقول بها دون ان يؤثر ذلك على عقيدته في الله او كتابه او دينه .

وبعد ان انتهى هذا الشاب الذكي فعلا ، من بحثه العجيب هذا ، او (على الاصح) فلسفته الدقيقة ، قلت له :

يظهر لي انه يصعب عليك التخلي (كليا) عن تصديق نظرية التطور والارتقاء ، فأوغلت (كمسلم يحرص على سلامة دينه) في ميدان التقدير والافتراض والاحتمال .

فقال .. كلا .. انني بعد التحقيق الذي سمعته منك حول هذه النظرية تأكد لدي ان نظرية داروين هي مجرد دعوى ينقصها الدليل العلمي والحسي الذي بدونه لا يمكن رفع هذه النظرية الى مرتبة الحقائق الواقعة التي لا تقبل النقاش او اعادة النظر .

ولهذا فانا لست ممن يؤمنون بنظرية داروين (على انها حقيقة واقعة) فاقبل احوالها عندي انها محل شك عظيم ، ما دام ان انصارها انفسهم يصرون دائما ، بأنها انما قامت على الغرض والتقدير والاحتمال ، وان ارقى احوال هذه النظرية عندي انها (من حيث جوهرها) جائزة الوقوع .

ثم أردف قائلا :

ولكن قصدي مما اشرت اليه من فروض واحتمالات تجعلنا بمنأى عن انكار هذه النظرية ، اذا ما ثبتت علميا ، هو ان نبرهن للدين يهتمون بهذا الدين بالتجبر ومحاربة العلم والتقدم وضيق الذهنية ان هذه النظرية (اذا صُحَّت) لا تضيق بها الذهنية الاسلامية ، ولئلا نجعل لهؤلاء المحدثين اي متكا في هذه النظرية ينطلقون منه بشكوكهم الكفرية بين الشباب الساذج

في حقول الثقافة .

لأننا عندما نقول لهم .. نعم نحن نؤمن بنظرية التطور والارتقاء اذا كانت قد حدثت (فعلا) ، لانه ليس في وقائعها التطورية (من حيث الامكان) ما يتنافى مع قدرة الله تعالى أو يتعارض مع الاسلام ، فهذا الدين دائما هو دين العلم والواقع وليس فيه أي شيء من المتناقضات التي يرفضها العقل .

ثم أردف قائلا .. اننا اذا حملنا نظرية التطور والارتقاء على هذا المحمل الذي لا يوجد هناك (لا من الناحية العقلية ولا العلمية والدينية) ما يمنعنا من حملها عليه (اذا ما صُحّت) فانا نكون قد أفسحنا الطريق أمام الشباب المسلم المثقف الذي استساغ عقله القول بهذه النظرية ، ليقول بها دون أن يكون في موضع المكذب للقرآن والناكر لقصة آدم وحواء وابليس والجنة التي جاءت صريحة في هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

فقلت له .. حقا انه لخيال شاعر رحب الذي أوحى اليك بفرض مثل هذه الاحتمالات والتأويلات والتسلح في ميدان الجدل بمثل هذه التقديرات التي تقصد بها (ولا شك) الدفاع الصادق عن سعة ذهنية ديننا القويم والاخذ بناصر الشباب المثقف لئلا يقع في برائن الالحاد عن طريق الايمان بنظرية التطور والارتقاء على الصورة التي يلقنهم اياها سماسرة الكفر ودعاة الالحاد ومع تقديرى واحترامى لبحثك الواسع الدقيق المركز هذا ، فان جوهر هذا البحث الذي ذكرت لا يخرج بنا عن دائرة الفرض والاحتمال والتأويل .

فقال .. انني معك فيما تقول ، ولكن ماذا علينا اذا ما افترضنا وقدّرنا واولّنا بما يتفق ونصوص كتابنا العظيم ما دام ان هذا الافتراض والاحتمال والتأويل مقبول شرعا وعقلا، وما دام أن جوهر بحث نظرية التطور والارتقاء التي اقامت الدنيا واقعدتها ، نفسها لم تخرج (بعد) عن نطاق الفرض والحدس والتقدير ، ثم أردف قائلا :

والان فاني احب ان اسمع كلمتك الاخيرة فيما استمعت اليه مني الان .

فقلت له .. انك بهذا الاحتمال والتأويل والتقدير قد جرّدت (في براعة) نظرية التطور والارتقاء من اهم اجنحة الضلال الرئيسية وجعلتها في منزلة المسموعات من الاخبار والانباء التي تحتل الصحة والبطلان، والتي لا لوم على ما استساغها عقله فصدقها ولا تثريب على من لم يقتنع بها فانكرها ، او في مرتبة الاسرائيليات التي لا تصدّق ولا تكذب حتى تثبت صحتها ، والتي من الجائز أن تكون قد حدثت وان لا تكون قد حدثت واذا ما سلّم انصار نظرية التطور والارتقاء ودعاتها بما فصلته لنا سابقا ، وبه

أزلت التعارض بين قصة تكوين الإنسان في القرآن وبين قصته في وقاسم نظرية داروين فان عنصر تكذيب القرآن في نظرية التطور والارتقاء يتلاشى ويحل محله عنصر التقارب أو عدم التعارض على الأقل .

فقال .. سلّموا أو لم سلّموا ، فان نظرية التطور والارتقاء اذا ما أصبحت (في يوم من الايام) حقيقة واقعة فانها لا بد وان تكون (قطعا) قد تمت ادوار التطور فيها على النحو الذي ذكرنا ، لاننا واثقون ثقة لا يتطرق اليها ادنى شك من انه لا يمكن ان يتنافى حرف واحد في القرآن مع اية حقيقة كونية واحدة .

ثم انه من السفه ان يلقي الإنسان قصة آدم وحواء والملائكة والجنة وابليس التي جاءت صريحة في القرآن ، لمجرد افتراضات واحتمالات ، افترضها وقدّر لها دعاة نظرية ، اصحابها انفسهم غير واثقين من انها قد بلغت مرتبة الحقائق البديهية الثابتة .

كما انه ليس من الحصافة في شيء ، ولا من مصلحة الاسلام ان ننفي (باسمه) كل ما ذكره العلماء القائلون بهذه النظرية عن الوقائع التي ذكروا انها قد حدثت لانه من الجائز ان تكون قد حدثت فعلا .

وعلى هذا فانه لا بد (من الوجهة الاسلامية) ان يكون موقفنا من هذه النظرية هو ذلك الموقف المعتدل المعقول (شرعا وعقلا) والذي يتلخص في القول بأن الإنسان الكامل الاول (قطعا) هو ابونا آدم ، وانه اذا كانت هناك انواع من الإنسان كانت (كما يزعم داروين) ناقصة التكوين العضوي والعقلي وانها ابتدأت بانسان اول لا يعقل ولا يتكلم ولا يدرك ، فان هذه الانواع تكون (قطعا) قد خلقها الله ورقاها (طيلة تلك الادوار التي فصلها داروين في نظريته) قبل ان يخلق ابانا آدم ، لاسيما وان بعض المسلمين (كما قلنا) قد نقل عنهم بأن هناك اجيالا من بني الإنسان قد خلقها الله وافناها قبل اينسا آدم .

يضاف الى هذا (وهو الاهم) ان القول باحتمال وجود انواع من الإنسان قبل اينسا آدم ليس فيه ما يتنافى مع العقل او يتصادم مع اي نص في القرآن .

قلت له .. ولكن داروين لم يذكر في كتبه ان الإنسان الناقص التكوين كان قبل اينسا آدم ، ولم يذكر ان الإنسان الكامل الاول هو ابونا آدم ، حتى نحمل نظريته على الحمل الذي ذكرت .

داروين والإنسان الاول

فقال .. حقا ان داروين لم يذكر هذا لان وسائل علمه التي بنى عليها

نظرية التطور والارتقاء ليس في مقدورها ولا من اختصاصها ان تحقق له ما اذا كان ابونا آدم هو الانسان الكامل الاول ام لا .

لانه (كعالم طبيعي) انما يبحث فقط في نظريته عن أصل الانواع الحية وتطورها وتسلسلها ، وما كان يهمه اثناء بحوثه هذه (لا من قريب ولا من بعيد) تحقيق هذا أو عدم تحقيقه .

ثم قال .. واذا كان داروين لم يذكر ذلك ، فانه ايضا لم يصرح بأن الانسان الذي انتهت به التطورات من حيوان الى انسان اول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، هو ابونا آدم بالذات .

مناقشة الجناح الالحادي :

وعلى هذا فانه ليس هناك ما يمنع من حمل الامر على المحمل الذي ذكرنا ، لا سيما وأنه ليس في استطاعة الجناح الالحادي من انصار نظرية التطور والارتقاء ان يعارضوا (باسم هذه النظرية علميا) في امكان حدوث هذا الامر الذي ذكرنا .

واذا ما قال لنا هذا الجناح الالحادي انكم لا تستطيعون ان تثبتوا (علميا) أن الانسان الكامل الاول هو ابونا آدم ، وأن الانسان الغير كامل الذي تحدثت عنه نظرية التطور والارتقاء قد جاء قبل ابينا آدم ، فان ردنا عليهم سيكون بنفس المنطق الذي خاطبونا به ، وهو انهم (هم ايضا) لا يستطيعون ان يؤكدوا (علميا) بطلان قولنا هذا ، لان نظريتهم التي هي مجال الاخذ والرد لم يستطيعوا (حتى هذه اللحظة) ان يؤكدوا ثبوتها علميا .

وعلى هذا وما دام ان الامر لا يزال (في كل مجالاته) قيد الفرض والتقدير والاحتمال ، فانا سنبقى مع نصوص كتابنا الصريحة فيما يتعلق بقصة تكوين الانسان وقصة آدم وحواء والجنة والبليس .

موقفنا من النظرية

اما حكاية التطور والارتقاء (كما يحكيها داروين) فانه يجب ان نقف منها موقف التحفظ من الوجهة الدينية ، بحيث لا نتسرع في اصدار أي حكم عليها (باسم الدين) لا بنفي ولا اثبات ، لانه ليس من طبيعة رسالة الاسلام ان يفصل في مثل هذه النظريات الكونية التي لم يأت للتحدث بالتفصيل عنها .

واذا ما صحت هذه النظرية علميا ووصلت الى درجة الحقائق التي في مرتبة البديهيات وهذا ما استبعدناه - فانا نكون (بالتزام الراي الذي قلنا انه يجب علينا اتباعه حيال هذه النظرية من ناحية الاسلام) قد سلكنا الطريق

القوم ونأينا بديننا عن مواطن التشكيك والاثهام .

رأي آخر للتوفيق بين القرآن والنظرية

وهنا طلب شاب آخر الكلمة فقال :

ولماذا لا تقول (بدلا من هذا كله) انه اذا كانت نظرية داروين صحيحة فانه من المحتمل جدا ، ان تكون جميع انواع الانسان التي ذكر داروين انها كانت ناقصة التكوين قد انقرضت انقرضا كلياً ، وأن الله تعالى قد خلق الانسان الكامل خلقا جديدا مستقلا من الطين ابتداءً بأبينا آدم ، وبما أن هذا محتمل أن يكون الله تعالى قد فعله فاني أرجح (اذا ما صحّت نظرية داروين) أن يكون الامر قد حدث على هذا النحو .

وعلى هذا القول يمكن ازالة التعارض بين قصة تكوين الانسان وقصة آدم وحواء في القرآن وبين نظرية التطور والارتقاء (على فرض انها صحيحة) لا سيما وأن داروين لم يجزم في شيء من كتبه بأن نوع الانسان الناقص لم ينقرض انقرضا كلياً بدليل أنه لم يستطع العثور في بحوثه الجيولوجية وحفرياتة على الانسان الناقص الاخير الذي تطوّر عنه وتولد منه الانسان الكامل الاول (كما يزعم في نظريته الفرضية) .

فقال الشاب الذكي ..

ان هذا (أيضا) جائز أن يكون قد حدث لان الله قادر على كل شيء ، وعلى العموم ، وبما أن عمدة نظرية التطور والارتقاء (داروين) قد اعترف بأن مصدر الانسان (كل الانسان الطين والماء . واعترف بأن أصل الحياة قد نفخ بقدرة الخالق تعالى ، كما اثبتنا ذلك عنه) فاني لا ارى في القول بنظرية داروين (فيما يتعلق بقصة الانسان من جميع نواحيها) ما يتعارض صراحة مع شيء من نصوص القرآن ، سواء رجحنا القول بأن الانسان الناقص في التكوين المتروقي عن الحيوان ، قد انقرض انقرضا كلياً ، أم أن انواعا بقيت منه تترقى (بقدرة الخالق) حتى انتهت بخلق الانسان الكامل الاول (ابينا آدم) لان كلا من الامرين محتمل وقوعه بقدرة الله سبحانه وتعالى .

فقلت للشاب الذكي .. ولكن هناك من يحتج على بطلان نظرية التطور والارتقاء بأن القرآن لم يتحدث (بالتفصيل) عن هذه الادوار التي يقول داروين انها مرت بالانسان (من حيوان بسيط نبت في المستنقعات حتى انسان كامل) وهذا يعني أنه لا يمكن الا تكذيب هذه النظرية تكديبا قاطعا .

لان هذه الادوار لو كانت قد مرت بالانسان فعلا لفصلها لنا القرآن

عند تحدّثه الينا عن قصة تكوين الانسان . هكذا يقول البعض .

موقف القرآن من المكتشفات الحديثة

فقال . . ان نظرية داروين نظرية علمية فرضية تجريبية ، اساسها الفرض والتقدير لا القطع والتأكيد ، وكل نظرية هذا شأنها ، فهي قابلة للصحّة والبطلان ، من الناحية الكونية .

وعدم تحدّث القرآن الينا (بالتفصيل) عن هذه الاطوار التي ذكر داروين ، لا ينفي ان تكون هذه الاطوار قد مرّت بالانسان .

لان عدم تحدّث القرآن (بالتفصيل) عن حوادث كونية قيل انها حدثت لا يمكن اعتباره (في نظر الاسلام من الناحية الاصولية) دليلا على أن هذه الحوادث لم تحدث ، ولو سلك المسلمون (ازاء دينهم هذا المسلك) فقالوا . . ان ما لم يتحدّث عنه القرآن بالتفصيل ، مما يقوله الباحثون العصريون ، من الطبيعين والاطباء وغيرهم ، مما اكتشفوه من امور كونية في الانسان والحيوان والنبات والجماد ، كالدورة الدموية وكون اصل الانسان عند تكوينه حيوانا منويا وانه يتكوّن من الحديد والطين والملح والسكر والماء والدهن والتراب الى غير ذلك مما لم يكن يعرفه الناس قبلهم ولم يتحدّث عنه القرآن . . نعم لو ان المسلمين سلكوا ازاء دينهم هذا المسلك ، وقالوا هذا القول ، لاساءوا الى دينهم ابلغ اساءة ، لانهم بهذا القول ينتقرون الناس من الاسلام ويزهّدونهم فيه ، اذ يكذبون (باسمه) حقائق واقعة مشهودة لم يكذبها هو ولم يأت ذكرها (صراحة) في اي نص من نصوصه ، فيضعونه بذلك (ظلما) في مرتبة المحارب للعلم والعرفه والتقدم .

ليس هذا من طبيعة رسالة الاسلام

ذلك ان التحدّث (بالتفصيل) عن كل ما يقع من حوادث الخلق والتكوين والتطور ليس من طبيعة رسالة القرآن ، فالقرآن انما جاء (في الدرجة الاولى) لهداية الخلق ليعرفوا ربهم فيعبّدوه ، ثم لاصلاح دنياهم والاخذ بيدهم ليعملوا بما يضمن لهم سعادتهم في الدار الآخرة .

ولهذا ، فان القرآن عندما يتحدّث عن الامور الكونية انما يتحدّث عن الامور التي في مرتبة البداهة كنظام الشمس والقمر والحيوان والانسان والنبات وغير ذلك من حوادث الخلق والتكوين ووضع سننها الثابتة المشهودة المحيرة للعقول ، وذلك ليثير انتباه العقلاء ليتفكروا في هذا كله فيصلوا (عن طريق هذا التفكير ختما) الى الاعتراف بوجود خالق مدبّر لهذا الكون فيعبّدوه على بصيرة بعد ان يعرفوه عن علم وتفكر .

ومن هنا يتضح انه ليس من مهمة القرآن ولا من طبيعة رسالته ، ان يتحدث بالتفصيل عن كل جليلة ودقيقة مما حدث او يحدث من امور الخلق والتكوين وحوادث الابداء والافناء والتطور والانشاء والتنوع والتحول .

ليس ذلك من مصلحة الاسلام

ثم اردف قائلا ..

ولهذا فانه ليس من مصلحة الاسلام ان نزع به في هذا المعترك العلمي التجريبي الذي تصيب فيه نظريات وتخطيء أخرى ، فننفي (باسم هذا الدين) كل خبر من اخبار الخلق والتكوين القابلة للصحة والبطلان لم يأت تفصيله في القرآن ، لا سيما وان كثيرا من هذه الاخبار والمعلومات التي لم يأت ذكر لها في القرآن قد أصبحت لدى الجميع في درجة الحقائق البديهية التي لا تقبل الجدل .

وخير حل لمن يرفض مثل نظرية التطور والارتقاء (القابلة للصحة والبطلان) ان لا يكذبها باسم الدين ، وانما اذا اراد تكذيبها ان يفعل ذلك باسمه شخصا ، فان من حقه ان يفعل ذلك ، ولكن ليس من حقه ان يفعل ذلك باسم الاسلام .. (٧٨)

واذا ما بلغت نظرية داروين (التي هي محل شك عظيم حتى هذه اللحظة) درجة اليقين ، وهذا ما لا اعتقده فانا نكون قد تاينا بديننا عن مواطن الشك والاثهام .

نعم لو كان القرآن قد حدثنا ان وقائع نظرية داروين التطورية لم تحدث ، لانكرناها ولكذبناها باسم الاسلام ، ولكفرنا بها حتى ولو قال بها الناس اجمعون ، لاننا واثقون ان كتاب الله تعالى (الذي لا ياتيه الباطل من

(٧٨) قال الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه (الفلسفة القرآنية ص ١٨٢) والذين انكروا مذهب التطور ، يحق لهم ان ينكروه من عند انفسهم لانهم لم يطمئثوا الى براهينه ودعاواه ، ولكنهم لا يجوز لهم ان ينكروه استنادا الى القرآن الكريم ، لانهم لا يملكون ان يفسروا خلق السلالة الادمية من الطين على نحو واحد يمتعون ما عداه ، وكل ما يجوز لهم ان يوجبوا الايمان بان الله تعالى سعى الطين وبتة فيه روح الحياة ، فصنع منه السلالة التي نشأ منها آدم عليه السلام ، فاما ان يحتموا كيفية التسوية وكيفية النفخ وكيفية خلق السلالة والزمن الذي خلقت ، فهو ادعاء على القرآن لا يقبل منهم على وجه من وجوه النفي أو وجوه الاثبات ، ويجوز ان يكون مذهب التطور مدعيا ناقضا في تطبيقه على الحياة وعلى الكائنات المضيوية ، وخاصة في قول اتباعه بتحول الانواع ، ولكن لا يجوز ان تحسم الايات القرآنية في انكار النشوء والتطور ، فان انكاره اخطر من انكار القائلين بتكفير الفلكيين لانهم ذهبوا الى استدارة الارض ودورانها حول الشمس في الفضاء .

بين يديه ولا من خلفه) لا يقول الا حقا ولا يخبر بغير الواقع .

وهنا قال شاب آخر (في شيء من الاستنكار) :

كيف تقولون هذا .. ان ما قاله هذا الاخ (يعني الشاب الذكي) انما هو تحايل للانتصار لنظرية داروين التي على ما يظهر يصعب عليه تكذيبها ، ثم اردف قائلا :

ان التعارض بين هذه النظرية الضالّة ما يزال قائما ، اذ كيف يمكن التوفيق بين هذه النظرية التي تقول ان الانسان بدأ بدودة صغيرة او ميكروب ضئيل حول المستنقعات وانتهى بانسان كامل بعد ان تطوّر وتحوّل وارتقى من حيوان الى آخر عدة مرات وفي عصور مختلفة ، وبين تصريح القرآن بان الانسان خلق مباشرة من طين ، فغنى عن التكذيب للقرآن (اذن) لا يزال قائما في القول بنظرية داروين ، يضاف الى هذا كله ، ان داروين نفسه كافر ملحد ؟؟

وهنا التفت الى صاحبي الشاب الذكي (كالمتمسك) وقلت له ، هيا اجب ايها الذكي :

فقال (في هدوء واتزان) .. انني كما قلت لكم لست ممن يؤمنون بنظرية التطور والارتقاء ، وان هذا الذي قلته من احتمالات وتاويلات (ممكنة شرعا وعقلا) ، لا اقصد به الدفاع عن نظرية التطور والارتقاء ، وكيف ادافع عن نظرية ، انا مؤمن في قرارة نفسي بانها لا تزال فرضا من الفروض ، وانها (حتى عند قطبها داروين نفسه) لم تبلغ درجة الحقائق الثابتة .؟؟

ولكن الذي اقصده من كل ما قلته هو الدفاع الى ابعد الحدود عن سعة ذهنية الاسلام وانه لا يتعارض مع الحقائق قطعا ، اذا ما اتضحت . اما ما اشار اليه الاخ المعارض من ان عنصر التكذيب للقرآن لا يزال قائما في القول بنظرية داروين لتصریح القرآن ان الانسان خلق من طين مباشرة ، فالجواب عليه هو :

ان كل ما اشار اليه القرآن صراحة (في ناحية تكوين الانسان) هو ان الله تعالى قد خلق الانسان من طين ، أي ان مصدر تكوين الانسان هو الطين ، وهذا ما لم ينهه داروين في اي كتاب من كتبه ، وما لم ينهه الانسان لا يمكن ادانته بانه قد كذبه .

هل مرت اطوار بالانسان قبل اكمال خلقه ؟

اما التصريح في القرآن بان الله تعالى قد خلق الانسان من طين فانه

لا ينبغي ان تكون هناك اطوار قد مرت بهذا الانسان ، قبل ان يكون انسانا كاملا ، بل لقد اشار القرآن الكريم الى هذا بقوله : (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٧٩) و(هل) هتا بمعنى (قد) .

وهذا يعني صراحة ان الانسان قد مرت به (بعد ايجاد اصله) اطوار قبل ان يسويه الله انسانا كاملا . ثم اردف قائلا ، اما كيف مرت هذه الاطوار فهذا ما لم يتعرض له القرآن بالتفصيل ، وبالاتناد الى هذا النص القرآني الصريح ، فانه لقائل ان يقول انه لا يستبعد ان تكون الازمان التي مرت على الانسان وهو فيها ليس شيئا مذكورا هي الازمان التي مر بها مبتدئا بجرثومة صغيرة نبتت في المستنقعات ثم حيوان صغير نبت في الارض حول المستنقعات ثم ترقى بقدرة الله وارادته حتى وصل الى انسان كامل كما تقول نظرية داروين ، وماذا على دين القائل بهذا من خطر ما دام انه يعتقد ان كل ذلك قد تم بقدرة الله تعالى وتدبيره ؟؟

ليس الانسان يمر بمثل هذه الاطوار عند تكوينه حتى هذه اللحظة ، فان الانسان في الرحم اول ما يتكون يتكون من ميكروب ضعيف (حيوان منوي) لا يكاد يرى الا باكبر المجاهر ، ثم يتطور الى شكل علقلة ، ثم يتطور من شكل علقلة الى مضغة على شكل سمكة ، ثم يترقى من شكل سمكة الى شكل عصفور حتى يصل الى درجة انسان ؟

ثم ان القول بان الانسان الاول جاء نتيجة تسلسل انواع من الاحياء بعضها من بعض لا يتنافى مع الاعتقاد بوجود الخالق ، بل على العكس في انقول بان الله قد فعل ذلك ، وكما اشار داروين (اذا ما صحت نظريته) اكبر دليل على حكمة الخالق وعظم قدرته سبحانه وتعالى .

داروين لا ينبغي خلق الانسان من الطين

ثم اردف قائلا ..

واما قول الاخ المعترض ان القرآن قد صرح بان الله قد خلق الانسان من طين ، فالجواب عليه ، ان هذا التصريح لا يعني (بالتأكيد) ان الله قد خلق هذا الانسان من الطين خلقا مستقلا مباشرا ودون ان تمر به اطوار اخرى من الانتقال والتحول ، فهذا ما لم يرد به نص صريح في القرآن قط ، بل (كما قلنا) ورد في القرآن ما يدل على انها قد مرت بالانسان (قبل ان يكون انسانا كاملا) ازمان لا يعلم مداها الا الله :

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) .

فالايات (مثلا) التي تشير الى خلق الانسان من طين هي قوله تعالى :

اني خالق بشرا من طين (٨٠) (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين) (٨١) (وبدا خلق الانسان من طين) (٨٢) (اسجد لمن خلقت طينا) (٨٣) .

وقبل ان ينتهي الشاب الذكي من حديثه قاطعه الاخ المعترض قائلا :

نعم هذه هي الايات ، الا يلزم من نصوصها القول ان الانسان خلق خلقا مستقلا مباشرا من طين ؟؟

نقاش مهم حول خلق الانسان

فقال الشاب الذكي . . كلا ، ان هذا لا يلزم القول به ، لان مفهوم هذه الايات الكريمة لا يحتمه ولا يلزم القول به ، وانما الذي تحتمه هذه الايات هو القول بان مصدر الانسان هو الطين .

ولو لزم القول بانه يجب الاعتقاد بان الانسان خلقه الله من طين خلقا مستقلا مباشرا استنادا الى ظواهر هذه الايات ، للزم القول (استنادا الى آيات اخرى في مستواها) بانه يجب الاعتقاد بان الله قد خلق الانسان من الماء خلقا مستقلا مباشرا ، لان الله تعالى يقول (وهو الذي خلق من الماء بشرا) (٨٤) (والله خلق كل دابة من ماء) (٨٥) (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (٨٦) . فهذه الايات تدل على ان الله تعالى قد خلق الانسان من ماء ، كما تدل تلك على ان الله تعالى قد خلقه من طين .

ولو كان الامر كما يقول الاخ المعترض ، للزم القول ايضا بان الله تعالى قد خلق الانسان من علقه مباشرة ومن نطفة كذلك ، لانه تعالى يقول

(٨٠) سورة ص ٧١ .

(٨١) المؤمنون : ١٣

(٨٢) السجدة : ٧

(٨٣) الاسراء : ٦١

(٨٤) الفرقان : ٥٤

(٨٥) النور : ٤٥

(٨٦) الانبياء : ٣٠

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) (٨٧) (اَنَا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَطْفَةٍ) (٨٨)
(أَوَّلَ بَرٍّ الْإِنْسَانِ اَنَا خَلَقْتَاهُ مِنْ نَطْفَةٍ) (٨٩) فهذه الآيات أيضا تدل على
أن الله تعالى قد خلق الإنسان من علقه ومن نطفة (تماما) كما تدل تلك
الآيات الأخرى على أن الله تعالى قد خلق الإنسان من طين .

ثم قال الشاب الذكي .. فهل اذا قرأت هذه الآيات العشر - مرة
واحدة - .. هل ستجد في واحدة منها او أكثر دليلا خاصا يجعلها
(دون غيرها من الآيات) تدل بمفهومها على أن الله تعالى قد خلق الإنسان
خلقا مستقلا مباشرا من المادة التي جاء ذكرها فيها خاصة ؟؟ انه ليس في
مقدور أحد أن يزعم هذا ، لأن ظواهر هذه الآيات في مستوى واحد من
حيث الدلالة ولفت النظر .

فصح بهذا يقينا أن الدليل القاطع الذي لا يمكن صرفه عن ظاهره
في تلك الآيات التي احتج بها الأخ المعترض ، هو أن الله تعالى قد جعل
الطين مصدر الإنسان ، أما كون تلك الآيات تدل دلالة قاطعة على أن الله
تعالى قد خلق الإنسان من هذا الطين مباشرة (ودون أن يمر بأطوار
أخرى) فهذا ما لا يفرض القول به ظاهر تلك الآيات ، والذي يجعلنا نقول
هذا القول هو أن آيات أخرى (كما تقدم) يصرح ظاهرها بأن الله تعالى
قد خلق الإنسان من ماء وخلق من نطفة (٩٠) وخلق من تراب ، والتراب

(٨٧) العلق : ٢

(٨٨) الإنسان : ٢

(٨٩) يس : ٧٧

(٩٠) قال الاستاذ محمد فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف) ج ١ ص ٧٢٢ مادة
(إنسان) .. قال عندما استعرض الآيات التي تشير الى خلق الإنسان من طين .. فهذه
طائفة من الآيات الواردة في خلق الإنسان ولم نر فيها آية لا يمكن صرفها عن ظاهرها الا قوله
تعالى (خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) وكنا لا نستطيع إلا
الوقوف مع هذا النص الصريح لولا أننا رأينا في الكتاب الكريم أن الله سلك هذا المسلك
التعبيري مع الأفراد فقال تعالى : (اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا)
فهذا الأسلوب في وعظ الأفراد يسمح لنا بصرف الآية المتقدمة ، فان قوله جل وعلا ، والمخاطب
فرد (اكفرت بالذي خلقك من تراب) هو في مقام (خلق الإنسان من طين) في الآية المتقدمة وقوله
(ثم من نطفة) في مقام (ثم جعل نسله من ماء مهين) فان قيل انه تعالى أراد بالإنسان في
الآية المتقدمة آدم يدلل قوله (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) قلنا فما الذي أراد
بقوله (اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة) ؟ فان قيل أراد بذلك تذكيره بأن أصله
من تراب باعتبار انه من ولد آدم الذي خلق من تراب ، قلنا (اذن يسوغ للمتأول أن يقول في
قوله تعالى : (خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) انه تعالى أراد
بذلك تذكيره ببديئه الاقدم وهو الطين ، فانه لا شيء على الأرض الا والطين أصله وقوام تركيبه .

غير الطين ، (اذ) أن الطين لا يكون طينا الا عندما يختلط الماء بالتراب .
ثم اردف الشاب الذكي قائلا :

ثم ان الله تعالى ايضا قد اشار الى انه جل وعلا قد خلق الانسان من صلصال كالفخار ، فلو لزم ما قاله الأخ المعترض ، للزم ان يكون الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال خلقا مستقلا ومباشرا .

فقال الأخ المعترض . . ان خلق الانسان من صلصال كالفخار هو نهاية مراحل خلق آدم ، وذلك ان خلقه بدا بالتراب ثم الطين ثم بتحويل الطين الى صلصال كما يتحول الآن الى فخار ثم نفخ الروح فيه . .

فقال الشاب الذكي . . ان القرآن الكريم لم يرد فيه ما يؤيد هذا التفصيل ، وكل ما فيه انه اشار الى خلق الانسان من طين كما اشار تماما الى خلقه من صلصال والى خلقه من ماء والى خلقه من تراب ، وليس لاي انسان ان يفصل او يرتب ما لم يفصله او يرتبه القرآن الا نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يرد في شيء من الاحاديث الصحيحة المعتبرة ما يؤيد الترتيب الذي ذكره الأخ المعترض ، فصح بهذا يقينا ان كل ما تعنيه هذه الآيات مجتمعة ليس تفصيل كيف خلق الله الانسان ، وانما تعني (في الدرجة الاولى) لفت نظر الانسان الى المادة التي خلقه الله منها ليتعظ ويعتبر ، وكل ما يجب علينا ان نؤمن به ولا نحيد عنه هو ان نؤمن ايمانا جازما بأن الله تعالى قد خلق الانسان من هذه المواد جميعا الماء ، والتراب ، والطين ، والصلصال ، والحما المسنون ، اما كيف خلق الله الانسان (وبالتفصيل) من هذه الاشياء فلسنا ملزمين بل وليس في مقدورنا ان نقول به ، وبكفي ان نؤمن بأن الله قد خلق الانسان من هذه الاشياء كما اراد هو وكما جاء ذلك صريحا في القرآن وبالطريقة التي لا يعلمها احد ، سوى الله تعالى . . ثم اردف قائلا :

وعطفا على قول الاخ المعترض ان الصلصال (وهو ما له صلصلة من شدة اليبوسة) قد كان آخر مرحلة خلق آدم من التراب ، فان لقائل (ما دام الأمر افتراض واستنتاج وتقدير) أن يقول : وما يدريك أن يكون الصلصال قد كان اول مراحل التراب ، استنادا الى تحقيقات العلماء المختصين بعلم طبقات الارض القائلة ان الارض كانت كتلة ملتهبة من النار سائلة قبل ان يتكوّن فيها تراب او ماء ، ثم جمدت ، وصار كثير من اجزائها صلصالا كالفخار لشدة اليبوسة التي أعقبت تجمدها بعد ذلك الالتهاب الهائل الذي كانت فيه سائلة ، وان هذا الصلصال الذي جاء بعد الاحتراق هو المادة الاولى التي تكوّن منها التراب باعتبار أن هذا الصلصال هو اول مادة تكونت للأرض بعد ان اذهب الله عنها تلك الحرارة

وعلى هذا فانه لا يستبعد ان نقول ان الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال باعتبارها المادة الاولى التي اعقبت برودة الارض ، ثم من تراب باعتبار ان الله تعالى قد فتت الصلصال ثم حوله الى تراب ، ثم من طين باعتبار ان الله تعالى قد مزج الماء بالتراب حتى صار طينا ثم تركه حتى تفرغ وانتن كما قال تعالى : « من حمأ مسنون » ، ثم خلق منه الانسان بالطريقة التي لا يعلم حقيقتها غيره والتي لا يستبعد (عقلا ولا شرعا) ان تكون قد بداها الله بتكوين الانسان من ميكروب صغير اخرجه من الطين حول المستنقعات في البيئة المائية ، فالله على كل شيء قدير . . ثم اردف الشاب الذكي قائلا :

ولا شك ان الانسان الذي يرجح تكوين ايينا آدم على هذا الوجه لا يكون (ابدا) قد صادم القرآن في شيء من نصوصه ، بل يكون (على ما اعتقد) قد حقق بقوله هذا الايمان بكل ما صرح به القرآن حول خلق الانسان ، اذ ، انه بقوله هذا يكون قد آمن ايمانا جازما بان الله تعالى قد خلق الانسان من صلصال ومن تراب ومن ماء ومن طين ، وهذا ما صرح به القرآن في مواضع مختلفة ، ثم قال :

وانا وان كنت لا اجزم ولا يستطيع احد ان يجزم ان الله قد خلق الانسان على هذه الطريقة ، الا انني احببت ان ابرهن للاخ المعترض انه لا يجوز تحميل نصوص القرآن ما لا تحتل ، وانه ليس من الانصاف ولا من مصلحة الاسلام الحبر على الناس والتضييق عليهم لمعهم (باسم القرآن) من التسليم بما تستسيغه عقولهم مما رجح وقوعه (افتراضا) علم من العلوم الحديثة مما لا يتصادم صراحة مع نصوص القرآن الكريم او الحديث الثابت الصحيح .

كما احببت ان الفت نظر الاخ المعترض الى ان الامر ما دام في حدود الافتراض والتقدير والاستنتاج فان احدا ليس من حقه ان يزعم ان افتراضه وتقديره واستنتاجه احق واولى بالاتباع من افتراضه وتقديره واستنتاج غيره اللهم الا اذا كان النص الصريح في جانبه او خالفه غيره العقل والمنطق ، في استنتاجه او افتراضه وتقديره بان زعم المستحيل .

فقال شاب آخر : ولكن ، اليس مما يحط من قيمة الانسان ان يقال ان اصله حيوان ، الا يستتبع ذلك سقوط قدره ومنزله كأعلى كائن حي فضله الله على جميع الكائنات الحية ؟

فقال له الشاب الذكي : كلا ، فانه اذا ما صح انه (حسب نظرية داروين) قد ترقى الانسان من اصل حيوان (بقدرة الله وارادته) فان ذلك

لا يحط من قيمته ، وهل فيما يريده الله ويفعله ما يمكن اعتباره ماسا بكرامة الانسان ومنزلته ، فان كان اصل الانسان حيوانا ترقى حتى وصل الى درجة انسان فذلك انما تم بإرادة الله وتدبيره وليس لأحد كائنا من كان أن يعترض على الله فيما يفعل سبحانه وتعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (٩١) .

فالمهم في الموضوع هو أن مذهب داروين القائل بهذه النظرية لم يثبت حتى الآن ، أما إذا قام الدليل المحسوس على ما يزعمه داروين وهو أن الانسان قد تطور وترقى من الحيوان حتى صار انسانا ، فانه لا يبقى مجالا للقول بأن هذا يحط من قيمة الانسان ويسقط من قدره ، لأن الذي يقول هذا ، انما يعترض على الله الذي هو الفاعل الوحيد والمقدر المريد لكل ما حدث من المراحل التي تفرع بها الانسان من الحيوان ، وعلى هذا فانه (على ما اعتقد) لم يعد أي مجال للاعتراض في هذه الناحية .

وإذا أردنا أن نتوسع أكثر في إزالة الاشكال حيال هذا الامر ، فبوسعنا أن نقول أن الحيوان أشرف من التراب وقد كان الأخير بالاجماع مصدر الانسان الاول ، ولم نر أحدا قال أن ذلك يحط من قيمته أو يسقط من منزلته .

يضاف الى هذا أن داروين ليس أول من قال أن الانسان يرجع أصله الى الحيوان ، فقد قال بذلك قبله بعض علماء المسلمين (على ما اعتقد) ، ثم التفت الي قائلًا :

ليس كذلك !!

أئمة الاسلام ونظرية التطور والارتقاء

فقلت له .. أن بعضا من علماء الاسلام قد روي عنه أنه يقول بذلك .

فمثلا .. الامام الحسن البصري (وهو من كبار أئمة التابعين ، وقد ولد قبل أن يولد داروين بأكثر من ألف سنة) روى عنه الامام الفخر الرازي في تفسيره الشهير ج ٣٠ ص ٢٣٥ عند تفسير قوله تعالى « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » (٩٢) أنه قال :

خلق الله تعالى كل الاشياء - ما يرى وما لا يرى - من دواب البحر

(٩١) الانبياء : ٢٣

(٩٢) الانسان : ١

في الايام الستة التي خلق الله فيها السماوات والارض ، وآخر ما خلق الله آدم عليه السلام .

هل قال ابن خلدون ان اصل الانسان قرد ؟

كما ان العلامة (ابن خلدون) العالم الاجتماعي والمؤرخ المشهور ، المولود (قبل داروين) بأكثر من سبعة قرون قد قال بنظرية التطور والارتقاء فصرح في كتابه الشهير (المقدمة) بأن أصل الانسان حيوان ترقى في مدارج التكوين من الأدنى الى الأعلى حتى صار الى ما هو عليه من كمال ، فقد جاء في مقدمة ابن خلدون (ص ٩٦) قوله :

ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدا من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بدیعة من التدریج ، آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات ، مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما الا قوة اللمس فقط ، ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر أفق منها مستعد (بالاستعداد الغريب) لان يصير أول أفق الذي بعده ، ثم يقول ابن خلدون :

واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدریج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القردة (٩٣) الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل ، وكان ذلك أول أفق من الانسان بعده وهذه غاية شهودنا . انتهى كلام ابن خلدون (٩٤) .

(٩٣) هكذا ضبطه ساطع الحمري في كتابه (عن مقدمة ابن خلدون) عالم القردة ، بدلا من عالم (القردة) . قال الدكتور عمر فروخ في كتابه (عبقرية العرب في العلم والفلسفة) ص ٦٧ . مطلقا على هذا الضبط ومؤيدا له ، قال . . في النسخ المطبوعة من المقدمة نسي الشرق جاءت كلمة (عالم القردة) وهو بلا ريب خطأ مطبعي لا يتفق مع المعنى ولا مع بحث ابن خلدون ، على ان طبعة باريس تذكر بوضوح (عالم القردة) بتقديم الراء على الدال ، وأول من نبه الى ذلك ساطع الحمري في كتابه عن مقدمة ابن خلدون ا هـ .

(٩٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الكندي الاشيلي ، الفيلسوف المؤرخ والحجة والمرجع في علم الاجتماع والفلسفة التاريخية ، يرجع نسبه الى وائل بن حجر الحضرمي الكندي ، كان مقر عائلته اشيلية باسبانية ، أما هو فقد نشأ بتونس ، كان بعرا من بعور العلم والمعرفة ، وكان ذا فطنة خارقة ، وحل الى غرناطة باسبانية (ايام حكم المسلمين لها) كما رحل الى فاس وتلمسان ، وقد أعجب به حكام تلك الاقطار واكرموه ، واستند البعض منهم اليه وظائف مهمة الا انه (كعالم مرموق شهير) تعرض لوشايات ودسائس ، عاد على اثرها الى مملكة راسه تونس ، ثم رحل الى مصر ، فاحتفى به سلطانها الظاهر برفوق واكرمه ثم ولاه قضاء المالكية ، وكان ابن خلدون لا يتزى بزي القضاة ، بل ظل محتفظا بزي بلاده تونس ، كان ابن خلدون جميل الصورة صادق اللهجة على غاية من =

قول ابن مسكوية

كذلك (ابن مسكوية الفيلسوف المشهور) ذكر الاستاذ نديم الجسر في كتابه (قصة الايمان) انه قد قال بنظرية التطور والارتقاء قبل (داروين) بعدة قرون ، فقد نقل الاستاذ الجسر عنه قوله :

ان الموجودات مراتب وكلها سلسلة متصلة ، وكل نوع من الموجودات يبدأ بالبساطة ثم لا يزال يترقى ويتعقد حتى يبلغ افق النوع الذي يليه ، فالنبات في افق الجماد ، ثم يترقى حتى يبلغ أعلى درجة ، فاذا زاد عليها قبل صورة الحيوان ، وكذلك الحيوان يبدأ بسيطا ثم يترقى حتى يصل الى مرتبة قريبة من الانسان .

مذهب اخوان الصفا

كذلك جاء في رسائل (اخوان الصفا) وهم قوم ينتسبون الى الاسلام (اتخذوا الفلسفة مذهباً لهم) وكانوا قد ظهرت في اول العهد العباسي .. جاء في رسائلهم هذه (ج ٢ ص ١٥٤ - ١٥٥) ما يشعر القارئ بأن نظرية التطور والارتقاء معروفة بين المفكرين في عهود الحكم الاسلامي قبل أن يخلق (داروين ولامارك) بمئات السنين ، فقد جاء في رسائل اخوان الصفا هذه قولهم :

« فادون الحيوان وانقصه هو الذي ليس له الا حاسة واحدة ... وهكذا اكثر الديدان التي تكون في الطين وفي قعر البحار وفي أعماق الانهار ، فهذا النوع حيوان نباتي ، اذ يشارك الحيوان في الحركة ويشارك النبات في الحس فقط .. وان النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان ، والحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على الحيوانات التامة الخلقة

= الفصاحة ورجاحة العقل ، وكان عالي الهمة بأبى الضيم وكان ذا مقام رفيع في نفوس الملوك والحكام ، لما رحل الى الاندلس وعلم بمقدمه سلطانها خرج هذا السلطان بنفسه واركب معه خاصته لتلقي ابن خلدون اكراما له ، يعتبر ابن خلدون بين علماء عصره ، اول من وضع اصول علم الاجتماع التي تضمنتها مقدمته الشهيرة التي ترجمت الى عدة لغات ومنها الفرنسية ، وكانت هذه المقدمة العظيمة ، هي المجلد الاول من كتابه الشهير (العبر وديوان البتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) ويقع هذا الكتاب في سبعة مجلدات ضخمة ، وهذا الكتاب هو الكتاب الوحيد من بين أمهات التاريخ الذي عني بتاريخ البربر عناية خاصة مما جعله المرجع الوحيد لمن أراد أن يعرف تاريخ شعوب الشمال الافريقي من غير العرب ، كالبربر الذين كانوا (قبل الفتح الاسلامي) هم السكان الاصلين لشمال افريقيا .. توفي ابن خلدون رحمه الله (نجاة) في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ وقد كان ميلاده بتونس سنة ٧٣٢ هـ .. انظر الاعلام للزركلي ج ٤ ص ١٠٦

(التي) تتكون في زمان طويل لاسباب يطول شرحها ، وان حيوان الماء ، وجوده قبل حيوان البر بزمان ، والحيوانات كلها متقدمة الوجود على الانسان (٩٥) .

ثم يقول اخوان الصفا في رسائلهم (ج ٢ ص ١٥٧) :
« ومن الحيوان ما هو ادنى رتبة مما يلي النبات ، وهو كل حيوان ليس له الا حاسة اللمس فحسب .. وهذا النوع من الحيوانات اجسامه لخمينة ويدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدننه (٩٦) بالقوة الجاذبة ويحس اللمس وليس له حاسة اخرى ، وهو سريع التكون وسريع الهلاك والبلى . ا هـ .

اقوال الامام البخاري

كذلك جاء في كتاب (البدء والتاريخ) للعلامة البخاري (٩٧) المولود قبل

(٩٥) هذا القول موافق تماما لما رواه الفخر الرازي عن الحسن من ان آدم هو آخر ما خلق الله .

(٩٦) الذي يقرأ هذه العبارة الواردة في رسائل اخوان الصفا باسعاد ، يكاد يجزم بان لامارك (فيلسوف التطور والارتقاء الاول في اوروبا) وزعيم الجناح اللاحادي في هذه النظرية) عندما وصف البوليبي الذي زعم انه اول سلم الكائنات الحية واسهلها الذي تطورت عنه وترقت (بما في ذلك الانسان) انما كان ناقلا هذا الوصف عن رسائل اخوان الصفا ، فلامارك .. يصف البوليبي هذا بقوله .. بأنه كان حسي ليس له أعضاء خاصة للحس أو التنفس أو الدوران أو التكاثر ، ولا شيء فيه الا قناة بسيطة تستطيع ان تمتص غذاءها من خلال أي جزء من اجزاء اجسامها ، واخوان الصفا الذين سبقوا (لامارك) بكثير من ألف سنة يصفون هذا الحيوان بقولهم ان اجسامه لخمينة ويدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدننه فأيهما اخذ عن الآخر ؟؟

(٩٧) هو احمد بن سهل ، لو زيد البخاري ، قال في الاعلام .. احد الكبار الانداز من علماء الاسلام ، جمع بين الشريعة والفلسفة والادب والفنون .. ولد في إحدى قرى بلخ من ارض فارس ، وساح في الارض سياحة طويلة وعند عودته من سياحته ، علمت شهرته وعرضت عليه الوزارة في حكومة عصره في تخوم بلخ فأبأها ، ولكنه رضي الكتابة في الدولة فكان يعيش منها الى ان مات في بلخ ، وقد سبق البخاري هذا جميع علماء الاسلام (كافة) الى رسم خارطة الارض التي رسمها في كتابه (صورة الاقاليم الارضية) الذي لا يزال مخطوطا ، وقد ألف عدة مؤلفات في مختلف الفنون ، وقد ذكر منها ابن النديم (في الفهرست) « اقسام العلوم » و « شرائع الاديان » و « كتاب السياسة الكبير » و « كتاب السياسة الصغير » و « الاسماء والكنى واللقاب » و « اقسام علوم الفلسفة » و « ادب السلطان والريعية » و « كتاب القروء » و « اخلاق الامم » و « نظم القرآن » وكان يتشبع على مذهب الزيدية الذي كان منتشرا (في عصره) بخراسان ، وهو اقرب المذاهب الشيعية الى مذهب اهل السنة ، واختلف في نسبة كتاب (البدء والتاريخ) اليه ، قال الزركلي في الاعلام ... واهل التحقيق على انه لطيف بن طاهر المقدسي .. وقد قال الجنرال كلمان المستشرق -

(داروين) بمئات السنين ما يفيد بأن القول بالتطور والارتقاء وتحول الحيوان الى انسان كان معروفا كذلك بين علماء المسلمين منذ أول عهدهم ، فقد جاء في كتاب (البدء والتاريخ هذا ج ٨ ص ٧٥) ان العسمد يرى أن الحيوان قد تولد من الرطوبة وأنه كان يقشاه قشر مثل قشور السمك ولما اتت عليه السنون صارت الى الجفاف واليبس فانقشر عنها ذلك القشر وصارت حياتها زمانا يسيرا ، ثم يقول العلامة البلخي في كتابه المذكور :

فهذا جملة قولهم في ظهور الحيوانات ، وآدم حيوان ، فعند بعضهم .. أن آدم تولد من رطوبة الأرض كما يتولد سائر الهوام وكان جلده كجلد السمك ، وعند آخرين أنه (أي آدم) ظهر شيئا بعد شيء ثم تركب على مرور الأزمان وصار انسانا (٩٨) ١ هـ .

فقال الاخ المعترض .. أن ما ذكرته الآن لنا مما نسب الى هؤلاء العلماء المسلمين من القول بالتطور والتحول والارتقاء، انما هو قول ناقل او متفلسف او مجتهد ، وكل هذا لا حجة فيه ، حيث (كما هو معلوم في أصول الاسلام) لا حجة الا في قول الله تعالى أو سنة رسوله (ص) .

المؤلف لا يؤيد نظرية داروين

فقلت له .. اني لم اقصد بذكر آراء المسلمين هؤلاء (حول خلق ابينا آدم) التأييد لنظرية التطور والارتقاء ، أو أن ما جاء في اقوال العلماء هو القول الفصل في هذا الباب .

فاقوال هؤلاء العلماء هي تماما (كأقوال داروين) ينقصها الدليل العلمي والبرهان الحسي من الوجهة الطبيعية ، كما ينقصها الدليل الشرعي (اذا ما أراد أحد أن يخلق عليها الصيغة الدينية) ولكنني ذكرت هذه الأقوال (فقط) لالفت النظر الى أن هؤلاء العلماء والفلاسفة المسلمين

= الفرنسي ومدرس اللغات الشرقية بيلريز ، والذي نشر كتاب (البدء والتاريخ) المذكور باللغة العربية وترجمه الى اللغة الفرنسية . ان الكتاب هذا منسوب الى البلخي ، وهو من تأليف (مطهر بن طاهر القدسي) ولكن صاحب كتاب (كشف الظنون) و (خريدة المجانب) يؤكد ان كتاب (البدء والتاريخ) للبلخي ، وانا ارجح ان هذا الكتاب من تأليف البلخي ، لا القدسي بدليل ان المؤرخين الذين ترجموا للبلخي يؤكدون انه على المذهب الزيدي ، والذي يعم النظر في كتاب البدء والتاريخ تتضح له الميول الزيدية في فصول الكتاب ، وهذا مما يرجح ان الكتاب من تأليف البلخي . ولد البلخي سنة ٢٢٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٢ هـ .

(٩٨) وهذه هي نظرية (داروين) التي تقول ان الحياة نبتت بقدره الخالق حول المستنقعات ، وأن الانسان بدأ تكوينه بحيوان صغير ظهر على أرض هذه المستنقعات ، ثم تحول وتطور على مزور الأزمان حتى صار انسانا كاملا .

قد سبقوا (داروين ولامارك) بمئات السنين الى البحث في موضوع التطور والارتقاء ، والموضوع (في نظري) ليس اكثر من حكاية اقوال ونقل بحوث قابلة للأخذ والرد ، لانه ليس في شيء منها (سواء الذي نقل عن الامام الحسن (٩٩) او ابن خلدون او ابن مسكوية او البلخي او اخوان الصفا) ما يمكن اعتباره حجة قاطعة لا من الناحية الدينية ولا من الناحية الواقعية المشهودة .

غير ان الذي يمكن استخلاصه من اقوال هؤلاء العلماء المسلمين (وخاصة الامام الحسن والعلامة ابن خلدون) هو انه ليس في القول بأن الله قد رقى الانسان وطوره من حيوان بسيط الى انسان كامل اي تكذيب للقرآن او اساس بعقيدة المسلم الذي يترجح لديه القول بهذا الرأي ، اذ لو كان الامر كذلك لما سكّت العلماء المسلمون على قول ابن خلدون الذي صرح به (في مقدمته) كما نقلناه عنه فيما مضى والذي أعلن فيه القول بنظرية التطور والارتقاء ، بل وذهب فيه الى القول بأن الانسان قد تحول (اثناء مراحل التطورية) من عالم القردة (١٠٠) الى عالم الانسان (كما

(٩٩) ترجمة الحسن البصري

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، سيد من سادات التابعين وامام من ائمتهم ، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ، كان مولى لزيد بن ثابت الانصاري ، وكانت امه مولاة ام سلمة زوج النبي (ص) وقد وضع من لبن ام سلمة (رض) ، لانه كان رضيعا عندما كانت امه في خدمة ام المؤمنين ام سلمة (رض) فكان اذا غابت امه في حاجة سيدها يبكي فترضعه ام المؤمنين (رض) ليست . قال ابو عمرو بن العلاء . ما رأيت افصح من الحسن البصري ، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومن كلامه المأثور . ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه الا الموت . لما تولى عمر بن هبيرة الفزاري العراق مع خراسان ، أيام يزيد بن عبد الملك ، استلم الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي (وذلك سنة ثلاث ومائة) ثم استشارهم قائلا . فما ترون . فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه (تقية) ، فقال ابن هبيرة : ما تقول يا حسن ؟ ، فقال يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، ان الله يمتك من يزيد ، وان يزيدا لا يمتك من الله ، يا ابن هبيرة انما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركب دين الله وعباد الله بسلطان الله ، فانه لا طاعة لخلق في معصية الخالق ، فجازهم ابن هبيرة وأضعف جازة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين . سففنا له فسفف لنا (يعني ابن هبيرة) ، كان مولد الحسن لسنتين بقليل من خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفي بالبصرة سنة ١١٦ هـ . (١٠٠) اذا صح ان ابن خلدون قد قال ان الانسان قد تحدر من عالم القردة فان قوله هذا لا يمكن الاخذ به أبدا لانه قول يفتقر الى الدليل ، وهو (كقول بعض انصار التطور والارتقاء) ليس له من دليل مقنع سوى الحس والتخمين والافتراض ، والا فباية وسيلة من وسائل العلم الطبيعي او الدليل الديني يستطيع العلامة ابن خلدون ان يثبت ان القرد هو اصل الانسان ؟ لا شك ان ابن خلدون (اذا صح انه قال هذا القول) قد تركز في ذهنه (ككلام اجتماعي) منذ بحث تطور الكائنات الحية ان القرد هو ارقى الحيوانات ذكاء وفهما وادراكا ، =

ضبط ذلك عنه ساطع الحصري من النسخة الأصلية لمقدمته الموجودة في باريس (لا سيما وأن ابن خلدون عالم اسلامي كبير وله مكتبته شهرة عالمية، وخاصة مقدمته التي ترجمت الى عدة لغات اجنبية .

ولو كان في القول (ايضا) بأن اصل الانسان يرجع الى الحيوان أي تكذيب للقرآن أو مساس بعقيدة المسلم لما نقل الفخر الرازي (وهو الامام العالم البحاثة الفقيه المفسر الفيلسوف) هذا القول عن كبير ائمة التابعين (الامام الحسن البصري) دون أن يبدي اية مناقشة أو اعتراض .

فالذي نريد الوصول اليه من هذا الاستشهاد كله ، ليس مساندتنا لنظرية التطور والارتقاء التي بها يقول (داروين) فموقفنا من هذه النظرية قد أوضحناه مرارا فيما مضى من مناقشة ، وانما الذي نريد الوصول اليه واعلانه ، هو أن تؤكد للمؤمنين الذين يخشون على عقائد المسلمين (١٠١) من الخوض في نظرية التطور والارتقاء ، هو أنه لا خطر على دين من استساغ عقله القول بهذه النظرية ، لدليل ترجح لديه فسلم به ، ما دام أنه يؤمن بأن كل ما ذكره داروين من ادوار التطور والارتقاء قد تم بقدرة الله تعالى .

وسندنا في ذلك هو ، أنه ليس في نصوص القرآن أو السنة النبوية الثابتة ما ينفي قواعد هذه النظرية أو يشبتها ، وهذا (في نظرنا) كاف لوجوب عدم الزج بالاسلام عند الاخذ والرد حيال هذه النظرية بحيث لا نصدر (نحن المسلمين) حكما في حقها باسم الاسلام (لا بنفي ولا باثبات) بل نترك الامر (من ناحية الاسلام) على سبيل الجواز ، باعتبار أن ما جاء في وقائع

= وانه لذلك لا بد وأن يكون الانسان قد تطور منه بموجب النظام التطوري الذي جاء في مقدمته . نفس الفرض والاحتمال الذي لجأ اليه بعض انصار التطور والارتقاء اليوم ، عندما ارادوا ربط الانسان بالسلسلة الحيوانية التي يقولون انها (كما في مزاعم لامارك) ابتدأت بحيوان البوليبي البسيط وانتهت بالانسان .

(١٠١) جاء في دائرة المعارف لـ محمد فريد وجدي ج ١ ص ٧٢٤ في مادة (انسان) ولسنا نجزم بصحة مذهب (داروين) ولكننا نهدي من روع الذين يخشون من تحقق هذا الملعب في يوم من الايام على الاسلام وما ورد في أمر آدم عليه السلام فنقول لهؤلاء ليهدأ روعكم فإن كل ما ورد في خلق آدم عليه السلام يمكن صرفه عن ظاهره على مقتضى أسلوب القرآن نفسه فإن قام الدليل المحسوس في يوم من الايام على صحة مذهب داروين فلا يتزعزع من العقائد الا ما كان جامدا منها ، أما الذين هداهم الله بنور العلم وبث فيهم روح الاسلام بمعناه الحق فلا يخشون على عقائدهم من شيء ، ثم قال .. الخلاصة ان على علماء المسلمين ومرشديهم ان لا ينقطعوا عن مجموع الامة ، بل عليهم ان يشاركوا المصريين في ابحاثهم وأن لا يجعلوا نصيبهم من المناقشة مجرد التكديبات والاستشكالات الخالية من القيمة العلمية فيغلب عليهم خصومهم فيسقطون وينقض الدين معهم معاذ الله ..

نظرية (داروين) جائز ان يكون قد حدث وان لا يكون قد حدث (١٠٢) .

كيف نحمي عقائد الشباب من الانحراف

كما اننا نحب ان نبرهن للخائفين على عقائد المسلمين من النظر في مثل هذه النظرية ، ان حماية عقائد المسلمين هؤلاء لا تأتي عن طريق انطواء علماء الاسلام على انفسهم وانعزاليتهم الشديدة التي لا تسمح (بأي حال من الاحوال) بالنظر في مثل هذه النظرية والتعرف على أي شيء من قواعدها أو معرفة غاياتها ومقاصد واضعها ، وانما تأتي هذه الحماية عن طريق نظر علماء الاسلام في مثل هذه النظرية بتعمق وتفهم وامعان ، ليتمكنوا من حماية الجيل المثقف (الذي لم يعد بالامكان الحيولة بينه وبين النظر في مثل هذه النظرية) مما يمكن ان يتخذه دعاة الالحاد وسيلة للانحراف بالشباب المثقف الذي تكون قراءته (غالبا) لمثل هذه النظريات قراءة سطحية لا يستطيعون معها تجنب ما فيها من مزالق مقصودة يضعها في طريقهم سماسة الالحاد الذين يفسرون هذه النظرية وفق اهوائهم كما يفعل الشيوعيين عندما يتحدثون عن نظرية (داروين) .

فقال الاخ المعترض - في شيء من الحدة والاحتجاج - كيف نقول بان هذا جائز وكيف يستطيع المسلم ان يسلم ان النوع الانساني يرجع أصله الى القرود . . ان نظرية داروين تقول بذلك ، فهل يرضى مؤمن ان يسلم بان النوع الانساني (ومنه الانبياء والمرسلون) يتحدر من القردة ؟؟ ان هذا قول غاية في الفظاعة ولا يمكن التسليم به ابدا .

فقلت له :

هدىء من روعك ايها الاستاذ . . ان اهم نقطة في الموضوع (من الناحية الدينية) ليست في كيف نسلم او لا نسلم ، وكيف نرضى او لا نرضى ، وانما المهم هو كيف نتأكد بان الانسان حقا ، قد تحدر اصله من القردة .

(١٠٢) قال الامام البخاري في كتابه (البدء والتاريخ ، الجزء الثاني الفصل السابع) عند تعليقه على ما يزعمه الاقدمون من امثال القول بحركة الارض والكواكب الاخرى ، وكون الانسان تطور من حيوان ، قال البخاري . . وجملة القول ان كل ما روي في هذا الباب عن القدماء واصحاب النجوم مما لم يكن نقضا للتوحيد وابطالا للشريعة او جحدا للبيان فموقوف على سبيل الجواز والامكان . . اي انه لا ينبغي الجزم بحدوده او القطع بعدم حدوده ، ومن هذا الباب ما يزعمه داروين في نظريته ما دام ان ذلك ليس فيه مناقضة للتوحيد او ابطال للشريعة او مخالفة للعقل ، وما دام ان القائل بما يقوله داروين يعتقد ان كل ذلك قد تم بقدرة الله وارادته .

فالقول بأن النوع الأنساني يرجع أصله الى القردة لا يزال (في نظرنا ونظر كل منصف) وهما من الاوهام أساسه الحدس والتخمين ، حيث لم يستطع أحد (حتى هذه اللحظة) القول بأن تحدر النوع الانساني من القردة هو حقيقة واقعة يقرها العلم .

وحتى قطب نظرية التطور والارتقاء (داروين) مكذوب عليه القول بأن النوع الانساني يرجع أصله الى القردة حيث لم يصرح بشيء من هذا القبيل في كتبه .

فالمسئلة كما قلنا (اذن) لا يفصل فيها الرضى او عدم الرضى ، او التسليم او عدم التسليم .

فالتسليم والرضى او عدمهما امور لا قيمة لها (في نظر الدين والعقل والعلم على السواء) عندما يأتي دور وزن الاشياء بميزان الحقائق لنفيها او اثباتها ، فالرضى والتسليم او عدمهما غالبا ما يكون مصدرها العاطفة لا العقل . وما دام ان القول بأن النوع الانساني قد تحدر من القردة ، عندما نضعه في ميزان الحقائق لا يساوي شيئا ، فان الذي يلزمنا ان نقوله (من الوجهة الدينية والعقلية) ليس الاعلان باننا لا نسلم ولا نرضى بأن يكون أصلنا (نحن بني الانسان) قد تحدر من القردة ، وانما الاعلان باننا نقف من ذلك القول موقفنا من آية مزاعم ليس لها اي ظل من الحقيقة .

اما اذا قام الدليل المحسوس القاطع (وهذا بعيد جدا) على ان النوع الانساني قد تحدر أصله من القردة فانه لا مجال للانكار او الاستنكار ، لان ذلك اذا ما حدث ، فانما يكون قد حدث بقدره الله تعالى وارادته وحينئذ فانه ليس لاي انسان ان يقول انا لا اسلم ولا ارضى بأن يرجع أصلي الى القردة ، لانه اذا ما قال ذلك انما ينكر الحقائق الواقعة ويمترض على الخالق سبحانه وتعالى .

داروين لم يقل ان اصل الانسان قرد

فقال شاب آخر :

ولكن كيف انتشر بين الناس ان داروين يقول (في مذهبه) ان النوع الانساني قد تحدر من القردة ؟ .

فقلت له ليس في شيء من كتب داروين ما يثبت انه قرر ضمن نظريته ان الانسان يرجع أصله الى القردة .

فقال .. كيف اذن شاع عنه هذا القول ؟؟

فقلت له .. لانه جاءت عبارات في كتابه (اصل الانواع) حملها انصاره على هذا القول .

اما كل ما قاله داروين فيما يتعلق بصلة الانسان بالقرود فهو قوله في كتابه (اصل الانواع) انه يعتقد ان الانسان والقرود قد نشأ معا من صلب مشترك منقرض من آماذ ما قبل التاريخ ، وعلى هذا الرأي يكون القرود ليس جدهم وانما هو ابن عم لهم بعيد (١٠٣) .

اما الذين زعموا من المتأخرين بأن اصل الانسان يرجع الى القرود وأن القرود هو أبو الانسان الاول فهم غلاة الماديين الذين الصقوا هذا القول بمذهب داروين (لشهرته العلمية) واتخذوا من هذا المذهب وكلام داروين عن الاعضاء الاثرية (١٠٤) وسيلة لنفي الفاية والحكمة في الخلق ، فانكروا الخلق الدفمي المباشر ، وزعموا أن الانسان اصله من القرود ، واستدلوا بالشبه العظيم بين القرود والانسان ، في أكثر الاعضاء ، وبعض الطباع كالحيض ولكن هؤلاء القائلين بنشوء الانسان من القرود تحيروا في كيفية انتقال القرود من الحيوانية الى الانسانية نقلته الاخيرة .

فقال بعضهم انها حصلت فجأة ، وقال آخرون انها حصلت بالتدريج لان النقلة الفجائية بعيدة جدا لما بين القرود والانسان في العقل من الفرق العظيم ، وبحثوا عن الحلقة المفقودة (التي بواسطتها تحول القرود الى انسان بزعمهم) في طبقات الارض فلم يجدوا لها أثرا ، ولم يتمكنوا حتى اليوم من البت في تلك النقلة برأي قاطع او (حتى) راجح ، فظلت النشأة الاصلية « للانسان عندهم » موضع شك عظيم (١٠٥) .

وهكذا يتضح ان قصة تحول القرود الى انسان هي من ظنون الماديين وتخميناتهم وتخرصاتهم التي ليس لها ما يدعمها من الادلة العلمية او البراهين الحسية باعترافهم .

بل ان كثيرا من علماء الطبيعة البارزين في أوروبا نفوا (بناء على التجارب التي قاموا بها) ان يكون اصل الانسان قد تحدر من القرود .
ويكفي ان أحد خلفاء داروين في حزب نظرية التطور والارتقاء (هكسلي) قد خالف زملاءه الماديين فنفى ان يكون الانسان قد تحدر من القرود .

(١٠٣) مياقرة العلم من ١٨٠

(١٠٤) يمتون بالاعضاء الاثرية ما زعموا اكتشافه من وجود اعضاء زائدة كالعبيون غير المبصرة في بعض الحيوانات التي تقطن الكهوف او تقيم تحت الارض .

(١٠٥) قصة الايمان من ١٨٩ ط اولي .

قال الاستاذ فريد وجدي في كتابه (دائرة المعارف) . . ثم ان اقدم الحفريات التي درسها العلماء (هكسلي وجون ليوك ، وفونجت ، وشافوزن ، وجميع الطبيعيين تدل على ان الانسان القديم وان كان اقبح صورة من الانسان الحالي ، الا انه لا نسبة بينه وبين القردة في شيء ، كما اعترف بذلك العلامة الاختصاصي في درس الجماجم الانسانية (لاريت) ا هـ .

ومما يستدل به علماء الطبيعة الاوربيين المعارضين للنظرية القائلة ان الانسان ترقى عن القرد ، على بطلان هذه النظرية ، هو انهم وجدوا في السنوات الاخيرة في مفارات (انجيس) وتندرثال (باروبا بقايا انسانية ، تعتبر اقدم البقايا البشرية ، استدلو بفحص هذه البقايا على انها لا تدل على ادنى فرق بينها وبين الانسان الحالي ، مع ان فحصها دل على انه قد مضت عليها الوف مؤلفة من السنين .

تناقض انصار المذهب القردي

ثم قلت له . . وان مما يدل على تخبط الماديين في عشوى دعواهم هو مناقضة بعضهم لبعض .

فبينما نرى قطب النظرية (داروين) يزعم ان الانسان والقرد فرعان تحدرتا من اصل واحد ، نجد خليفته (هكسلي) ينفي نفيا قاطعا ان تكون هناك أية صلة بين الانسان والقرد ، في حين نرى العالم شلغر (المولود سنة ١٧٧٨ م يصرح بان الانسان والقرد كانا اخوين ، وان الانسان لم يترق عن القرد (كما يزعم اتباع داروين) وانما تردى هذا القرد من اوج الانسانية الى عالم الحيوانية .

وبينما يستقر الراي بين الماديين (القائلين بان الانسان انما ترقى عن القرد) على ان هذا القرد الذي هو « في نظرهم اصل النوع الانساني » هو القرد المعروف باسم (الشمبانزي) او (الاورنغ) اذا باخرين منهم (بعد اكتشاف الغوريلا) في افريقيا يتخلون عن الراي الاول فيزعمون ان الغوريلا هو الاصل الذي تحدر عنه الانسان .

التمييز العنصري بين القروء

وبينما هذا الخبط والتخليط والتناقض يحدث هكذا في محيط الداروينيين الماديين حول كيفية تحدر الانسان من القرد ، اذا باخرين منهم يخالفونهم ويزعمون (على طريقة التمييز العنصري) ان النوع الانساني تحدر من ثلاثة انواع من القردة ، لا نوع واحد .

فيدعون ان النوع الابيض الراقي (في نظرهم) قد تحدر انسانه
الاول من (الشمبانزي) وهو ارقى انواع القردة .

اما (الاورنج) وهو القرد الذي يلي (الشمبانزي) في المرتبة ، فيدعي
هؤلاء أنه أصل الاقوام ذوي الايدي الطويلة والشعر الضارب الى الحمرة
والجماجم البيضاء التي يساوي طولها عرضها .

اما الانسان الاسود فيدعي هؤلاء ان اصله يرجع الى القرد المعروف
باسم (الغوريلا) ، وهو احط انواع القردة (١٠٦) .

وهذا كله ان دل على شيء ، فانما يدل على ان هؤلاء الذين يزعمون
رجوع اصل الانسان الى القرد ليسوا على شيء (١٠٧) وانهم لا يزالون
(حتى هذه اللحظة) تأهين في بحار من الظنون والتخمينات ، وهذا وحده
يكفي للحكم بأن قولهم ان الانسان يرجع اصله الى قرد انما هو من الدعاوى
المهزوزة البنية على الوهم والتخيل ، وانهم (حتى هذه اللحظة) لم يجدوا
في كنف العلم اي دليل يسند مزاعمهم هذه .
وهذا يكفي للحكم على مزاعمهم بالبطلان .

التكذيب المرتجل ليس الطريق السوي للاقناع

فقال الاخ المعترض ..

وما دام الامر هكذا ، لماذا لم يرتض الاخ (يعني الشاب الذكي) قولنا
اننا لا نسلم ولا نرضى بأن يكون اصلنا قد تحدر من القردة ؟؟

فقلت له .. لان ذلك ليس هو الرد المنطقي الصحيح على تلك المزاعم ،
وخاصة في مثل هذا المحيط الذي تلبس فيها النظريات الصحيحة والباطلة
لباس العلم ، فاذا ما جابهنا مادي ملحد ليزعجنا أو يشككنا في مصادر

(١٠٦) انظر دائرة معارف القرن الرابع عشر ، العشرين ج ١ مادة (انسان)

(١٠٧) قال الاستاذ هـ . ج . ولز ، قال في كتابه (معالم تاريخ الانسانية ج ١ ص ٦٠)

قال معلقا على هذا الخلط والتناقض المجيب .. ولقد اعجب بعض علماء الانساب بنظرية
تسائل عما اذا كان البشر يعودون الى اصل ثنائي او ثلاثي ، فيه يكون الزنج منحدرين من
سلف يشبه الغوريلا بينما يتحدر الصينيون من اورنج يوتانج اولي ، على حين يجيء الجنس
الابيض من سلف يشبه الشمبانزي ، وهكذا وبناء على هذه النظرية اليراققة يكون الشمبانزي
هو الاخ الادنى للاورنجي ، وله الحق والافضية في ان يتفدى على مائدته وأن يصاهر خير
العائلات (النوردية) اكثر من الزنجي او الصيني اللذين هما ابعد صلة .. ثم يقول الاستاذ
(ولز) سافرا من هذا التمييز الخيالي السخيف .. تلك افكار عقيمة مستحيلة لا يجيزها
العقل السليم وما نذكرها هنا الا لتبذ .

ديننا بقوله ان نظرية داروين المعترف بها في عالم العلم والمعرفة اكدت ان اصل الانسان يرجع الى القرد ، وهذا يهدم دينكم من القواعد ، فان جوابنا عليه لا يكون بالانفعال، والتكذيب المرتجل العاري من الادلة المنطقية، والاكتفاء بالقول بأننا لا نرضى ولا نسلم بأن تكون أبناء لقرد ، وانما يكون الرد على هؤلاء الملحدین بما يقطع أملهم من النيل من ديننا والتشكيك في سعة ذهنيته ، وذلك بأن نقول :

كيف يكون الرد على الملحدین

انه ليس في ديننا ما يمنع (من ناحية الامكان) أن يكون الله قد حوّل القرد الى انسان ، فالله قادر على كل شيء ، وليس هو الذي (في اعتقادنا الجازم) قد أوجد العالم كله من العدم ؟؟ فالذي أوجد العالم من العدم لن يعجزه أن يحوّل قردا الى انسان ، وليس شيئا يصفع الملحدین ويقطع جھيزة كل خطيب فيهم في هذه الناحية مثل أن يجبههم المسلم بقوله .. نعم نحن لن نتردد لحظة في التسليم بأن القرد قد تحوّل الى انسان ، اذا ما قام الدليل المحسوس القاطع على ذلك ، ولكن انى لكم اقامة هذا الدليل وانتم حتى هذه اللحظة ، تخطون هذا الخطب وتضربون في متاهات فوضى هذه الآراء والمزاعم التي يناقض بعضها ويحكم بعضها على بعض بالفساد والبطلان ؟؟.

ثم ننازلهم (بعد ذلك) في الميدان بسلاح العلم والمنطق الذي يحاولون التغلب علينا بواسطته لاقتناعا بصدق مزاعمهم ، فنثبت لهم بطلان هذه المزاعم بالوسائل العلمية والمنطقية والعقلية التي لا تدع لهم مجالا يصولون فيه أو يجولون للتغريب بالبسطاء وجرّهم الى هاوية الالحاد عن طريق هذه الادعاءات الباطلة وأؤكد لكم أننا عندما نسلك هذا الطريق مع هؤلاء الماديين ، فلا نتسرع في الحكم (باسم الدين) على كل ما يدّعون من كشوفات كونية يلبسونها لباس العلم (مما لم يكن هدمًا للتوحيد) أو تكذيبًا للقرآن أو جحدا للعيان) فاننا نقطع الطريق على كل ملحد متصيد يحاول (عن طريق السفسة باسم العلم) تشكيك ضعاف المدارك من الاحداث الثقفين واشباههم في دينهم وعقيدتهم في خالقهم ، ونثبت لهؤلاء وغيرهم ممن يتلقفون (كالمسحور في تقديس واحترام) كل ما يلقي به اليهم علماء الغرب فيعضّون عليه بالتواجد باعتباره حقيقة واقعة لا تقبل الجدل دون أن يعرضوه على مختبر العقل والمنطق والعلم للتأكد من صحته أو عدمها .

نعم نثبت لهؤلاء المقلدين الاغبياء بأن كل ما يلقي به اليهم الغربيون أو الشرقيون من نظريات وآراء وبحوث ليس صحيحا على الإطلاق بل كله قابل للنفي والاثبات والصحة والبطلان ، وأن عليهم اذا كانوا رجالا يحترمون

انفسهم ويعتزون باستعلائهم الذهني (واعني المقلدين من ابناء هذا الشرق) ان لا يكونوا كالامعات يرددون كل ما يقال لهم دونما وعي او تفكير ، بل يأخذون كل ما يفيد اليهم فيزنونه (قبل التهامهم له) بميزان العلم والعقل والمنطق والدين الذي لا يتنافى مع العلم او العقل والمنطق ، وهذا هو الذي يجعلهم بمنجاة عن السقوط في مهاوي الانحلال والزندقة ، ويمكنهم من احتلال مقاعدهم اللائقة بهم بين الاحرار المفكرين ، لا العبيد المقلدين .

كيف يسيء المتزمتون الى الدين

كما اننا ايضا (بمثل الطريقة التي سلكتها) في مناقشة دعاة النظرية القائلة ان اصل الانسان يرجع الى القروء ، وتفنيد مزاعمهم على مسرح العقل والعلم والمنطق نبرهن للمتزمتين (الذين يتسرعون في الحكم بالتكذيب والانكار على ما لم تستفسر عقولهم) باسم الدين (مما يستجد من نظريات وآراء كونية تحتمل الصحة والبطلان) ، بأن هذا التسرع لا يخدم الدين بأي حال من الاحوال بل قد يسيء اليه ابلغ اساءة ، عندما ننكر باسمه حقائق علمية كونية هي وان كانت لدى هؤلاء المتزمتين غير معلومة لعدم توفر الوسائل الذهنية والعلمية التي يمكنهم بها ادراكها ، الا انها عند اصحابها المتخصصين في ميدانها في مرتبة الحقائق البديهية التي لا تقبل الجدل .

فهؤلاء عندما نصرخ في وجوههم باسم الدين ثم نحمل هذا الدين مسؤولية انكار هذه الحقائق التي لم ينكروها ولم يشبها ، انما نزهدهم في هذا الدين ونشككهم فيه حتى وان كانوا من المنتسبين اليه ، وهذا هو عين الاساءة الى الدين والتجني عليه .

القول الفصل في نظرية داروين

وبعد ان وصل البحث والنقاش الى هذا الحد ، طلب شاب آخر الكلمة وقال :

مما لا جدال فيه ان اخطر نقطة في نظرية داروين تستحق البقطة والحذر - من الناحية الدينية - هو ما تناوله (داروين) في نظريته بشأن اصل الانسان ومراحل تكوينه .

والان وقد سمعنا فيما مضى من نقاش حول هذا الموضوع من تفسيرات واحتمالات كان لها كلها اثر في نفوسنا ، مما جعلنا نعجز عن تكوين رأي حاسم نتمسك به في هذه الناحية ذات الصلة الحساسة بأصل ديننا ، فما هو الرأي الصائب الذي يمكننا الاخذ به من الآراء المتعارضة

التي سمعناها في هذا النقاش الطويل ٢٢.

قللت له .. ان دين الاسلام (اولا وقبل كل شيء) هو من الكمال والصلاح لكل زمان ومكان بحيث لا تضيق ذهنيته بأية حقيقة علمية ثابتة ، ولا يتعارض أي نص من نصوصه مع العقل أو تتناقض مع الواقع ، منذ ان اشرقت شمس على هذه الارض ، وهذا هو سر خلوده وانجذاب القلوب نحوه وركونها اليه وامتزاجها بحبه .

القرآن لم يأت لاحصاء الحقائق الكونية

ولعل من اروع قواعد هذا الدين هو ان ما لم يرد ذكره في نص من نصوصه من اخبار الخلق وانباء التكوين وامثالها (مما لم يكن نقضا للتوحيد او هدما للشريعة) ، لا يمكن الحكم عليه باسم هذا الدين بالنفي او الاثبات او الكفر والضلال ، لان ذلك الخبر او ذلك النبا قد يكون حقيقة واقعة وان لم يتعرض القرآن لذكره لان هذا الكتاب لم يأت لاحصاء الوقائع الكونية واعلانها على الملأ واحدة واحدة ، وانما اشار الى بعض هذه الوقائع الهامة (كخلق الانسان من طين وخلق الجن من النار ورفع السماء وبسط الارض) ليشير عناصر الفهم والتبصر في النفوس ليقود اصحابها التفكير الحر النزيه حتى يصلوا الى الله معترفين بوجوده خاضعين خاشعين لجلاله وعظمته قدرته ، (قل انظروا ماذا في السماوات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (١٠٨) (يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء) (١٠٩) . ثم قلت له :

حقيقة موقف الاسلام من نظرية داروين

اما بشأن نظرية داروين وما هو الرأي الصائب الذي يجب ان يقفه الانسان منها (من الناحية الدينية) فقد اوضحت لكم فيما مضى من مناقشة ، ان قواعد نظرية داروين (جوهرها لا استنتاج الملحدين منها وتفسيراتهم لها) لا تضيق بها ذهنية الاسلام ولا تتنافى مع وجود الله .

القول بتحدر الانسان من الحيوان لا ينافي الاسلام

فليس مما ينافي الاسلام او يهدم التوحيد القول بان الله تعالى قد

(١٠٨) يونس : ١٠١

(١٠٩) الحج : ٢

بدا خلق الانسان بجرثومة صغيرة انبتتها حول المستنقعات ثم طوّرها بقدرته وحوّلها من حيوان الى آخر الى ان صارت انسانا كاملا (كما هو زعم داروين) ، كما انه ليس مما يتنافى مع الاسلام ، القول بالوراثه او المطابقة او تنازع البقاء او الاختيار الالهي (الذي يسميه الماديون الانتخاب الطبيعي) وهو ان البقاء في ميدان الصراع ؟ (اذا ما تشب) لا يكون ، الا للاقوى والاصح ، وهي القواعد الاربع التي بنى عليها داروين نظريته والتي فصلناها فيما مضى من مناقشة .

فاكثر هذه القواعد هي حقائق واقعة شهدها الناس قبل ان يخلق داروين بالآف السنين ، فتنازع البقاء وحتمية ان يكون هذا البقاء للاقوى والاصح في ميدان الصراع وكذلك انتقال الخصائص بالوراثه امور لا يستطيع احد انكارها وهي من صنع الله الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وضعها وجعلها ناموسا عاما بين الكائنات الحية لحكمة يعلمها هو .

اما قانون المطابقة (١١٠) فلم يقدّم اي دليل قاطع على انه موجود ، ولكن اذا ثبت (علميا او حسيا) انه موجود فانا يرجعنا الى مصادر ديننا واصوله لن نجد اية تعارض بين هذا القانون وبين اي نص من نصوص ديننا الحنيف .

فاذا ما ثبت ان مخالبا الاسد التي خلقها الله فيه لياكل بها اللحوم التي هي غذاؤه الوحيد والتي لا حياة له بدونها ، اذا ما ثبت ان هذه المخالب والانياب الحادة قد استبدلت بغيرها من الالات الاخرى كالالات التي لا تصلح الا لقصم الحشيش والنبات والامعاء التي لا يمكن هضم النبات الا بها وذلك اذا ما اضطر نوع الاسد الى العيش (طيلة آلاف السنين) في بيته لا يوجد فيها اي شيء من اللحوم (الغذاء الوحيد للاسد) وانما يوجد فيها (فقط) النباتات او با في درجتها من الاغذية ، ان هذا (وهو الذي يزعمه داروين) اذا ما ثبت ليس فيه اية مناقضة للدين او هداما للتوحيد ، بل على العكس انه ليدل على حكمة الخالق ورحمته ، لانه بهذا القانون قد يسر لنوع الاسد ان يعيش بعد ان كان فناءه محققا بانعدام الغذاء الوحيد الذي لا حياة له بغيره ، لو لم يغيّر الله من طبيعة امعائه وشكل الالات التي يتعاطى بها انواع الغذاء الجديد الذي ما له بها معرفة .

تحذير مهم

غير ان الشيء الذي يجب علينا (كمسلمين مؤمنين بالله وبكتابه وسنة نبيه) ان نقف منه موقف الحذر ، ولا يمكننا قبوله - بأي حال من

(١١٠) انظر قانون المطابقة حيث فصلنا القواعد الاربع التي بنى عليها داروين نظريته .

الاحوال - ويجب علينا أن لا نتردد لحظة في الحكم بالكفر والخروج من الدين على من قال به ، هو :

١ - أن يعتقد القائل بنظرية داروين أن الحياة الاولى التي اُشار اليها داروين في نظريته ، قد وجدت مصادفة وأنها حدثت بغير قدرة الله وأرادته وإنما تولدت من المادة تولدا ذاتيا (١١١) ، وأن كل ادوار التطور والتحول والارتقاء قد حدثت تلقائيا ، أي بغير قدرة الله وعلمه وأرادته .

٢ - وأن يسلم القائل بهذه النظرية أن الانسان الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو أبونا آدم عليه السلام (١١٢) .

لان في القول الاول انكارا لوجود الله سبحانه وتعالى ، وفي القول الثاني ، تكذيبا صريحا للقرآن الكريم ، لانه ينفي قصة آدم وحواء (الوارد ذكرها صراحة في القرآن) نفيا تاما ، يضاف الى هذا ان قصة وجود انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم (كما هي قواعد نظرية داروين) هي قصة مبنيّة (باعتبار قطبها داروين) على الفرض والتخمين والظن ، ومن السفه أن ينفي الانسان (وخاصة المسلم) قصة آدم وحواء المذكورة في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليعتقد قصة ليس لها أي ظل من الحقيقة ، قصة اساسها الفرض والحدس والتخمين ، لا القطع واليقين .

اما اذا كان المقتنع بنظرية داروين قد بنى اختناعه (حسب الاحتمال الذي وثق به الاخ بين قصة الخلق في القرآن وبين نظرية داروين) وهو أنه (فعلا) كان هناك انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، وأن هذا الانسان الاول الذي تزعم النظرية وجوده (ضمن سلسلة التحولات والتطورات) ليس هو آيينا آدم بالذات وإنما هو انسان آخر انقرض مع نسله انقرضا كلياً ، أو أن آيانا آدم (الانسان الكامل الاول) قد جاء بقدرة الله نتيجة تطور ذلك الانسان الغير الكامل ، باعتبار أن هناك أجيالا وجدت من نوع الانسان قبل آيينا آدم (كما روى الفخر الرازي في تفسيره عن الامام محمد الباقر (١١٣)

(١١١) كما يزعم لامارك وارنست هيكل واويلين ومن تبهمهم من الملحدين .

(١١٢) وهذا (قطعاً) لم يصرح به داروين في أي كتاب من كتبه .

(١١٣) ترجمة الامام الباقر :

هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي) أحد الائمة الاثني عشر (في اعتقاد الإمامية) كان الامام الباقر عالماً سيداً كبيراً ، وقد سمي الباقر لانه يتقر في العلم ، أي توسع ، والتبقر .. التوسع ، وكان (رضي) ناسكاً عابداً ، قال الزركلي في الاعلام .. له في العلم وتفسير القرآن آراء ، ولد بالمدينة في شهر صفر سنة ٥٧ هـ وتوفي بالحكمة سنة ١١٢ هـ ونقل الى المدينة ودفن بالبقيع ، وكان عمر الامام الباقر - يوم استشهد جده الحسين - رضي الله عنه ثلاث سنوات .

ان الله تعالى قد خلق قبل ابينا آدم الف الف آدم) .

وكذلك اذا بنى المقتنع بنظرية داروين اقتناعه على أن الحياة الاولى التي جاء ذكرها في النظرية قد وجدت بقدرة الله تعالى ، وأن مراحل التطور والتحول والارتقاء التي بدأ خلق الإنسان فيها (كما يقول داروين) يجرثومة صغيرة نبتت حول المستنقعات من الطين وانتهت بخلق الإنسان الكامل ، قد تمت كلها بإرادة الله وقدرته تعالى .. فالذي يبني اقتناعه بصحة نظرية داروين حسب هذا الاعتقاد المحتمل ، لا يمكن الحكم عليه بالكفر أو الخروج على الاسلام بما يخالف شيئاً من نصوصه .

لانه لم يقل قولاً يستحق هذا الحكم ، اذ كل ما في الامر انه زعم زعماً وادعى حدوث امر (من المحتمل والجائز شرعاً وعقلاً أن يكون قد حدث) الا انه ليس لديه اي دليل علمي قاطع أو حسي قائم على صحته وحدوثه ، هذا هو غاية ما يمكن الحكم به على المؤمن بنظرية داروين اذا كان قد آمن بها على النحو الذي فصلناه أخيراً .

ذلك أن الذي يترجح لديه وقوع امر من الامور الكونية بناء على فروض افتراضها وتقديرات قدرها واحتمالات رجحها (لا أدلة قاطعة عرفها أو براهين محسوسة لمسها) ليس في دين الاسلام ما يبيح لنا وصفه بأنه خرج على الدين وانكر وجود الله ، ما دام أن ذلك ليس فيه هدم للشريعة أو انكار للتوحيد .

لانه حتى لو صح انه مخطيء في تقديراته وافتراضاته وأن ما ذكره لم يكن حقيقة واقعة ، وانما كان وهماً من الاوهام فانه ليس لدينا ما يبرر لنا وصفه الا بأنه قد أخبر بغير الواقع وأن ظنونه كانت كاذبة ، وكـم يخطيء الظن ويصيب .. ومن كان هذا شأنه ليس من الانصاف اصدار الحكم عليه (جزافاً) بالكفر والضلال .

التوقف اقوم سبيل

اما الراي الذي اراه صائباً والذي يجب أن يتخذه المسلم (من الوجهة الدينية) حيال نظرية التطور والارتقاء من حيث جوهر قواعدها (لا الآراء اللاحادية التي اقحمها المحدثون عليها كتفسير لها) فهو التوقف وعدم اصدار اي حكم باسم الدين فيها لا بتفي ولا اثبات ، وفلك على اعتبار أن وقائع هذه النظرية من الجائز الممكن أن تكون قد حدثت فعلاً ، وأن لا تكون قد حدثت ، بل وكل النظريات العلمية القابلة للصحة والبطلان من الخطأ الشنيع اصدار حكم عليها (باسم الاسلام) بتفي أو اثبات ، لان كثيراً من النظريات العلمية كانت في نظر اصحابها حقيقة واقعة لا يتطرق اليها الشك

ثم استجد من العلوم والبحوث والتجارب ما جعل أصحابها انفسهم
يعتبرونها خرافة من الخرافات .

كما أن هناك نظريات أخرى كانت في نظر علماء ومفكرين وشيوخ
فضلاء متبحرين صالحين خرافة من الخرافات وضلالا من الضلالات ، ثم
توفر لديهم من الوسائل العلمية والذهنية ما جعلهم يؤمنون بأنها حقائق
واقعة ونعم وخيرات ساقها الله اليهم .

لا تنفوا باسم الاسلام ما لم تنفقه

وهكذا فإن اقحام الدين في مثل هذا الميدان ومحاولة اصدار الاحكام
القاطعة على هذه النظرية أو تلك (مما لم يكن فيه نقضا صريحا للدين
أو هدمًا للتوحيد) باسم هذا الدين ، أمر لا يرضاه الدين نفسه ، وقد
يعرضه لخطر شديدة تنتهي به الى أن يتشكك الناس فيه ويرتابوا في
صحته .

فمثلاً ، لو أصدرنا حكماً على هذه النظرية أو تلك (باسم الدين) بأنها
صحيحة ثم اتضح فيما بعد بما لا يدع مجالاً للشك بأنها غير صحيحة ، فمن
يا ترى الذي يدفع الثمن غالباً من سمعته ومنزلته ؟؟

انه الدين نفسه دونما جدال .. الدين الذي نكون قد جنينا عليه
باقحامه في غير ميدانه ، وقلنا باسمه ما لم يقله هو .

ومثل هذا يقال فيما اذا حكمنا (باسم الدين) على نظرية من النظريات
اياها بالبطلان ثم اتضح بما لا يدع مجالاً للشك بأنها حقيقة واقعة .

ولهذا فإن اسلم موقف نفقه باسم الدين حيال نظرية داروين وامثالها
هو التوقف وعدم اصدار أي حكم بشأنها لا بنفي ولا باثبات ، على اعتبار أن
أمر هذه النظرية موقوف على سبيل الجواز والإمكان ، اللهم إلا ما أدخله
الملحدون على هذه النظرية وتمحكوا به لجعله وسيلة لهدم الشريعة ونقض
التوحيد .

وقولنا هذا إنما يتفق كل الاتفاق مع طبيعة رسالة الاسلام التي لم
تأت لأعلان القول الفصل في مثل هذه النظريات القابلة (شرعاً وعقلاً) للصحة
والبطلان .

التوقف لا ينافي القرآن

نقال الاخ المعترض ..

وقصة خلق الانسان في القرآن ، الا يتنافى التوقف في أمر هذه

النظرية (باسم الدين) معها ؟ . فقلت له .. (لا) ليس هناك اي تناف .. الذي يقول بنظرية داروين بناء على الاحتمال الذي ذكره الاخ ، وهو ان الله هو الذي اوجد الحياة وطور الانسان ورقاه حتى صار انسانا كاملا (حسب نظرية داروين اذا ما صحت) وان الانسان الاول الناقص الذي جاء ذكره في هذه النظرية ليس ابانا آدم ، وان ابانا آدم انما هو الانسان الكامل الاول .

فالذي يؤمن بصحة نظرية داروين على هذا الاحتمال ، ليس في قوله ما ينفي ان الله خلق الانسان من طين ، ما دام يؤمن بأن الجرثومة الاولى التي صدر منها الانسان قد تولدت من الطين حول المستنقعات بقدرة الخالق (كما صرح بذلك داروين في آخر كتابه .. اصل الانواع .

نعم يتنافى هذا القول أو التوقف فيه مع الراي القائل ان الله كوّن آدم من الطين مباشرة ودون مرور أية ازمان ومراحل حياتية عليه قبل اكمال خلقه ، ولكن تنافي نظرية داروين مع هذا الراي لا يبرر الحكم على القائل بها بأنه قد كذب القرآن ، لانه ليس في أي نص من نصوص هذا الكتاب العزيز ما يمكن اعتباره تصريحاً بهذا الراي ، لان كل الايات التي أشارت الى الطين لم يأت فيها أي تفصيل يفيد أن الله تعالى قد خلق الانسان من الطين مباشرة ودون أن تمر به أية ادوار من التطور والارتقاء بأن أقام له تمثالا من الطين ثم نفخ في هذا التمثال الروح مباشرة ، ذلك ان هدف هذه الايات الاول (كما هو سياق القرآن) انما هو تذكير الانسان والافات نظره الى ان مصدره الطين ، كما لفتت نظره وذكرته آيات اخرى الى ان مصدره الماء والصلصال والحما والنطفة .

فقال .. الا يشعرنا قول الله تعالى :

اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين (١١٤) .. الا يشعر قوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين) بأنه تعالى قد سوى الانسان ونفخ فيه الروح بعد ان أقام له من الطين صورة كاملة نفخ فيها الروح ؟؟

فقلت له .. الذي اعتقده أنه لا دليل في هذه الآية على ذلك البتة (١١٥) .

(١١٤) الحجر ٢٨

(١١٥) جاء في كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله (الفلسفة القرآنية) ص ١٧٤ تحت عنوان (بين البحث والتخمين) قوله .. قرأت في عدد شهر ربيع الاول في مجلة (منير الاسلام) مقالا لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي بعنوان (تفسيرا للقرآن لا يكون بالتخمين) يقول فيه من مبادئ عامة يقررها .. (ان القرآن عربي واسلوبه خاضع =

فهذا كله انما هو لالفات النظر واثارة عناصر التبصر والتدبر والاعتبار فقط ، فهو ليس لنفي أن تكون هناك أطوار قد مرت بالإنسان تطور فيها وترقى وتحول قبل اكمال تكوينه .

ولو جاز فهم مقاصد القرآن على النحو الذي ذكرت للزم علينا الاعتقاد

= للقواعد العربية) ثم يقول من قصة خلق آدم : قاله تعالى يخبرنا في سورة (ص) بحديثه مع الملائكة « اني خالق بشرا من طين فاذا سوئته ونفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين » ثم قال الاستاذ العقاد ... والمبدأ الاول الذي يقرره الاستاذ ويقرره مع فضيلته كل باحث في معاني القرآن الكريم هو أن قواعد اللغة العربية تقتضي (بأن اللفظ لا يصرف عن معناه الظاهر الا لضرورة تقتضي ذلك والا كان صرف اللفظ عن معناه غريبا من التخمين ، وهذا - كما تقدم - مبدا يقرره مع الاستاذ كل باحث في معاني القرآن الكريم ، وفي معاني اللغة في كل كلام مفيد ، وانما يحتاج الامر الى التعريف بالتخمين ما هو ؟ وما الفرق بينه وبين البحث عن المعاني في اخبار الوحي بالامور الغيبية على التخصيص وهي باتفاق الاقوال معلومة الكلمات مجهولة الكيفيات وعلى الاخص فيما ينسب الى الخالق سبحانه وتعالى من عمل او كلام .. فالتخمين - قطعاً - في معنى هذه الآية وسائر الآيات أن يزعم قارئه القرآن أن التسوية الالهية كالنسوية التي نعمدها في اعمالنا نحن المخلوقين من الادميين ، وأن النفخ في خلق آدم من الطين كالنفخ عندنا بالأنواء وأن طينة آدم كطينة النخال الطيني الذي يصوره المثالون مشابهها للإنسان بالأعضاء والوظائف بغير حراك ... ان الذي يزعم ذلك « يخمن » في فهم اللفظ والمعنى بلا جدال ، لأن اعمال الاله جل وعلا تنزهت عن مشابهة الاعمال الادمية وعن كل عمل محدود من اعمال المخلوقات .. فليست معاني الكلمات في المعجمات اللغوية هي مدار البحث عن تفسير هذه الآيات لأن الامر فيها يرجع الى الكيفيات المجهولة التي نجزم بحقيقة واحدة منها ، وهي انها « كيفية » منزوعة عن مشابهة أعمال المخلوق .. ما التسوية ؟ .. وما النفخ ؟ .. وما الروح ؟ .. وما مدلول الآية الكريمة بعد التحقق من معاني هذه الكلمات ؟ .. اذا كانت « الكيفيات » مجهولة هنا ، فالمعلوم الذي لا خفاء به قطعاً انها ليست تسوية باليدين على مثال تسوية المصوريين الادميين ، وانها ليست نفخاً بالأنواء كما ينفخ الإنسان الهواء في الطين او غير الطين وان الروح ليست بالروح الانسانية وليست على أية حال بالكيفية المحدودة بالقواميس والمعاجم ، لأن روح الإنسان المخلوق مجهولة يعلمها الله وحده كما نفهم من آيات القرآن ، وندع الكلام فيما هو اعظم من ذلك واخفى على العقل من معنى الروح منسوباً الى الله .. كل ما يجوز أن نفهمه من معنى النفخ انه بث قوة الحياة في الطين . وفي كم من الوقت حدث هذا ؟ .. في لحظة واحدة ؟ .. في يوم واحد ؟ .. في الدهر المتطاوّل ؟ .. من جزم بشيء من ذلك ؟ فانما يخمن ويجزم على التخمين بل لو قيل هذا كله تم في وقت كلمح البصر لما جاز لأحد أن يحصره في اللحظة الموهودة لدينا ، لأن اللحظة عند الله يتم فيها أمر الساعة كله « وما أمر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب » وهذه اللحظة مقرّون بها في القرآن الكريم خلق كل شيء وتقديره « انا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » .. واذا قيل ان بث الحياة في طينة آدم تم في يوم واحد فان اليوم الواحد مجهول المقدار في علم الله « وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » وقد يكون اليوم خمسين ألف سنة كما جاء في قوله تعالى « ترجع الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .. وهذا من حيث الموعد المقدور لبث الحياة في طينة آدم بعد تسويتها ، فلما هي التسوية ؟ .. وكمن الزمن قبره الله تعالى لظهور هذه التسوية في خلق الطين وفي خلق البنية =

جميعا بأن الله لم يخلق احدا الا بعد ان اقام له صورة من الطين ثم نفخ فيها الروح ، لان الله تعالى يقول مخاطبا جميع البشر :

(هو الذي خلقكم من طين) . وهذا تماما (من ناحية الاعتبار والتدبر) كقوله تعالى (اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) .

فقال .. ان تلك الآية (هو الذي خلقكم من طين) انما تقصد لفت نظر بني الانسان عموما الى ان اصلهم انما مرجه الطين .

فقلت له .. وكذلك الآية (اني خالق بشرا من طين) انما يقصد بها لفت نظر الملائكة الى ان الله تعالى سيخلق بشرا مصدره الطين ، فليس في الآية ما يفرض الاعتقاد بأنه يقصد اخبار الملائكة (على وجه التحديد) بأنه سيقوم صورة لهذا البشر من الطين مباشرة وأنه سينفخ في هذه الصورة الطينية بالذات من روحه ، وكل ما في الامر انه اثار انتباه الملائكة ولفت نظرهم الى أنه سيخلق بشرا من طين وامرهم بالاستعداد بالسجود لهذا البشر عند نهاية خلقه ، كما اثار انتباههم ولفت نظرهم (في آية اخرى)

= الادمية منه .. من جزم بوقت محدود لهذه التسوية فذلك هو التخمين بغير دليل، ومثله في التخمين بغير دليل ان يزعم الزاعم كيفية لهذه التسوية يمتنع ما عداها ويحرم علينا ان نفهمه من مدلول الآيات ... واذا كان هذا هو مدلول النفخ والتسوية والطينة ، فالحقيقة التي هي اجل من ذلك قدرا واغنى من ذلك سرا هي حقيقة الروح ومعناها المقصود في قوله تعالى (ونفخت فيه من روحي) .. فان كلمة الروح قد وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى في سورة الشورى « وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا .. » ومنها قوله تعالى في سورة الشعراء « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين » .. ومنها قوله تعالى في سورة النحل « قل نزله روح القدس من ربك بالحق » .. ومنها في سورة النساء « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه » .. ومنها في سورة مريم .. « واذكر في الكتاب مريم اذ انتبخت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا .. » وفي سورة الانبياء .. « والتي احصنت فرجها فننفختنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين .. » وكل كيفية يحدث بها نفخ الروح بالمعنى الذي وردت به في هذه الآيات فهي كيفية مفروضة على التخمين ، وكل جزم بانكار ما عداها فهو جزم مفروض على التخمين .. وقد كان نفخ الروح من قبيل ولادة عيسى عليه السلام ، وكان من آياته ان يتمثل بشرا سويا في غير هذا المقام ، وكان الروح وحيا ومصدرا للوحي وسرا محجوبا على علم بني آدم في جميع هذه الاحوال ، ثم يختم الاستاذ العقاد بحثه العظيم هذا بقوله :

وعلى المسلم ان يؤمن بأن الله تعالى بث روح الحياة في الطين وسوى الطين سلالة خرج منها آدم عليه السلام ، ولكن ليس لاحد ان يفرض عليه كيفية للتسوية والنفخ والخلق بلفي كل ما عداها ، وان يقرر للتسوية والنفخ والخلق وقتا محدودا باللمحة او اليوم او النهر ويكون بمقدار واحد ولا يكون بغير ذلك القدار .. اهـ .

بأنه سيخلق نفس هذا البشر من صلصال من حمأ مسنون وأمرهم أيضا بالاستعداد بالسجود له عند نهاية خلقه .

فقال .. ولكن هناك فرق في الخطاب في الآيتين ، فآية (هو الذي خلقكم من طين) موجهة الى أناس قد سبقتهم أجيال من نوعهم ، وهذا الذي يجعلنا نجزم بأن هذه الآية إنما تعني لفت نظر الانسان بصفة عامة الى أن أصله من طين ليتعظ ويعتبر .

أما آية (اني خالق بشرا من طين) فهي تشير الى أن الله خاطب الملائكة بأنه سيخلق انسانا اول من الطين، وهو الانسان الاول الذي لم يسبقه انسان من نوعه ، وهذا هو الذي يجعلنا نجزم أن هذا الانسان الاول (وهو آدم) قد نفخ الله فيه الروح بعد أن صورته من الطين .

فقلت له .. ومن هو الذي أكد أن ابانا آدم لم يسبقه انسان قبله من نوع آخر ونفى أن تكون هناك امم (قبل امة ابينا آدم) قد خلقها الله وافناها ، وهل ورد في شيء من الآيات الكريمة أو الاحاديث الشريفة ما يؤكد نفى هذا؟ فقال .. لا لم يرد شيء من هذا القبيل البتة .

فقلت له .. اذن لقد سقطت حججتكم، وصح يقينا انه ليس هناك في القرآن الاول الذي لم يسبقه نوع انسان آخر مع أن وجود امم قبل ابينا آدم محتمل شرعا وعقلا؟؟

فقال .. حجتنا ان القرآن (عندما ذكر قصة خلق آدم) لم يصرح بشيء من هذا .

فقلت له .. وهل كل ما لم يفصله القرآن ولم يذكره من حوادث الخلق والتكوين يعتبر دليلا قاطعا على عدم حدوث هذه الحوادث؟؟

فقال (طبعا) لا ..

فقلت له .. اذن لقد سقطت حججتكم، وصح يقينا انه ليس هناك في القرآن ما يمكن اتخاذه دليلا على ضلال من اعتقد أن هناك من نوع الانسان أما قد سبقت ابانا آدم ، وصح يقينا (ايضا) انه ليس هناك في هذا الكتاب الخالد (القرآن) نص صريح يحتم علينا الاعتقاد بأن الله قد خلق ابانا آدم بعد أن كوّن له صورة من الطين مباشرة ثم نفخ في هذه الصورة بالذات من روحه ، وكل ما يلزمنا أن نؤمن به هو أنه تعالى قد خلق الانسان من طين كما خلقه من ماء وصلصال وحمأ مسنون . أما كيف خلق ابانا آدم وكيف صورته ، على أي شكل كان هذا التصوير وبأية طريقة ، فهذا ما لا يوجد أي دليل في القرآن يحتم علينا الإيمان به تفصيلا .

بل حتى لو ثبت (شرعا) أن الله تعالى لم يخلق أي نوع انساني قبل

أبينا آدم ، فان ذلك لا يلزم منه القول أن الله تعالى قد بدأ خلق الإنسان بصورة كاملة من الطين نفخ فيها الروح مباشرة ، لأنه لم يرد أي نص شرعي يفرض علينا الاعتقاد بذلك .

وحيث الأمر هكذا فانه ليس من حقنا الحكم بالكفر والضلال على من ترجح لديه القول (لسبب من الأسباب او دليل من الأدلة استساغها عقله) ان الله قد بدأ خلق الإنسان بجرثومة من الطين انبتا حول المستنقعات (كما هي نظرية داروين) لان هذا القول ليس فيه أي تكذيب للقرآن ، ولا أية مناقضة للتوحيد . وكل ما في الامر أن الذي يقول هذا القول ليس لديه أي دليل قطعي يجعل قوله هذا حقيقة واقعة ، ومن كان هذا شأنه يجب ان يبقى قوله (لذلك) موقوفا على سبيل الامكان والجواز ، ولا يلزم غيره من الناس ان يقول به .

ليس في الاسلام ما ينافي العقل او العلم

ثم قلت له ... ونحن لا نقول هذا ونصح بالتزامه ايمانا منا بصحة نظرية داروين ، فقد قلنا كلمتنا اكثر من مرة بشأن هذه النظرية وأنها نظرية لم تخرج بعد عن دائرة الغرض والحدس والظن والتخمين ، لذلك فنحن لا تؤمن بصحتها ولا نجزم بأنها حقيقة واقعة .

ولكن الذي جعلنا نذهب في المناقشة الى هذا الحد انما هو رغبتنا الصادقة في اقناع من هو على مستوى اخينا المعترض من العلماء بأنه ليس من مصلحة الاسلام تحميل نصوصه ما لا تحتمله للزج به في ميدان ليس من طبيعة رسالته الخوض فيه ، كما اننا (من ناحية أخرى) نهدف الى ان نلهم اعداء هذا الدين (الباحثين له كل يوم عن مطاعن) حجرا ، بالاثبات لهم بأن هذا الدين الخالد لم ولن تضيق ذهنيته بما تحققه العلوم الحديثة من مكتشفات ، وانه لم ولن يتعارض مع العقل او يتصادم مع الحقيقة والمنطق والواقع في أي مجال من المجالات ، لأنه دين العقل والعلم والمعرفة ، وليست فيه أية متناقضات تتنافى مع العقل والعلم . . وأن نظرية داروين لو صحت (حسب قواعدها الأربع) فان اعداء الاسلام الحريصين على التشكيك فيه لن يجدوا في نصوصه أنه سبق له ان نفى مثل هذه النظرية ، وهو ما يتوق هؤلاء الاعداء الى تسجيله على هذا الدين ليتخذوا من ذلك دليلا على تناقضه مع الحقائق الواقعة .

فقال الاخ المعترض ... اني اراك بأقوالك الأخيرة هذه قد رجعت عن قولك الاول ، وهو أن القول بنظرية داروين فيه تكذيب صريح للقرآن .
فقلت له ، لقد قلت هذا فيما مضى اعتقادا مني أن من أسس نظرية

داروين القول بأن الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم هو ابونا آدم عليه السلام ، فلم اتردد (لذلك) في الحكم بالكفر على من قال بذلك القول لانه قول باطل ، فيه تكذيب صريح لكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حيث أن هذا القول (كما بينت فيما مضى من مناقشة) يتناقض مع الآيات المحكمة التي ذكرت قصة آدم وحواء والجنة والملائكة والبلبل ، ولأنني واثق من أن أي قول فيه ادعاء يتناقض مع أي نص صريح في القرآن ، هو ادعاء زور وبهتان وافتراء ، لانه ليس في كتاب الله حرف واحد يتنافى مع اية حقيقة ثابتة .

ولكنني على اثر النقاش الواعي المركز الذي قام به الاخ (حول هذه الناحية) تبين لي انه ليس من مستلزمات الايمان بنظرية (داروين) القول ان ابانا (آدم) هو (بالذات) الانسان الناقص الاول الذي كان لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ، بل تبين لي ان (داروين) لم يأت عنه في أي قول من اقواله ان ابانا آدم هو (بالذات) الانسان الاول الذي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم .

فذلك (اذن) هو سر ما سمعت (اخيرا) من آرائي حيال جوهر نظرية (داروين) والقائلين بها حسب قواعد الأربع ، مما يمكن اعتباره رجوعا مني عن بعض ما قلته حيال هذا الموضوع .

وبهذا المقطع من الحديث اختتمت فصول المناقشة (بشأن نظرية داروين) وانفض جميع الذين حضروا جلسات هذه المناقشة . . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابه الغر الميامين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أهم الكتب التي جرى فيها النظر
عند تأليف هذا الكتاب

اسم المؤلف	اسم الكتاب
عبد الرزاق نوفل	الله والعلم الحديث
نخبة من العلماء الأمريكيين	الله يتجلى في عصر العلم
عبد الرزاق نوفل	القرآن والعلم الحديث
الإمام الرازي	تفسير الفخر الرازي
سيد قطب	في ظلال القرآن
الاستاذ نديم الجسر	قصة الإيمان
السلطان صالح بن غالب التميمي	الآيات البيّنات الدالة على وجود
سلطان حضرموت	خالق الكائنات
أحمد البلخي	البدء والتاريخ
عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي	أصول الدين
محمد فريد وجدي	دائرة المعارف
الدكتور عمر فروخ	عبقريّة العرب
عبد الرحمن بن خلدون	مقدمة ابن خلدون
عباس محمود العقاد	الفلسفة القرآنية
سمير شيخاني	مع الخالدين
كاترين ب. شين	رجال ومجاهر
عباس محمود العقاد	الإنسان في القرآن الكريم
محمد قطب	الإنسان بين المادية والإسلام

اسم الكتاب

اسم المؤلف

قصة الانسان	جورج حنا
رجال عاشوا للعلم	نخبة من العلماء الاوروبيين
الاعلام	خير الدين الزركلي
وفيات الاعيان	ابن خلكان
تيارات الفكر الفلسفي	اندرية كريسون
معالم تاريخ الانسانية	هـ . ج . ولز
عباقة العلم	جورج سلسي
تاريخ الفلسفات الكبرى	بير دو كاسيه
عمالة العلم	فيليب كين ، وصمويل نيسنسون
تاريخ الفلسفة الحديثة	يوسف كرم
العلم يدعو للإيمان	ا . كريسي موريسون
التفسير العلمي للآيات الكونية في	
القرآن	حنفي احمد
فلسفتنا	السيد محمد باقر الصدر
عقائد المفكرين	عباس محمود العقاد

فهرس الاعلام

الامام محمد الباقر

* ٨٢ - ١٢٣ - ١٥٤ .

بختر

ص ٨ - ٣٧ - ٤٢ - ٦٢ -

* ٦٩ - ٧٠ - ٧٥ .

الامام الحسن البصري

ص ١٣٨ - * ١٤١ - ١٤٢ -

. ١٤٤

الامام البلخي

* ص ٢٢ - ١٤١ - ١٤٢ -

١٤٣ - * ١٤٤

- ج -

الشيخ نديم الجسر

* ص ٢٢ - ٥٠ - ١١٠ - ١٤٠ .

جراهسام

ص ١١٣ .

قسطنطين جيمس

ص ١٠٩ .

برنارده جوسيه

* ص ٢٢ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ .

- ح -

ساطع الحصري

ص ١٣٨ - * ١٣٩ - ١٤٤ .

جورج حنا

ص ٦٩ - * ١١٢ .

ابراهيم الحوراني

ص ٥٥ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ .

- ا -

ابن خلدون

ص ١٣٩ - * ١٤٠ - ١٤٣ -

. ١٤٤

ابن مسكويه

ص ١٤٠ - ١٤٣ .

اخوان الصفا

ص ١٤٠ - * ١٤١ - ١٤٢ .

اديب اسحاق

* ص ٥٥ .

خير الله اسطفان

ص ٥٥ - ٦٥ - ٦٦ .

الشيخ محمد رضا آل العلامة

التقي الاصفهاني

ص ٥٥ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ -

. ٦٢

اغاسينز

ص ٥٣ - * ٥٤ - * ٨٢ .

جمال الدين الافغاني

ص ٥٥ - * ٨١ .

البرت انشتين

ص ١١٩ .

اوبارين

ص ٨ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٤٠ -

* ١٥٤ .

ايمر

ص ٦٥ .

- ب -

باسكال

* ص ٢٠ .

* هذه العلامة تدل علما ان مكان الرجوع في حاشية الصفحة .

- د -

مستر فور دايس

ص ۹۷ - ۱۱۲ .

الدكتور دوفيلد

ص ۱۰۹

دوفري

ص ۵۰ .

- ر -

الامام الفخر الرازي

* ص ۸۲ - ۱۲۳ - ۱۳۸

* ۱۴۱ - ۱۴۴ - ۱۵۴ .

روزا

ص ۵۴ - ۶۷ .

جان جاك روسو

* ص ۲۲

الدكتور به ري

ص ۱۰۸ .

شارل ريشه

* ص ۱۰۲ .

رينك

ص ۶۵ .

- ز -

خير الدين الزركلي

* ص ۵۵ - ۶۹ - ۱۰۷

* ۱۴۱ - ۱۵۴ .

- س -

عبد اللطيف السبكي

* ص ۱۵۷ .

جورج سلستي

* ص ۵۴ - ۶۱ - ۱۱۳ .

الدكتور حليم عطية سوريال

ص ۵۵ - ۶۶ - ۶۷ .

- ش -

شافوزن

ص ۱۴۸ .

الدكتور احمد شكري

* ص ۸۴ .

شلفر

ص ۱۴۸ .

شميلي شميل

ص ۶۹ - ۷۰ - ۷۱ - ۷۲ .

السيدة كاترين ب. شيبين

* ص ۲۳ - ۷۹ .

- ص -

السيد محمد باقر الصدر

* ص ۹۵ .

الاب جرجس فرج صفي

ص ۵۵ - ۶۳ .

- ع -

الشيخ محمد عبده

* ص ۵۵ .

عباس محمود العقاد

ص ۴۸ - ۵۹ - ۶۹ - ۷۰

- ۷۱ - ۷۲ - ۹۸ - ۱۳۱

* ۱۵۷ - ۱۵۸ .

- غ -

غراي

ص ۱۱۴ .

المونسنيور سه غور

ص ۱۰۸ .

- ف -

فرخو

ص ۵۳ .

الدكتور عمر فروخ

* ص ۱۳۹ .

الكاردينال مانسف

ص ١٠٨ .

الدكتور مكوشي

ص ٦٦ .

- ن -

نيوتن

ص ٧٥ - ١١٩ .

- ه -

ادوارد فون هراتمان

ص ٦٥ .

توماس هنري هكسلي

ص ٥٤ - ٦١ - ٦٦ - * ١٠٨ -

١٤٧ - ١٤٨ .

جوزيف دالتون هوكر

ص ٧١ - ٨١ .

ارنست هيكل

ص ٨ - * ٢٠ - ٢٤ - ٢٦ -

٢٨ - * ٢٩ - ٣١ - ٣٢ -

٢٣ - ٢٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ -

٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ -

٤٣ - ٤٧ - ٧٥ - ٩٦ -

١١١ - * ١٥٤ .

- و -

محمد فريد وجدي

ص ٤٩ - * ١٠٣ - * ١٠٤ -

١٠٧ - ١١٠ - * ١٣٥ -

* ١٤٤ - ١٤٨ .

وستن

ص ٧١ .

ولاس

ص ٥٣ - ٦٩ - ٩٨ - ١١١ .

هـ . ج . ولز

* ص ١٤٩

غوستاف وولف

ص ٦٥ .

- ق -

محمد قطب

ص ٩٦ - ١١٢ - * ١١٩

السلطان صالح بن غالب القعيطي

* ص ٢٧ - ٤٥ - * ١٠٢ - ١١٠

- ك -

يوسف كرم

ص ١١٤

الجنرال كلمان

* ص ١٤١

كوفييه

ص ٦٠ - ٨٢ .

- ل -

لاريت

ص ١٤٨ .

لامارك

ص ٨ - ٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ -

٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ -

٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٧ - ٤٩ -

٧٥ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ -

٨٦ - ١٤٠ - * ١٤١ -

* ١٤٤ - * ١٥٤ .

جون لبوك

ص ١٤٨ .

لو تاروت

ص ١٠٩ .

ليتريه

ص ٢٧ .

لينوس

ص ٨٢ .

- م -

كارل ماركس

ص ٧٢ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ .

القسي توماس مالتوس

ص ٨٢ - ٨٦ .

الفهرس

٥	مقدمة بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري
٧	كلمة المؤلف
١٧	اعتراف ورجاء
١٩	الفصل الاول
٢١	ما هي نظرية التطور والارتقاء ؟
٢٢	كيف بدأت الحياة عند داروين ؟
٢٣	كيف تتحول الانواع الى غيرها ؟
٢٤	اول المؤسسين لنظرية التطور والارتقاء
٢٥	بين داروين ولامارك
٢٦	جناح الالحاد في النظرية
٢٦	ما هي الطبيعة عند الملاحدة ؟
٢٧	كيف تتولد الحياة عند لامارك ؟
٢٧	نقض مزاعم الملحدین بشأن قدرة الطبيعة
٢٨	تناقض الملحدین بشأن الطبيعة
٢٨	لا يكون الخالق احط من المخلوق
٣٠	هكذا يعتبر الملحدون بوجود الله
٣١	هل يهب الحياة فاقدتها ؟
٣١	ارنست هيكل والتولد الذاتي
٣٢	نقض نظرية التولد الذاتي
٣٢	تخبط الملحدین في دعواهم للتولد الذاتي
٣٤	كيف يزوغ الملحدون
٣٥	سفسطة الماديين
٣٥	نوادرجا واقوال الملاحدة
٣٦	سؤال يعجز الملحدون عن الاجابة عليه
٣٧	اعتراف الملحدین بوجود الله من حيث لا يعلمون

٢٧	اعتراف بخبر بقوة ما فوق الطبيعة
٢٨	لا بد من الاعتراف بوجود الله
٢٩	تفاصيل نظرية داروين
٢٩	نظرية هيكل ولامارك
٤١	الاتفاق بين داروين ولامارك
٤١	موضع الاختلاف بين الفريقين
٤٢	عجز داروين عن معرفة سر الحياة
٤٢	عمدة الالحاد يجهل كيفية التولد الذاتي
٤٣	القواعد الاربع لنظرية داروين
٤٧	ما هي ادلة داروين العلمية ؟
٤٨	ليس لداروين دليل قاطع على صحة نظريته
٤٨	العلم يرفض الوقوف بجانب داروين
٤٩	اهم الاعتراضات على مذهب داروين
٥٠	راي الاستاذ نديم الجسر
٥٠	علماء اوربا المعارضون لمذهب داروين
٥١	واقع دودة القز ينقض مذهب داروين
٥٤	هكسلي يرد على صديقه داروين
٥٤	علماء الشرق الذين عارضوا مذهب داروين
٥٥	رد الافغاني على داروين
٥٨	عالم شيعي يناقض مذهب داروين
٦٢	اصل لغات البشر
٦٢	علماء مسيحيون يناقشون مذهب داروين
٦٢	الاب جرجس فرج يناقض النظرية
٦٥	الاسقف خير الله اسطفان
٦٦	نقض الدكتور حليم عطية لمذهب داروين
٦٧	الاستاذ الحوراني ومذهب داروين
٦٩	علماء الشرق الذين نصروا مذهب داروين
٧٢	الرد على اتهام الشيوعية للاديان
٧٢	رمتني بدائها وانسلت
٧٨	نظرية داروين ليست حقيقة واقعية
٧٨	مستند لامارك في النظرية
٧٩	مناقشة لامارك

٨٠ مستند داروين في نظريته
٨٢ داروين وكتاب القس توماس
٨٤ اهتزاز أدلة داروين
٨٥ أهم أدلة داروين
٨٥ كيف بدأ خلق الانسان
٨٦ مناقشة داروين
٨٧ مشاهدات تنقض حجة داروين
٨٩ الفصل الثاني
٨٩ دفاع عن داروين
٩٠ مناقشة المدافع عن داروين
٩١ نظرية داروين مناقضة للمذهب المادي
٩١ الماديون يتناقضون
٩٢ اصول الداروينية مناقضة لاصول الشيعية
٩٣ الاختلاف بين الماركسية والداروينية
٩٥ سبب تمسك الشيوعيين بمذهب داروين
٩٦ منطقة الخطر في نظرية داروين
٩٧ لا حجة للشيوعيين في مذهب داروين
٩٧ نظرية داروين لا تدعو الى الالحاد
٩٩ افلاس الملحدين في التمسك بنظرية داروين
٩٩ أقوى حجة للملحدين في النظرية
١٠١ احتجاج الشيوعيين بالاعضاء الاثرية في الحيوان
١٠٢ نقض اقوال الشيوعيين بشأن الاعضاء الاثرية
١٠٣ الاستدلال على نفي الشيء بدليل وجوده
١٠٥ سبب الانحراف بين بعض المثقفين
١٠٥ الشيوعيون والقواعد الداروينية الثلاث
١٠٦ تنازع البقاء من سنن الله
١٠٦ البقاء للاصلح
١٠٧ مذهب داروين لا ينقض الايمان
١٠٧ داروين بين الكفر والايمان
١٠٨ هجوم الكنيسة على داروين
١٠٩ هجوم الملحدين على داروين
١١٠ دفاع الأستاذ الجسر عن داروين
١١٠ دفاع السلطان القميطي عن داروين
١١١ حقيقة داروين الدينية

١١١	ليس داروين داعية الحاد
١١٢	أقوال داروين المتناقضة
١١٣	كفر داروين آخر أيامه
١١٧	الفصل الثالث
١١٧	موقف الاسلام من نظرية داروين
١١٧	قواعد النظرية والايمان بالله
١١٨	الظن لا اليقين اساس نظرية داروين
١٢٠	قصة خلق آدم كما تراها النظرية
١٢١	موضع التعارض
١٢٢	محاولة التوفيق بين النظرية والقرآن
١٢٣	هل خلق الله اناسا قبل آدم
١٢٧	داروين والانسان الاول
١٢٨	مناقشة الجناح الالحادي
١٢٨	موقفنا من النظرية
١٢٩	رأي آخر للتوفيق بين القرآن والنظرية
١٣٠	موقف القرآن من المكتشفات الحديثة
١٣٠	ليس هذا من طبيعة رسالة الاسلام
١٣١	ليس ذلك من مصلحة الاسلام
١٣٢	هل مرت اطوار بالانسان قبل اكمال خلقه ؟
١٣٣	داروين لا ينفي خلق الانسان من الطين
١٣٤	نقاش مهم حول خلق الانسان
١٣٨	أئمة الاسلام ونظرية التطور والارتقاء
١٣٩	هل قال ابن خلدون أن أصل الانسان قرد ؟
١٤٠	قول ابن مسكويه
١٤٠	مذهب اخوان الصفا
١٤١	أقوال الامام البخاري
١٤٢	المؤلف لا يؤيد نظرية داروين
١٤٥	كيف نحمي عقائد الشباب من الانحراف ؟
١٤٦	داروين لم يقل ان أصل الانسان قرد
١٤٨	تناقض أنصار المذهب القردي
١٤٨	التمييز العنصري بين القردود
١٤٩	التكذيب المرتجل ليس الطريق السوي للاقناع
١٥٠	كيف يكون الرد على الملحدين ؟
١٥١	كيف يسيء التزامتون الى الدين ؟

١٥١	القول الفصل في نظرية داروين
١٥٢	القرآن لم يأت لاحصاء الحقائق الكونية
١٥٢	حقيقة موقف الاسلام من نظرية داروين
١٥٢	القول بتحدر الانسان من الحيوان لا ينافي الاسلام
١٥٣	تحذير مهم
١٥٥	التوقف اقوم سبيل
١٥٦	لا تنفوا باسم الاسلام ما لم ينه
١٥٦	التوقف لا ينافي القرآن
١٦١	ليس في الاسلام ما ينافي العقل او العلم
١٦٣	مراجع الكتاب
١٦٥	فهرس الاعلام
١٦٨	الفهرس



آثار المؤلف

سلسلة من معارك الاسلام الفاصلة

- ١ - غزوة بدر الكبرى (الطبعة الرابعة)
- ٢ - غزوة أحد (الطبعة الثالثة)
- ٣ - غزوة الاحزاب (الطبعة الثانية)
- ٤ - غزوة بني قريظة (الطبعة الاولى)

كتب اخرى

- ٥ - القومية في نظر الاسلام (الطبعة الثالثة)
- ٦ - صراع مع الباطل (الطبعة الثانية)
- ٧ - لا .. يا فتاة الحجاز (الطبعة الثالثة)
- ٨ - لهيب الصراخ (الطبعة الثانية)
- ٩ - اسكات الرعاع
- ١٠ - اكلوبة الاشتراكية
- ١١ - هل هذا من العروبة ؟
- ١٢ - الاسلام ونظرية داروين (الطبعة الثانية)

تطلب كتب المؤلف من المكتبات التالية :

جدة - السعودية	}	- مكتبة الارشاد
		- مكتبة جدة
		- مكتبة الري
مكة المكرمة		- مكتبة الثقافة
الطائف		- مكتبة الثقافة
الدوحة - قطر		- مكتبة الثقافة
الكويت		- مكتبة المنار الاسلامية
بغداد		- مكتبة المثني
بغداد		- دار النذير
عمان		- مكتبة الاقصى
الخرطوم		- مكتبة الفكر الاسلامي
الزاوية - طرابلس الغرب		- المكتبة الوطنية
دمشق		- مكتبة دار الفكر
بيروت		- دار الفكر الحديث
بيروت		- دار العربية
بيروت		- دار الارشاد

وكلاء التوزيع العام
دار الفتح للطباعة والنشر
ص.ب ٤٢٩٥ - بيروت